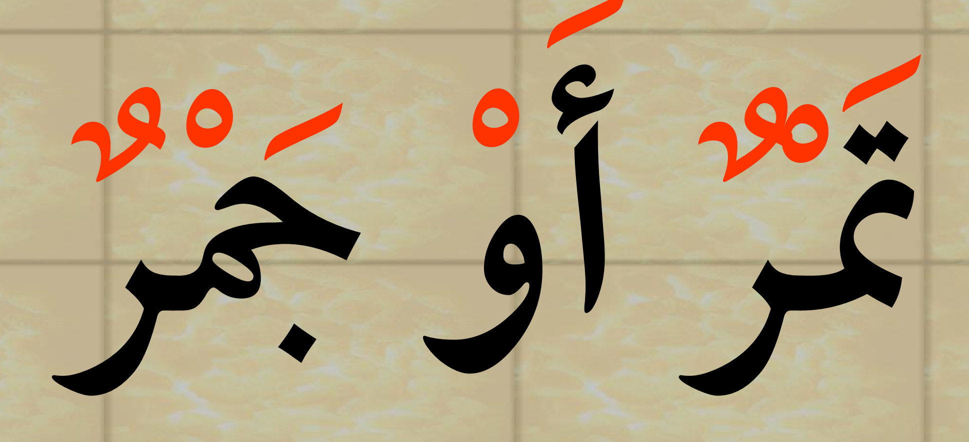


لِمُحَمَّدْ جَمَالْ صَقْرْ

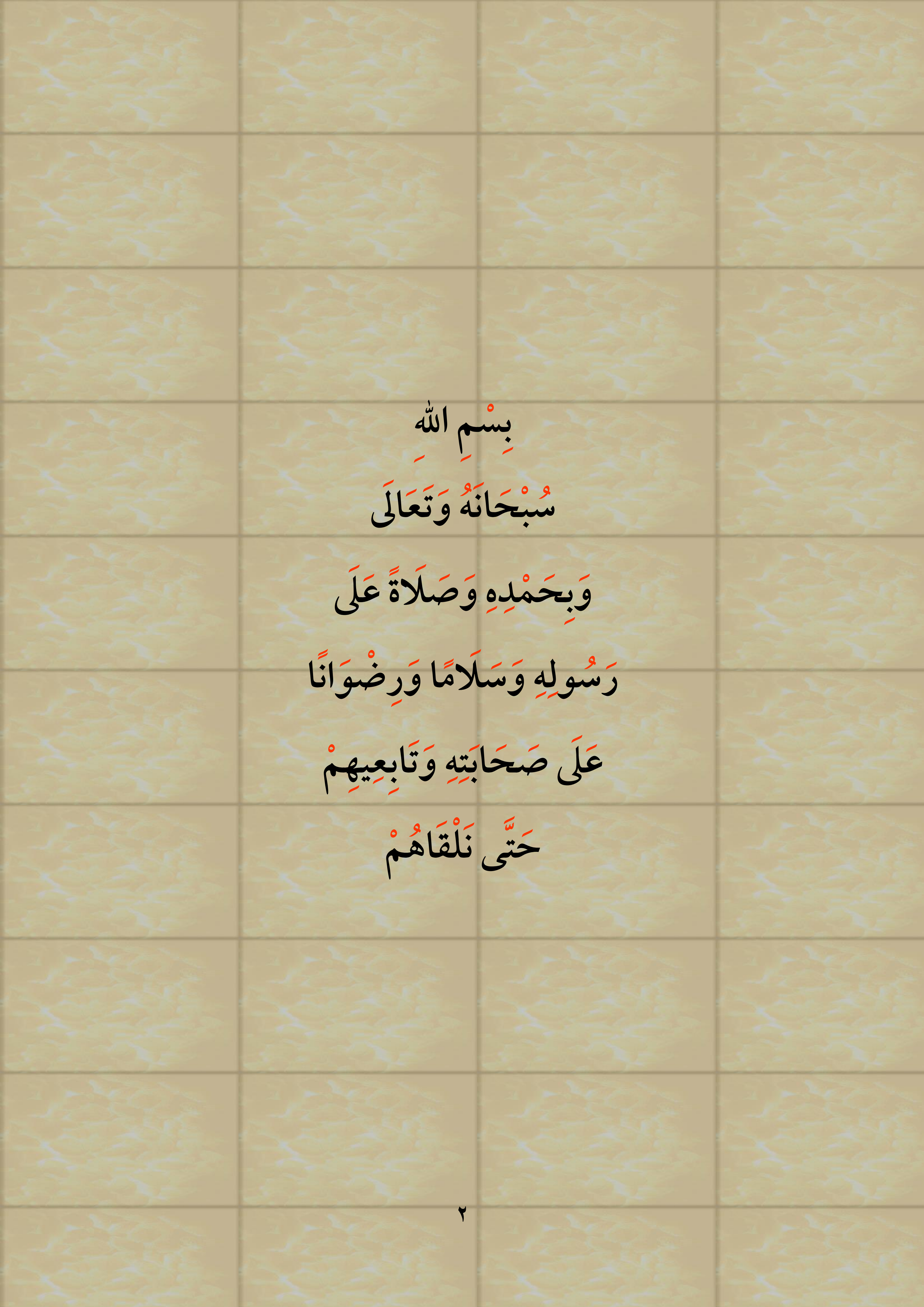
"أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً، فَإِنْ أَبَى فَجَمْرَةً"!

مجمع الأمثال.

نشرة موقع الدكتور محمد جمال صقر

WWW.MOGASAQR.COM

١٤٤٠=٢٠١٨



بِسْمِ اللهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَبِحَمْدِهِ وَصَلَاةً عَلَى

رَسُولِهِ وَسَلَامًا وَرِضْوَانًا

عَلَى صَحَابَتِهِ وَتَابِعِيهِمْ

حَتَّى نَلْقَاهُمْ

فِهْرِسٌ



مُقَدِّمَةٌ

ليس أقرب إلى الإنسان من نفسه التي بين جنبيه -وسُبحانَ الأقربِ!- فإذا ذكر ما يحوِّل حال الناس الحسنة سيئة والسيئة حسنة، لم يجد أصدق مثالا من نفسه.

نعم؛ ولم أجدني أسوأ حالا مني إذا أسأتُ، ولا أرضى بعدئذ مني إذا أُسيء إليّ -"وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا"- ولعل غيري أن يكون كذلك!

إذا أسأتُ غضبتُ على نفسي، فإذا أقبل أيٌّ من الناس يُرفِّه عني فيجعل إساءتي إحسانا لم يُجْدِ شيئا، فأما إذا هَجَمَ عليّ يعذلني ويخيِّل لي إساءتي أنها كأنها "رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ"، أجدى عليَّ كل الجدوى، وكان كأنما كَوَى مني موضع الإساءة؛ فبَرِئتُ!

وهذه ستة وعشرون ومئة نص من الكلام العربي، أشتاتا أشتاتا أشتاتا لا يؤلف بينها غير أنها نفثات مَصدُور طَبَّ لنفسه حين لا طَبيبَ؛ فكانت جمرا عالج به نفسه حين أساءت، أو تمرا عالجها به حين أحسنت، تتباعد زمانا ومكانا، ولكنها تتقارب رأيا؛ فإذا هي كأنها نص واحد!

الآن عند قبر أبي القاسم

- سلم لي على أبي القاسم –صلى الله عليه، وسلم!– واقرأ لي عليه هذه المثلثات الثلاث؛ فقد كان يحب الشعر، ويسمح للشعراء بمنبر في مسجده ينشدون من عليه شعرهم؛ فبالله إلا ما فعلت لي ذلك تحببا إليه واتصالا به؛ جزاك الله عني خيرا، وتقبل مني ومنك!

– قل له قبل مثلثة فراشات:

هذا تابعك المسكين يذكر بركة المدينة المنورة بك، قائلا:

ذَهَلْتِ عَنْ نَفَحَاتِ اللهِ وَاحْتَبَسَتْ شَهَادَةُ الْحُقِّ وَاخْتَانَتْكِ أَخْلَاقُ

وَطِيبُ طَيْبَةَ مَاءُ الرُّوحِ شَمْسُ فَتِيلِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ يَا مَأْوَى مَنِ اشْتَاقُوا

فَحِرْتِ تَهْذِينَ أَلْفَاظًا مُلَجْلَجَةً وَأَنْتِ تَدْرِينَ أَنَّ الرِّزْقَ أَرْزَاقُ

– ثم قبل مثلثة محمد:

وهذا هو يعتذر عن تَسمّيه اسمك الكريم، قائلا:

تَسَمَّيْتُ يَا مَوْلَايَ بِاسْمِكَ عَاجِزَا تَسَمَّيْتُ وَاسْتَعْصَى عِقَالِيَ نَاشِزَا

فَجَاهَدْتُ فِيهِ ارْكَبْ مَعِي فَالْتَوَى بَلَى سَآوِي إِلَى رُكْنٍ أَشَفَّ مَغَامِزَا

عَذِيرَكَ هَذَا الْعَاقِبُ الْحَاشِرُ الَّذِي تَدِينُ لَهُ الْأَرْكَانُ لَا رُكْنَ حَاجِزَا

- ثم قبل مثلثة إياب:

وهذا هو يعتذر عن سفره عن المدينة المنورة بك إلى مصر المكروبة بمن فيها، قائلا:

أَقِلْهَا حَبِيبًا مَا اسْتَقَالَ حَبِيبُهَا بِحَسْبِكَ أَنْ يَهْوَى الدِّيَارَ غَرِيبُهَا

وَهَلْ يَسْتَوِي جَارُ النَّبِيِّ سَلَامَةً وَجَارُ لَظَى الْوَيْلَاتِ لَوْلَا وَجِيبُهَا

فَإِنَّ صِغَارِي يَلْهَثُونَ وَأُمَّهُمْ عَلَى وَضَمٍ وَالْأَرْضُ ضَاقَ رَحِيبُهَا

- قال أبو بُشرى:

- قد فعلت لك ما طلبت كما قلت نصا، على ما كان من ازدحام!

ابن "أبو سويلم"

تلقيت عن الأستاذ جادو مجموعته هذه القصصية ذات الثماني والعشرين قصة دون عنوان عام، ثم اطلعت عليها فلم أجد لها عنوانا أفضل من "ابن أبو سويلم"!

نعم!

وأبو سويلم هو الشخصية التي مثل بها محمود المليجي في فيلم الأرض الفلاح المصري الأصيل الحكيم الغيور الثَّؤُور، واتخذها الأستاذ جادو في بعض قصصه مثال الأب الشريف المشرِّف، وتعلق برمزها في سائر القصص إلى كل نفس أبية وخلق كريم.

وابن أبو سويلم هو القناع الذي كان فلاح كفر الهنادوة يتقنع به في سلسلة أحمد رجب ومصطفى حسين الصحفية الكاريكاتورية، لينسب إليه بدلا من نفسه عند المسؤولين جميعا سخريته الشديدة منهم.

ولاريب في أن هذا من ذاك؛ فلا تكاد قصة تخلو من حنين جارف إلى القرية القديمة ناسا وحيوانا ونباتا وجمادا، تحكي عنهم وبهم ولهم، وتشتاق إليهم، وتحرص على تمجيدهم؛ لعل أولادها الراحلين عنها يعودون إليها، ولعل غيرهم يقتدون بهم!

في كل قصة خلق من أخلاق القرية، أو عادة من عاداتها، أو حكاية من حكاياتها، أو خرافة من خرافاتها، أو لعبة من ألعابها، أو ذكرى من ذكرياتها، أو حلم من أحلامها.

يدير الأستاذ جادو كلامه عن ذلك بضمير تكلمه غالبا، ارتباطا عفويا منه بأسلوب الحكاية القروية التي نشأ عليها أطفالها، وحنينا إلى طفولته الخصيبة، التي رصد لها أكثر مجموعته، مهما كان ما لقيه فيها، وأغلبُه حميمٌ حبيبٌ.

ولم يُخلِ الأستاذ جادو مجموعته من ذكر كلية دار العلوم التي كانت وما زالت قريته الثانية بعد تلك، يسعى فيها وقد أتم السادسة والأربعين إلى تحصيل كل ما يستطيع من فن وعلم ومهارة، مقيما على محبة أساتذته فيها وزملائه، واصلا معالمها بمعالم قريته، ومسارها بمسارها.

وما ذلك كله إلا غضب كامن من الأستاذ جادو على بدوات بدت له على مسالك بلده، توشك أن تشوه ملامحها، وتحرف حاضرها ومستقبلها؛ فهو حريص على أن يشارك في التنبيه والتوعية والتوجيه، مثلما سن له كبار حكمائها وعلمائها على مدار التاريخ.

حياه الله، وأحيانا به!

أُتْرُجَّةُ دار العلوم

في ٢٢/ ١٠/ ١٤٣١هـ=١/ ١٠/ ٢٠١٠م

مَا مَاتَ مَنْ جَعَلَ الزَّمَانَ لِسَانَه يَتْلو مَنَاقِبَ عُوَّدًا وبَوَادِي

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الرَّبِيعُ وَإِثْرُه بَاقٍ بِكُلِّ خَمَايِلٍ وَنِجَادِ

الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ

"إِنّا لله وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعونَ"!

مات أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين؛ فـ"مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظُرَ كَيْفَ ذَهابُ الْعِلْمِ فَهكَذا ذَهابُه"، أو كما قال ابن عباس ترجمان القرآن، حين مات زيد بن ثابت – رضي الله عنهم! – كاتب الوحي وجامع القرآن وعالم الأنصار؛ فصَدَّقَ قَوْلَ رسول الله – صلى الله عليه، وسلم! –: "إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُه مِنَ الْعِبادِ، وَلكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَماءِ، حَتّى إِذا لَمْ يُبْقِ عالِمًا اتَّخَذَ النّاسُ رُؤوسًا جُهّالًا، فَسُئِلوا؛ فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلّوا، وَأَضَلّوا"!

لقد درستُ عليه أربع سنوات، منذ سنة ٣/ ١٤٠٤هـ=٣/ ١٩٨٤م، الجامعية، دراسة نظامية بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة: أولى دار العلوم، وفيها كان كتابه "علم اللغة العام"، وثانيةَ دار العلوم وفيها كانت ترجمته لـ"علم الأصوات"، كتاب برتيل مالمبرج، ورابعةَ دار العلوم وفيها كان كتابه "دراسات لغوية"، وتمهيديةَ قسم علم اللغة وفيها كان كتابه "المنهج الصوتي

للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي". ثم جلستُ إليه مجالس مختلفة، واطلعتُ على كثير من أعماله اطِّلاعًا حُرًّا، ولكن لم يقم لمعرفتي به شيء مثلما قامت تلك السنوات الأربع!

لقد كان من علماء القرآن دِرايَةً وتِلاوةً، وما مَثَلُه في الناس إلا مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ ريحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُها طَيِّبٌ، أو طَعْمُها طَيِّبٌ وَريحُها طَيِّبٌ، على رِوايَتَيْ تَمْثيلِ رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- مَثَلَ المؤمن الذي يقرأ القرآن؛ تَجْذِبُك إليه أحيانا تِلاوَتُه ثم دِرايَتُه: ريحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُها طَيِّبٌ - وتَجْذِبُك إليه أحيانا دِرايَتُه ثم تِلاوَتُه: طَعْمُها طَيِّبٌ وَريحُها طَيِّبٌ!

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

لقد تأملتُه قريبا وبعيدا، حتى اجتمعت لي نُقَطُ ملامحه، وظهرت صورته؛ فأحسنت رؤيته، على حين تَلَقَّفَ ناسٌ النقطة من تلك النقط وحدها، فلم يَرَوْهُ - وأحببته:"... وَلَوْلَا الْحُبُّ لَمْ أَتَكَلَّمِ"! وربما قيل لي:"... وَلَوْلَا الْحُبُّ لَتَكَلَّمْتَ"! وهذا وهم فاسد مفسد؛ فإن الحب الخالص، كفيل بأن يفتح العقل لفهم حقيقة المحبوب؛ ولذلك كان حب رسول الله - صلى الله عليه، وسلم! - شرط كمال الإيمان؛ فهو من حُبِّ مُرْسِلِه - سبحانه، وتعالى! - ومِنْ طريق حُبِّه حُبُّ آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، فأما حديث "حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمي وَيُصِمُّ"، ففيه ضعف! ورحم الله عباس محمود العقاد

الكاتب الأديب الفذ! لقد أعرض عن الكتابة عن بعض من تَوَقَّعَ الناس منه الكتابة عنهم في سلسلة عَبْقريّاته، فلما قيل له في ذلك، قال: إنما أكتب عَمَّنْ تَرْفَعُه كتابتي! والحق أنه إنما كان يكتب عمن أحبه حبا خالصا، أَطْلَعَه على مفتاح شخصيته الذي كان مولعا بالبحث عنه. وليس فرضا عليه أن يحب كل عبقري؛ فللمحبة كُنْهُها الذي يصعب وَصْفُه، والكلام هنا إنما هو عن أثر المحبة، لا عن كنهها!

كان أستاذنا رجلا طويل القامة صحيح البنية أنيقا وسيما ميسور الحال مبسوط اليد صافي القلب مصريا عربيا مسلما عبقريا غيورا طموحا، يحار الناس فيه، ولا سيما أصحاب النُّقْطة السابق ذِكْرهم، تُحَيِّرُهم مناقبه، لا مثالبه؛ فلقد نَشَأَ وشَبَّ واكْتَهَلَ وشَيَّخَ راضيا عن حاله، ساخطا على حال أمته، وامتحنه الله -سبحانه، وتعالى!- بالسجن قريبا من منتهى طلبه الجامعي ومبتدأ انطلاقه المعيشي؛ فكأنما أَطارَ بالسجن طائِرًا كان في صَدْره؛ ففَزِعَ كُلَّ مَفْزَعٍ، واشتغل بأعمال كثيرة، ينوء بها العصبة أولو القوة، من غير أن ينخلع في أي منها، عن رضاه ذاك ولا عن سخطه؛ فكان في أكثرها كأنما يُثيرُ الناس إليها، ويغريهم بها، ليُحَقِّقوا منها ما لم يَتَحَقَّقْ، ويُدَقِّقوا ما لم يَتَدَقَّقْ، غيرَ ضائِقٍ بهذه المنزلة!

ها هو ذا يتحدث في تقديمه كتاب "الإسلام يتحدى" لوحيد الدين خان، عما أريد له أن يكونه فأباه أشد الإباء ورصد حياته للثورة عليه، قائلا: "جاء جيلنا ليتوهم، أو ليراد له أن يتوهم أنه مجرد وارث لأجيال سابقة، عليه أن يستغل تركتها في خلق ملذاته، فإذا ما جوبِهَ بتحديات عصره لجأ إلى المباهاة بتراثه، المباهاة وحدها، المتمثلة في أكثر الكتابات المنشورة، التي لا تمل أن تحكي وتحكي، حكايات في حكايات، وتقف أحيانا مستعلية من فوق منبر، لتمطر على الحضور وعظا في وعظ، دون أن تبلغ في ظن الجماهير أن تهز وجدانا، أو حتى تحرك قشة. إن أخص صفات عصرنا هي أنه ينتج من الأفكار بقدر ما ينتج من الأشياء، وليس من الضروري أن نتطلب من الأفكار المنتجة أن تكون نافعة دائما كالأشياء؛ فإن المجتمعات التي تصدر إلينا أشياء الحضارة ترى في الأفكار سلعة ينبغي أن تتغير كل يوم، كما تتغير طرز الأشياء؛ ولذلك يقف مثقفونا مبهورين أمام موجات الفكر الواردة من الخارج: ماذا يأخذون، وماذا يدعون؟ بل قل: ماذا يقرؤون، وماذا يترجمون؟ ولا شيء أكثر من هذا! يكفيهم أن يستطيعوا ملاحقة الأفكار دون أن يكون عليهم أن يواجهوها، أو ينقدوها؛ فهم إلى أن يصوغوا نقدا معينا لأحد الاتجاهات الجديدة نسبيا يكون الوقت قد فات، وتَقَادَمَ بمرور الزمن ما ينتقدون، وغطت عليه أفكار أخرى أشد لمعانا وأكثر جاذبية وإشعاعا. ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامي هدف ثمين من

أهداف تصدير الأفكار، نظرا إلى موقعه وخطورة موقفه بين الكتل المتصارعة أو بعبارة أخرى مراكز الإنتاج. والهدف من وراء التصدير واحد لدى كل هذه المراكز، أن يبقى هذا العالم مفتقرا إليها على اختلافها، وأن يحال بينه وبين أفكاره الأصيلة، التي يمكن أن تغنيه عن الاستيراد، وتحقق له الاكتفاء الذاتي".

تلك كلمةٌ له في تقديم عملٍ لغيره، ولكنها أوجز ما يعبر عن رسالة الثقة والطموح والسخط والجرأة، التي وَطَّنَ عليها نفسه ورصد لها أعماله. والأمثلة كثيرة:

منها عمله بكتابه "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، الذي قال في مقدمته: "هذا كله (أعمال اللغويين الحداثيين المعاصرين) وغيره على كثرته وغناه، لم يحاول أن يقترب من دراسة ظواهر اللغة العربية الفصحى دراسة نقدية، تصفي آراء القدماء، وتقومها، وتضع حلولا جديدة للمشكلات التي بقيت دون حل، أو التي نالت حلا خاطئا قام على تصور قديم خاطئ"؛ فأغرى الدكتورَ الطيب البكوش بإنجاز مأموله، وإن لم يبرأ من النعي عليه قائلا: "إن ما نجده في بعض عناوين هذه الكتب من إشارة إلى ذلك (الدرس في ضوء العلوم اللسانية الحديثة) لا يخلو من ادعاء؛ فنحن لا نجد فيها من الألسنية الحديثة إلا بعض المصطلحات والمفاهيم الثانوية، أما المبادئ الأساسية كالنظام ووظائف وحداته وعلاقة بعضها بالبعض، فإننا لا نجد فيها

أثرا لذلك، وهو ما يستوجب إعادة النظر فيها بصفة أعمق وأحدث، مع إثرائها وإنارتها بنتائج البحوث في اللهجات العربية العصرية على اختلافها".

ومنها عمله بكتابه "المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي"، الذي قال في مقدمته: "إن المهم دائما هو الوصول إلى الحقيقة، ولكن وسيلة الوصول تختلف من عصر إلى عصر. ولقد كانت للأقدمين وسائلهم المناسبة لبلوغ ما طلبوا من الحقيقة، ثم مضوا إلى مستقرهم تاركين بصماتهم على ما خلفوا من آثار ودراسات، فيها وصف لما عرفوا من الحقيقة من وجهة نظرهم وجاء بعد ذلك دورنا في محاولة الوصول إلى الحقيقة، بوسائلنا لا بوسائلهم، ومن وجهة نظرنا، لا من وجهة نظرهم، ولكن عوامل التقليد تقف دائما دون هذه المحاولة في ميدان الدراسات العربية، ولا سيما النحو والصرف. والتقليد هنا يشبه ما يسمى بسياسة فرض الأمر الواقع، على أنه حقيقة يستحيل تغييرها، وليس في معارف البشرية ما يمكن أن يكون قد بلغ الكمال، حتى يستحيل تغييره، ما دام مصدره هو العقل الإنساني؛ فهذا العقل يؤكد في كل لحظة نقصه، بسعيه الدائب نحو كشف المجهول "؛ فأغرى أستاذَنا الدكتور سعد مصلوح بتأمل عمله، مُتَحَفِّظًا منه بمثل قوله: " أشهد أن هذا المنهج أثار حفيظتي بالفعل، وليس حسنا أن تذهب هذه الدعوة الكريمة بَدَدًا دونما جواب؛ ومن ثم عمدت إلى بعض ما عن لي من ملاحظات،

لأجعله تحت بصر مؤلف الكتاب وقرائه؛ لعله ولعلهم واجدون فيها ما يقع في دائرة النقد البناء الذي يقوم المعوج ويسد الخلل".

ومنها عمله بكتابه "أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة"، الذي قال في أثنائه: "لا يطلق (لفظ إنسان) بمفهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير، وهو الذي يبدأ بوجود آدم -عليه السلام- وآدم على هذا هو [أبو الإنسان] وليس [أبو البشر]، ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله تمهيدا لظهور ذلك النسل الآدمي الجديد، اللهم إلا تلك العلاقة العامة أو التذكارية، باعتباره من نسلهم"؛ فأغرى أستاذَنا الدكتور محمد بلتاجي حسن بتأمل عمله، مُتَحَفِّظًا منه بمثل قوله: "قد حاكمنا كتاب الدكتور عبد الصبور إلى المعيار الذي قَبِلَه (مراعاة قداسة النصوص المنزلة وعدم مخالفة معلوم من الدين بالضرورة...)؛ فتهاوت مقولاته واحدة بعد الأخرى (...) فهل يعيد الدكتور عبد الصبور النظر في مقولات كتابه على ضوء ما فصلناه؟ نرجو ونام".

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

قال لي مرةً بعضُ تلامذتي: ألا تمر محاضرة من غير أن تذكر الأستاذ محمود محمد شاكر! إن كثرة ترديد اللسان علامة تعلق القلب، ولقد تعلق أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين بالدكتور إبراهيم أنيس؛ فلم يكن يترك

ذكره لنا، ولا يمله، تعبيرا عن أفضاله، وتنبيها على أعماله. لقد حظي بالجلوس إليه كما حظي غيره -وإن استفاد ما لم يستفيدوا- ثم حظي بإشرافه عليه في عمله برسالتيه للماجستير والدكتوراه جميعا، فكانت بينهما علاقة وثيقة طويلة، أَثَّرَتْ تأثيرا كبيرا في بناء تفكيره العلمي اللغوي وممارسته العملية التعليمية، حتى قال فيه من آخر مقدمة كتابه "أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي"، الذي كان رسالته للماجستير: "أسجل هنا عرفاني لأستاذي المغفور له الدكتور إبراهيم أنيس، على ما أمدني به من مراجع وتوجيهات كان لها أبعد الأثر في إنجاز مهمتي؛ فكثيرا ما دلني على وجهة الحق كما جنبني مزالق كثيرة، رحمه الله وجزاه عن العلم والمتعلمين جزاء العلماء! ولئن كان هذا البحث قد أُنْجِزَ في حياته، فقد كتب الله ألا ينشر إلا بعد وفاته، راجيا أن يكون ذلك رضا له في بَرْزَخِه". وقال من آخر مقدمة كتابه "تاريخ القرآن"، الذي كان الجزء الأول من رسالته للدكتوراه: "لست أريد أن أضع القلم قبل أن أسجل هنا عرفاني العميق لأستاذي الدكتور إبراهيم أنيس الذي عاش معي هذه المحاولة، دفعني إليها، وسدد خطاي في طريقها". وقال في أثناء مقدمته لكتابه "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، الذي كان الجزء الأخير من رسالته للدكتوراه: " قد انتقلت موجة البحث اللغوي هذه إلى الشرق على يد جماعة من الرواد، الذين تلقوا مناهجه في أوربا، ثم جاؤوا إلى الوطن، ليقدموا

إلينا ما تلقوه عن أساتذتهم في صور مختلفة. وكان في مقدمة هؤلاء أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس الذي يعد بحق أول من حاول تطبيق مناهج علم اللغة الحديث في الوطن العربي على تاريخ العربية الفصحى، وخرج لنا بجملة من الملاحظات النظرية، تدعمها الشواهد اللغوية، وبخاصة في كتابه "في اللهجات العربية"، كما درس عدة ظواهر لغوية هامة في كتابه " من أسرار اللغة"، وخصص كتابا ثالثا لدراسة الأصوات اللغوية، وكتابا رابعا لدراسة دلالة الألفاظ". وفي إهداء كتابه "المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي"، الصادر بعقب وفاة الدكتور إبراهيم أنيس في ١٩٧٧م، يقول: "أستاذي الدكتور إبراهيم أنيس، إلى روحك في الرفيق الأعلى، تحقيقا لأمل طالما تمنيته، ووفاء ممن علمته ورعيته، وعليك سلام الله ورحمته وبركاته".

وكذلك تعلق بالأستاذ محمود محمد شاكر الكاتب الأديب الفذ، وطاب لديه ذِكْرُه، حتى دعانا في بعض محاضراته إلى الاستشهاد بلغته فيما نستشهد لِلُّغة العالية. وحكى لنا أنه كان يتردد على مجلسه في أثناء ترجمته لكتب مالك بن نبي صديقه العالم الجزائري الفذ، فلا يجد لنفسه مكانا بين جبال الحاضرين الشامخة، ثم اتصلت بينهما الأسباب، حتى قال في مقدمة ترجمته لكتاب "الظاهرة القرآنية " لمالك بن بني: "كان من فضل الله أن تولى أستاذنا

الكبير محمود محمد شاكر، تقديم كتاب الظاهرة القرآنية إلى القراء، هذا التقديم الثمين، الذي يعد بحق من أروع ما كتب في مسألة اتصال بيان العرب في الجاهلية بقضية إعجاز القرآن. وإني لأرجو الله مخلصا، أن يتولى عنا جزاء أستاذنا، بقدر ما بذل من جهده وما ضحى من وقته، على عظيم تبعاته وخطر مسؤولياته". ولم يؤثر في تقديره هذا الكبير لبيان الأستاذ محمود محمد شاكر عن مسألة "اتصال بيان العرب في الجاهلية بقضية إعجاز القرآن"، ميله الواضح في البيان عن إعجاز القرآن، إلى الأستاذ سيد قطب خصيم الأستاذ محمود محمد شاكر، عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حميم الأستاذ محمود محمد شاكر، حتى قامت لديه بعض عبارات "في ظلال القرآن" للأستاذ سيد قطب، بـ"إعجاز القرآن" للأستاذ الرافعي؛ فلم تكن كتابة الأستاذ الرافعي الغامضة على جمهور القراء، لتعدل لديه كتابة الأستاذ سيد قطب الواضحة لجمهور القراء، على رغم اعترافه بغلبة كتابة الأستاذ الرافعي عليه، في مرحلة من حياته!

لقد أنتج له رضاه عن نفسه، ثِقَةً واضحةً فيها، وأنتج له سَخَطُه على حال أمته، جُرْأَةً واضحةً عليها، ثم تَأَيَّدَتْ تلك الثقةُ بتلمذته للأستاذ محمود محمد شاكر الذي رصد حياته لتَوْثيق تلامذته بما بين أيديهم، وتَأَيَّدَتْ هذه

الجرأةُ بتلمذته للدكتور إبراهيم أنيس الذي رصد حياته لتَجْريء تلامذته على ما بين أيديهم؛ فامتزج في شرابه المزاجان، والتأم في كسائه اللِّفْقانِ!

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

ما أحسن ما أحاط حياته العلمية بحياطة القرآن الكريم؛ فحصل في سنة ١٩٦٢م على الماجستير برسالة في "الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء"، نشرها فيما بعد بعنوان "أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي"، وحصل في سنة ١٩٦٥م على الدكتوراه برسالة في " دراسة صوتية في القراءات الشاذة"، نشرها فيما بعد على كتابين بعنواني "تاريخ القرآن" و"القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"... حتى أتاه في سنة ٢٠١٠م اليقين وهو منقطع لتفسير القرآن الكريم!

وفيما بين هذين الحدين كانت له أبحاث مختلفة مؤتلفة مقالات وكتب، منها: المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي. في علم اللغة العام. في التطور اللغوي. العربية لغة العلوم والتقنية. دراسات لغوية. عربية القرآن. المنهج اللغوي في كتاب سيبويه. دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكُمْتور. الألفاظ الأجنبية في اللهجة الكويتية. نظرة في اللهجات والقراءات في السودان. المستقبل الحضاري للغة العربية. القومية ضرورة عربية. الإنسان المسلم. أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة.

السنة والشيعة أمة واحدة. بل كانت له تحقيقات تراثية وتقريبات؛ منها تحقيق لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني، وتقريب إحياء علوم الدين للغزالي والرسالة للشافعي.

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

كيف حملته نفسه على تعلم الفرنسية حتى انضم وحده إلى معهد تعليمها، وكيف بالغ في طلبها فوق ما طلبها زملاؤه المنقطعون لها، وكيف صبر على ذلك واستسهل المصاعب! ما أَطْرَبَه حين حدثنا أنه خرج مرة إلى ذلك المعهد، فإذا السماءُ مَطَرٌ والأرضُ طينٌ؛ فلم يبال بالمضي في سبيله بنعليه القديمتين النافرتين، حتى أَثْقَلَتْ قَذائفُها الطينيَّةُ جِلْبابَه، وكادت تقلبه رأسا لعقب! ثم كيف أتقن الفرنسية فوق ما يطمح الطامحون، حتى حكى لنا أستاذنا الدكتور رجاء عبد المنعم جبر أنهما زارا فرنسا معا - ربما كانت المرة الأولى - فأقبل أستاذنا يكلم الفرنسيين بها استغربوا؛ حتى قال له أستاذنا الدكتور رجاء: تكلم العامة بالفرنسية الفصحى، وتنتظر أن يفهموك، أو كما قال!

ولقد كانت عينه كلما قرأ بالفرنسية، على ما يفيد أمته العربية الإسلامية، في تحريك واقعها، واستشراف مستقبلها؛ فهو يترجم أعمالا لغربيين عن الثقافة العربية الإسلامية، يريد بها أن نَرى أنفسنا في عيون الآخرين - كما في ترجمته لروجيه جارودي (فلسطين أرض الرسالات الإلهية)، وهنري فليش

(التفكير الصوتي عند العرب، العربية الفصحى) - ويترجم أعمالا لمسلمين عرب وغير عرب، عن الثقافة العربية الإسلامية، يريد بها أن نَرى كيف نُري الآخرين أنفسنا - كما في ترجمته لعبد الله دراز (دستور الأخلاق في القرآن الكريم) ومالك بن بني (الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، الفكرة الأفريقية الآسيوية، مشكلة الثقافة)، وكما في مراجعته وتقديمه لترجمة ظفر الإسلام خان لكتابه أبيه وحيد الدين خان (الإسلام يتحدى)، وما أَطْرَبَه حين لاحظ تلاقي عمل وحيد الدين خان وعمل مالك بن نبي (الظاهرة القرآنية)، على منهج واحد؛ فقال: "ذلك أن خطوات هذا المنهج بنفس الترتيب تكاد تكون طبق الأصل من كتاب أخرجته من قبل مترجما عن الفرنسية، هو كتاب "الظاهرة القرآنية" (...) وهي ملاحظة غريبة في المنهج لا تنصرف إلى مادة الكتابين (...) وتفسير هذا التوافق ينحصر في توارد الأفكار على مشكلة واحدة"، وهي بهجة من اطمأن قلبه إلى وحدة منطلقه وغايته. ويترجم أعمالا لغربيين في الثقافة الغربية، يريد بها أن نَرى نحن الآخرين أنفسهم - كما في ترجمته لبرتيل مالمبرج (علم الأصوات) - ولا يخلي أيا من ترجماته تلك، من مقدمات وتعليقات، يضبط فيها أمرها، بحيث يستقيم استيعابها، وتكتمل منفعتها.

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

لقد ألقى بين عينيه حَديثَيْ رسول الله -صلى لله عليه، وسلم!- "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه"، و"مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَه أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ"، ثم أقبل يعلم تلامذته، بحرا زَخّارًا فَيّاضًا سَمْحًا جَوادًا مَكينًا وَدودًا. وأنعم عليه الكريم -سبحانه، وتعالى!- بما ينعم به على أساتذة الجامعة، من نعمة سابغة لا يعرف قدرها كثير منهم، هي طلاب الماجستير والدكتوراه، الذين يستطيعون أن يؤسسوا لأستاذهم أساس مدرسة يمضون به فيها إلى آماد لا يصل إليها وحده؛ فعرف نعمته -سبحانه، وتعالى!- وشكرها؛ فقسم في جسوم تلامذته جسمه، ووزع في عقولهم هَمَّه!

لقد وجه رسائل بعضهم إلى القرآن الكريم، مثل: الرسم المصحفي: دراسة لغوية تاريخية، لغانم قدوري الحمد. اختلاف المصاحف: دراسة لغوية تاريخية، لعبد اللطيف السعيد يوسف الخميس. قراءة المدينة في القرن الأول الهجري: دراسة صوتية تاريخية، لأحمد مصطفى أحمد أبو الخير. دراسة لغوية إحصائية لأنماط الجملة البسيطة في القرآن الكريم، لمحمد رضا كاظم الطريحي.

ووجه رسائل بعضهم إلى ما بين القرآن الكريم والتوراة، مثل: أبنية المصادر في اللغتين العربية والعبرية واستعمالاتها في القرآن الكريم والتوراة، لصلاح الدين صالح حسنين. دراسة مقارنة لأساليب الاستفهام في العربية

والعبرية في ضوء ما ورد في القرآن والتوراة، لعبد الله علي مصطفى. داود وسليمان في العهد القديم وفي القرآن الكريم: دراسة لغوية تاريخية مقارنة، لأحمد عيسى الأحمد.

ووجه رسائل بعضهم إلى مادة اللغة العربية غير القرآن الكريم، مثل: اللغة العربية بين المذكر والمؤنث، لإبراهيم عبد المجيد ضوة. لغة أبي العلاء في رسالة الغفران، لفاطمة الحبابي. خواص لغة الطب عند الرازي كما تبدو في كتاب الحاوي، لمحمد يوسف حبلص. الألفاظ العلمية عند جابر بن حيان الكوفي: دراسة لغوية ومعجم، لفائق خلف سلمان. دراسة لغوية لصور التماسك في لغتي الجاحظ والزيات، ثم دراسة صوتية للأخطاء النطقية وأسبابها لدى طلبة دار العلوم واختيار التدريبات العملية المناسبة للعلاج، وكلتاهما لمصطفى صلاح قطب. الربط بين التراكيب في اللغة العربية المعاصرة، لمحمد حسن عبد العزيز. الألفاظ الدالة على الكلام في اللغة العربية المعاصرة: دراسة دلالية تأصيلية، ثم أفعال الحركة في العربية المعاصرة: دراسة دلالية تركيبية، وكلتاهما لمحمد إمام داود.

ووجه رسائل بعضهم إلى تاريخ اللغة العربية، مثل: العربية في العصر المملوكي: دراسة لغوية، لهويدي شعبان هويدي. اللغة العربية في عصر

الحروب الصليبية كما تمثلها كتب التاريخ: دراسة لغوية تاريخية، للبدراوي زهران.

ووجه رسائل بعضهم إلى ما بين اللغة العربية واللغة العبرية، مثل: الإسرائيليات في تفسير الطبري: دراسة في اللغة والمصادر العبرية، لآمال محمد ربيع. الشعر الديني العبري كما تمثله مزامير العهد القديم وعلاقته بالأدب العربي: دراسة لغوية مقارنة، لأحمد عيسى الأحمد. أبنية الجموع في اللغة العربية: دراسة مقارنة باللغات السامية، لأحمد شوقي النجار.

ووجه رسائل بعضهم إلى علماء اللغة العربية، مثل: ابن حزم لغويا، ليعقوب يوسف الفلاحي. ابن الطيب الفاسي وأثره في المعجم العربي مع تحقيق كتابه شرح كفاية المتحفظ، لعلي حسين البواب. كتاب مختصر القاموس المحيط لعلي بن أحمد الهيتي: تحقيق ودراسة، لأحمد مفرح السيد. التفكير اللغوي عند العرب قبل سيبويه، ثم النقد المعاصر للنحو العربي: دراسة لغوية، وكلتاهما لفتحي محمد جمعة. الفكر اللغوي بين سيبويه وابن جني: دراسة تأصيلية نقدية، لأشرف مصطفى رضوان. الدرس الصوتي عند موفق الدين بن يعيش في ضوء علم اللغة الحديث، لمنى إبراهيم صادق. جهود البلاغيين العرب في مجال الأصوات والدلالة في ضوء علم اللغة الحديث، لإبراهيم الدسوقي عبد العزيز. وحدة التحليل الصرفي بين القدماء والمحدثين، لمحمد أحمد حماد.

اتجاهات التحليل الفونولوجي في المدارس اللغوية المعاصرة مع محاولة تطبيقية على اللغة العربية، لأحمد عزت البيلي.

بل وجه رسائل بعضهم إلى بعض اللهجات العربية، مثل: الخواص التركيبية للهجة طرابلس الغرب ليبيا، لعبد الله عبد الحميد سويد. دراسة صوتية صرفية للهجة مدينة نابلس الفلسطينية، لمحمد جواد النوري. دراسة صوتية في لهجة قبيلة الشايقية، لبكري حاج أمين. الأصوات والأبنية في لهجة قبيلة العبابدة بمحافظة البحر الأحمر: دراسة في ضوء المنهج الوصفي، لخالد حسن أبو غالية.

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

أذكر أنني أرسلت إليه من مَكْمَني بغرفة عمليات لواء المشاة الميكانيكي ١٢٠ من الفرقة الثانية بالجيش الميداني الثاني، أوائل سنة ١٩٨٨م، أُعَبِّرُ له عن شوقي إلى محاضراته التي كان يُطَوِّفُ بنا فيها على معالم خبرته، يُعَرِّفُها لنا، وينقلها إلينا، قائلا: "ترحل بنا من علم الأصوات إلى علم الطائرات..."، وكلاما كثيرا كهذا، لا يعجب كثيرا من الطلاب الذين يرون خروج المحاضر عن حدود الكتاب المقرر، تَحْريفًا للكَلِم "مِنْ بَعْدِ مَواضِعِه"، حتى نابَذَهم التهمةَ بعضُ أساتذتنا، فسمّاهم "الكِتابِيّينَ"، وتلا عليهم: "يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ"!

لقد كانت محاضرته جرعة ثقافية كاملة مركبة، أفكارا وتجارب ورحلات وكتبا ورجالا ومواقف...، لا يفضل عنصر من عناصرِ مُرَكَّبِها عنصرا؛ فمن المعروف من طبائع الأشياء بالضرورة، أن لعناصر المركبات وجودا في مركباتها غير وجودها على انفرادها؛ لهذا كان لكلامه في أيٍّ من تلك العناصر، مذاق خاص عميق جليل مهيب. لقد كانت محاضرته صورة من شخصيته هو نفسه، وكان ملء الصورة، ملء السمع والبصر!

حاولت مرة أن أسجل محاضرته تسجيلا صوتيا -ولم يكن تسجيل المحاضرات شائعا كاليوم مألوفا مطلوبا، ولا حاولت أن أسجل لأحد غيره- فأبى! ربما أرادني أن أتقن الإنصات في الوقت، أو أن أتقن إيجاز الكتابة في أثناء الإنصات على طريقة ذوي المهارات المركبة؛ وكان ذلك التسجيل الصوتي شعار الطلاب الكسالى!

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

ما أظرفه خطيبا -وإنما ظَرْفُ هذه الأمة في لسانها- حاضر البديهة، لا تفلته النكتة، ولا تعجزه الملحة، حاد الصوت عميق نبوعه سليم مخارجه منغوم صفاته، قصير الجمل، عربي اللغة، واضح الأفكار مرتبها متدفقها، قرآني الأسلوب، نبوي الأناة! وما أطربه حين حدثنا أن عجوزا عجمية -ربما كانت من المستعربين حديثا- استوقفته مرة لتعبر له عن راحتها لخطابته الواضحة!

لولا خطابته بمسجد عمرو بن العاص بالقاهرة (أقدم مساجد أفريقيا)، خطبة الجمعة، ومجلسه بعدها، وكلمته بين التراويح في ليالي رمضان التي كان يؤم المسجد فيها مئات الآلاف - لذهب نصف ما انبعث للمسجد من صيت! خطيب موهوب واع مجدد لا يشغل الناس بما لا يفيدهم عما يتعلق به وجودهم ولا يجمد لهم فيما بعد الاستراحة على ما كان قبلها فيُمِلّهم، حَيَويّ المنهج غير منقطع إلى القديم ولا منقطع عنه بل مازج مزجا عجيبا بين القديم والحديث والطموح إلى المستقبل! لن أجد مثل بركة مجلسه ذلك المهيب بالمسجد بعد الجمعة، وقد حَضَرَه رَجُلٌ ليُسْلِم على يديه، فقال له: اغتسلت؟ قال: نعم. قال: هيا اشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله! فشهد الرجل، فكَبَّر الحاضرون، فكفكف من صخب تكبيرهم قائلا: ما لكم! ما لكم! الله أكبر دائما!

وما أصدق العامة في التعبير عن نعمة الله -سبحانه، وتعالى!- به عليهم! ذَهَبْتُ أوائلَ تسعينيّات القرن الميلادي العشرين، أعزي أستاذنا الدكتور سعد مصلوح عن وفاة زوجته، فإذا وفد المعزين كامل العَدَد، فيه الكبار والصغار، الأساتذة والطلاب، وإذا سرادق العزاء كامل العُدَد، فيه الخشب والقماش والمصابيح والمكبرات، وفيه قارئ القرآن، وفيه واعظ المُعَزّين! قرأ القارئ شيئا من كتاب الله، ثم قام الواعظ، فإذا هو من جهلة

الوعاظ وسخفائهم، يهذي بكلام لا يقبله لا عقلاء ولا مجانين، ولا مؤمنون ولا جاحدون، وبجانبي أستاذنا الدكتور محمد عبد المجيد الطويل يَرُدُّ سَخافاته واحدة واحدة لا يسمعه غيري ولا يعلم إلا الله كيف كَظَمْتُ ضَحِكي! وأمامي أستاذنا الدكتور إسماعيل سالم ينصح له أن يكتفي! فلم ينتصح، بل أفرط، فوقف له الدكتور إسماعيل، ونهره، فارتدع: وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم! ولمّا يستوفِ العزاءُ مَوْعِظَتَه؛ فاستوى في مكانه فجأة أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين، فتَدَفَّقَ ارتجالا بسَلْسبيل فُتوحاته، فسالَتْ بتَخاريف ذلك الواعظ المُسْتَأْجِرِ، حتى جاء شيخ هرم لا أعرفه إلى أستاذنا الدكتور سعد مصلوح يهنئه:

- الله، يا دكتور سعد! أرأيت كم يُحِبُّها رَبُّنا! أرأيت كيف يَسَّرَ للوَعْظِ في عزائها الدكتور عبد الصبور شاهين!

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

ما أَبَرَّ إشارته إلى فضل أبويه عليه، في إهداء كتابه "أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي"، قائلا: "إلى والديَّ في برزخهما بعدما غَرَسا فيَّ حياتهما، غَمَرَهما الله بالرحمة والرضوان؛ "كما رَبَّياني صَغيرًا "! عبد الصبور".

ولقد يكفي في الدلالة على بِرِّ ما بين الوالدين وابنهما، حفظُه القرآن الكريم وهو دون العاشرة؛ فإنه تاج كرامتهما في الآخرة، وتاج رقي درجته في الدنيا والآخرة.

ولولا كرامة والدي حافظ القرآن، لم يكن سبيل إلى مكافأة فضلهما، إلا بأن ينجب مثلما أنجبا، ويُفْضِل على أبنائه مثلما أَفْضَلا، لتستمر سبيل ذلك حتى يرث الله -سبحانه، وتعالى!- الأرض ومن عليها. ولقد فهم أستاذنا ذلك، وسعى في سبيله، حتى قال في إهداء كتابه "العربية لغة العلوم والتقنية": "إلى أولادي: محمد عمرو، وهشام، ومروان، وأميرة، ولبنى -آملا أن تكونوا بسبب من العلم النافع، وداعيا أن تكون ثمرته فيكم نعمة العلم بالله، وشرف العمل الذي ينفع الناس - دعوة كانت من جدكم لأبيكم في قبلة الأزهر الشريف، ثم ها أنتم أولاء أورثتموها؛ الحمد لله! عبد الصبور". فسبيل العلم النافع الممهدة، متصلة من والد أستاذنا إلى أبنائه، محروسة باليقين والإخلاص والإتقان والثبات والرضا.

وكما أَيَّدَتْ والدَه فيما سبق والدتُه، أَيَّدَتْهُ زَوْجَتُه؛ فلم يكن لينسى فضلها عليه، بل تَحَبَّبَ إليها في إهداء كتابه "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، قائلا: "إلى زوجتي، وفاء بحقها، وعرفانا بفضلها، وإني لأحس في أعماقي أن ما منحتنيه من عون ورعاية، هو مثال تأتسي به بنات حواء، من رافقت منهن أحدا من العلماء أو الباحثين". ولم يكن الودود - سبحانه، وتعالى!- ليخيب مسعاهما، بل أنبت لهما أبناءهما نباتا حسنا، وجعلهما بهجتهما الدائمة، وعونهما الحاضر، حتى لَيَعْتَمِدُ على بعضهم، في بعض أعماله

الخاصة، قائلا في أوائل ترجمته لكتاب "علم الأصوات"، لبرتيل مالمبرج:

"يسجل المُعَرِّبُ الوالِدُ شكره خالصا لابنته الآنسة أميرة الطالبة بكلية الطب جامعة القاهرة، على إنجازها الممتاز لما حفل به الكتاب من رسوم إيضاحية"، غير مستغن عن أن يعيد ذلك في أواخرها، قائلا في إطار مزخرف: "أنجزت هذه الرسوم والأشكال الإيضاحية، الآنسة أميرة عبد الصبور شاهين، وأضافت إليها رسما إيضاحيا للأذن وأجزائها السمعية، هو الذي يجده القارئ ملونا على غلاف الكتاب، كما يجده ملحقا بدراسة الأذن ص ٤٠-٤١، دون أن يأخذ رقما مسلسلا بين رسوم الكتاب"!

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ،

وَلَمْ يَحْرِمْنا أَجْرَه، وَلَمْ يَفْتِنّا بَعْدَه!

آمين!

أجل، صار أَثيريًّا!

"سلام عليكم، طبتم"،

من مسقط،

في ٢٦/ ١/ ١٤٢٣هـ=٨/ ٤/ ٢٠٠٢م.

بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله، وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم، حتى نلقاهم.

أجل!

صار مجلس أبي مذود، رقميًّا أثيريًّا، ولكن متى؟

لقد انتقلت في منتصف نوفمبر، من العام الغابر، إلى مساكن الجامعة، لمّا سُرق مسكني السابق للمرة الثانية. ومن ألطف ما هنا أنني جار مسكن الدكتور أحمد كشك -أحسن الله إليه، وبلّغه هو والدكتور حماسة، سلامي!- الذي نهلنا فيه من علمه وفنه وكرمه وذوقه- أسكن الفيلا التي سكنها الأستاذ الدكتور طه عبد العليم - إضافة إلى فراهة المقام، وقرب مكتبة الجامعة المستمرة من الصباح إلى المساء، ومكتبي بالكلية، وكأنني أعيش زمان المدينة الجامعية، بل مكتبي أقرب، هذا الذي استحدثوا لي فيه أحدث الحواسيب، ووصلوني بدائرة الاتصال العالمية (الإنترنت) التي لا يستعصي عليها لا مكان ولا زمان، ولا مقروء ولا مسموع ولا سواهما = فأقبلت أتعلم تلك التقنيات التي لم تتيسر

لي من قبل، لا هناك ولا هنا، فأنجزت ما كسل عنه غيري، وتبين أنني لم يمنعني منه لا عجز ولا فجور!

أكتب الآن أعمالي كلها على الجهاز، أبحاثا ومحاضرات، ومقامات ومقالات، وقصائد، وأراسل بها جهات مختلفة، وأتلقى مثلها، واشتريت طابعة أخرج بها أية مادة من موات الأرقام على الجهاز، إلى حياة الكلمات على الأوراق.

كان ذلك كله متاحًا بتكاليفه لمن شاء، كسلتُ عنه من قبل، فنشطتني إتاحته لي في مكتبي مجانا؛ فهو همي وسدمي ليلا ونهارا: "مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَتِّي"، كما استشهد لحالي صاحبٌ عاجز عنها!

لم ألق بالا لما تضيعه علي السكنى بالجامعة، من بدل الانتقال الكبير الذي يَسعى إليه ويحتفي به غيرنا، لا زهدا بل مللا، حتى إنه ليخطر لي كثيرا أن أرجع إلى دار العلوم الجليلة؛ فأشتد في صحبتكم، وفي زيارة من بقي من العلماء والفنانين، وفي التعلم والعلم والتعليم، عسى أن أستدرك ما فاتني مما حصلتموه دوني =فتقول لي أم براء وبعض إخواني: باب رزق لا يتأتى كل وقت، كيف تغلقه؟ فأرى لنفسي عندئذ، أن هذا المقام الذي صرت إليه، أعون على الصبر.

هنيئا لكم أبحاثكم التي يستحيل علي مجاراتكم فيها، وإنه لرأي صائب أن تنتظروا حتى تتنسموا المرتبة العالية، أو تتسنموها، وعندئذ أجد رائحتها، وإن رائحتها لتكون من خلالكم.

وهل يرتاب أحد في فرحي لكم بذلك كما فرحت من قبل!

أي عبيس، كيف ترى تلامذتك هنا وهناك وهنالك وهاهنالك، أم كيف تجد أخذهم عنك، أكما وجدَنا أساتذتُنا، أم أحسن، أم أسوأ؟ لله زمان لم ندركه، حنّ إليه ضيقا بنا، مولانا الدكتور بلتاجي!

حدثني في ذلك، وفي سائر أحوالك؛ "إن الحديث طرف من القرى"، ثم أخبرني عن بحث المؤتمر وصنيع الدكتور الطويل به، كما طلبت من قبل فلم تجب، ثم اسلم لأبي براء!

أحسن الأسماء

- صباحك نور وسرور، أستاذي ودكتوري الفاضل!

رزقت أختي مولودة، وقد طلبت مني أن تختار لها اسما مميزا، جزيت خيرا!

- الله الله الله!

ما شاء الله، لا قوة إلا بالله!

بورك في الموهوبة، وشكرتم الواهب، ورزقتم برها، وبلغت أشدها!

الأسماء كثيرة. ولولا اختلاف الأذواق ما كانت كذلك! فأحب أسماء البنات إليّ أسماء بناتي (رِيم، رِهَام، سُرَى)!

- رزقك الله برهن، وحفظهن، وأطال في عمرك -يا رب- وأنت في أتم الصحة والعافية!

- وقد أبدع أهلنا السوريون في هذا كثيرا؛ فعندهم: رغد، رهف، أسيل، عنان، لمى، جنى، أريج، رزان، بشرى، مرام، رفيف، رفاء، رسيم، سراء...

- جزيل الشكر، أستاذي الفاضل!

أحمد بخيت

إن فتًى أشعل قلبي حبُّهْ

من صوته الأبيض يهمي صَوْبُهْ

لله أنت كيف لي بما لكْ

أنت كشفت لي به جمالكْ

في اجتماع جماعة شعر كلية دار العلوم الأول عام ١٩٨٥ -وكنت في أوائل عامي الثالث- أنشدت قصيدة قَدامية ذَيَّلْتُها بقول عَبيد بن الأبرص:

"وَعَبْلَةٍ كَمَهَاةِ الجُوِّ نَاعِمَةٍ كَأَنَّ رِيقَتَهَا شِيبَتْ بِسَلْسَالِ

قَدْ بِتُّ أُلْعِبُهَا وَهْنًا وَتُلْعِبُنِي ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَهِي مِنِّي عَلَى بَالِ"،

ثم رجعت إلى مقعدي وقد ضج الحاضرون بطرافة الإنشاد تصفيقا، ليليني شاب أسمر حديث عهد بالكلية -وإن تبين لي فيما بعد أنه أسنُّ مني- استسمحنا أن ينشدنا قصيدة قالها منذ عام -فيكون قد قالها في عامه الثانوي الثاني- وأنشدها ثم رجع إلى مقعده وقد ضج قلبي بطرافة شعره تصفيقا، ليليه غيرنا.

ثم دُعي إلى المنصة كل من أنشد، واصطفوا أمام الحاضرين، ليُخيِّروا ويُختار منهم علانيةً من يكون مقررَ جماعة الشعر، فاختار كلٌّ من شاء، حتى

إذا أدركني الاختيار آثرتُ على نفسي ذلك الشاب الأسمر، الذي كان"أحمد بخيت"!

ثم ضرب الدهر ضرَبانه، فصرت معيدا بالكلية، وصار أحمد بخيت معيدا بكلية دار العلوم من جامعة الفيوم، ثم استقالها، ولكن بعد أن جمع بيننا فن الشعر وعلمه وأخونا الحبيب الدكتور مصطفى عراقي حسن -رحمه الله، وطيب ثراه!- الذي كان يفرح بنا وينشط معنا لذَرْعِ شوارع القاهرة ومحافلها ذهابا وإيابا؛ حتى تقاربنا كثيرا، بحيث صرنا نتناشد قصائدنا ونتناقدها، ويطلب مني أحمد بعقب صدور كتابي الشعري الأول "لُبْنَى"، صورة خاصة يقرنها بما ينوي أن يكتبه عنه، وينشدني قطعة من شعره -ضمَّنها فيما بعد "الليالي الأربع"، كتابه الشعري الصادر ٢٠٠٧، عن دار اكتب المصرية- أُنكر منها شيئا؛ فيذهب بنِيَّتِه تلك إنكاري هذا!

والآن أقلب "الليالي الأربع"، فأجد هذه التعليقة المكتوبة في ٢٩/٨/٢٠٠٨:

"قف! منذ أسبوعين تماما اختتمت ليالي الصراع على لقب أمير الشعراء ذي المليون الدرهم الإماراتي وخاتم الإمارة وعباءتها، وكان أحمد بخيت في معمعتها يعدو كأنه وحده إلا من شخوص ينصفها أن تقدمه هي على أنفسها. كان كلما ظهر وجدت نسيمَ رضًا وبهجة وراحة يشملني أنا وأسرتي، نتعصب

له بحقه، ونلهث له دفاعا عنه، ثم بعدما أخذ منا الفرح والانتصار مأخذه، أخره نظام الجائزة الجائر، وقدم عليه من لا يساوي الشعر الذي شَعَرَه! لقد اختير ثالثا بثلاثمئة ألف درهم، فتقدم يشير بإصبعه عندئذ إلى نفسه: أنا! غير مصدق أن أُبعد عن الأَوَّلِيَّة صعودًا من أسفل! عيني عليك، يا أخي، لم تُؤتَ مِن فنِّك، بل من عصبية القبلية التي استنفرها الشاب الموريتاني في أهله الطيبين وغيرهم، ثم التي أَنِفَتْ أن ينال اللقبَ أخيرا مصريٌّ كالذي ناله أولا"!

وأنوي الكتابة عنه مطمئنا -إن شاء الله- أن لن يذهب بنيتي هذه شيء!

أدب

تلبَّثْتُ اليوم في البيت بعقب الإفطار قليلا، لأجمع أسرتي على مادة تثقيفية نافعة، فأقعدت على الأريكة أم براء وعن يمينها سُرى وعن يسارها رِهام، ثم أقعدت على الأرض بَراءً من تحت رجلَيْ أمه، وفُراتًا من تحت رجلَيْ أخته رِهام، ونَفْسي من تحت رجلَيِ ابنتي سُرى، ثم قلت:

- لتهنئك الجنة يا براء فاشبع منها ما لم أشبع من أمي، فأما أنا وأنت يا فرات فلْنَتَفَيَّأْ ما ينبغي لكل عربي مسلم قائم على حماية عِرْضه!

أدب السيرة الذاتية

- أبرز سمات أدب السيرة الذاتية الناجح:

– يتعلق كثيرا بأحد الأعلام الذين شغلوا الناس في بعض مجالات حياتهم، ويتعلق أحيانا بغير الأعلام الذين يشغل الناس نمط حياتهم؛ فلابد من عَلَم، فهذا النمط هنا هو العَلَم المقصود.

– يتعلق بأحداث خاصة جدا من أحداث حياة ذلك العَلَم.

– يغلب على تلك الأحداث الخاصة جدا، إثارة الانتباه، وربما كانت إثارتها لهذا الانتباه من عدم توقعها!

– تتحرك تلك الأحداث الخاصة كلها، في إطار طريق وصول العلم إلى ما شُهِرَ به.

– بروز الرؤى الخاصة في كل شيء، ولا سيما فيما لا يخص ما شهر به العلم.

- مكان أدب السيرة الذاتية:

– يلزم من تلك السمات السابقة، أن يكون " أدب السيرة الذاتية"، جنسا أدبيا وإطارا عاما، يجوز أن تتحرك داخله الأنواع الأدبية، من مثل القصة والرواية.

- ولقد كان ينبغي أن يكون " أدب السيرة الذاتية"، من أجناس النثر لا الشعر؛ إذ الشعر كله سيرة ذاتية على نحو ما، ولكن طبيعة الثقافة المعاصرة هدمت حواجز ما بين الأجناس، فتداخلت الفنون.

• سبل التوفيق في أدب السيرة الذاتية، بين حياتي الأديب الأدبية والاجتماعية:

- أن يختار لأدبه مشكلات دون أخرى؛ فحياته مُنْطَوى العالم الأكبر، ولن يصعب عليه أن ينهل منها ما لا يعوق مضيه في عمله من دون قطع العلاقات الاجتماعية، إلا أن تكون فاسدة واجبة القطع.

- أن يُعَمِّيَ بعض الأسماء، من غير أن يفقد أصل التصريح بالأسماء؛ فمهما كانت الأعمال فوق الأسماء، فإن الأسماء أجذب من الأعمال!

- أن يتحرى التثقيف البَنّاء؛ فلم يعد أحد يخفى عليه فرق ما بين كاتب مغرم بفضح الناس وإيذائهم، وآخر مشغول بالنصيحة للناس ومنفعتهم؛ والحلال بين والحرام بين.

أسئلة مثيرة للجدل في اليوم العالمي للغة العربية

(حوار مجلة الإنجاز البنغالية)

- لماذا يُعجز القرآن بنغمه العربي من يستمع إليه حتى من لا يفهم العربية؟

- لكل لغة إيقاع خاص متعلق بطبيعة حياة أصحابها، ثم لفنونها اللغوية في إطار ذلك الإيقاع إيقاع أخص، لا تختلف في ذلك اللغات، حتى تتميز حياة بعض الأمم، فتتميز لغاتها، ثم فنونها اللغوية. وهكذا كانت الأمة العربية، ثم لغتها، ثم شعرها ونثرها؛ إذ تدرجت في مدارج التذوق اللغوي حتى اتخذته دينا تتدين به وتحتكم إليه، ثم نزل عليها كتاب الحق -سبحانه وتعالى!- مراعى فيه ذلك المرتقى الرفيع الذي ارتقت إليه؛ فكان أشد خصوصية من فنونها اللغوية نفسها، أصواتا ومفردات وأبنية وتراكيب وموضوعات، وأشد تكاملا، بحيث تقاضى العربَ أداءَه بنحو من الأداء لا يؤدون به شيئا من كلامهم، وجرت بذلك سنة رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- فكان إذا أُدِّيَ تميز لهم ولغيرهم، حتى إذا تعلم العربية غيرُ العربي ازداد لذلك فهما وبه إيمانا وتصديقا وتسليما.

- صنفت اللغة العربية أكثر اللغات انتشارا، هل ارتباطها بالقرآن هو السبب؟

- لا ريب في أن للقرآن الكريم أثرا كبيرا؛ إذ كيف يعرف إنسان أن في العالم كلاما يدعي حملته أنه كلام رب العالمين الخلاق الرزاق الفتاح العليم –سبحانه، وتعالى!– ثم يَقَرّ له على جهله بالعربية قرار، إلا أن تفتنه الدنيا وزبانيتها! ولكن ينبغي ألا ننسى أن حضارة حملة القرآن الكريم من الفاتحين السابقين، الذين حكموا في زمانهم أكثر الأرض، قد كانت ملأت الدنيا وشغلت الناس، رضا وسخطا، وحدبا وكيدا، جميعا معا؛ فكانت لهم بلغتها –وما زالت– عناية ورعاية. ثم الآن يشتغل أعداؤها بالتنفير عنها والتخويف منها، فإذا السحر قد انقلب على الساحر، وازداد إقبال الناس عليها رغبة في اختبار تلك المزاعم. ولاريب مع ذلك في إقبال كثير من الماديين عليها طمعا في الاستيلاء على موارد أهلها.

- هل كان الاستشراق هو الدافع الأول وراء تعلم اللغة العربية أم دخول الناس في دين الله أفواجا؟

- من الناس من تعلم العربية تدينا –وهؤلاء هم المسلمون– ومنهم من تعلمها كيدا لها ومكرا بها –وهؤلاء هم المستعربون من المستشرقين–

ومنهم من تعلمها اختبارا لما يشاع عنها –وهؤلاء هم عقلاء المثقفين– ومنهم من تعلمها طمعا في موارد أهلها، وهؤلاء هم التجار وأعوانهم.

- لماذا تشعبت اللغة العربية لهجات كثيرة وبقيت مرتبطة بالأصل الفصيح، على عكس اللهجات التي تنفصل عن أمهاتها وتصبح لغات مستقلة؟

- تطور اللغات قانون طبيعي غالب، لا تستعصي عليه لغة –مهما كانت وكان أهلها– يؤدي إلى تفرعها على لهجات لا تلبث أن تستقل بأنفسها عن أصلها لغاتٍ كاملة اللغوية منقطعة عن أصلها، لا تلبث أن تتفرع هي نفسها كذلك فيما بعد، وهكذا دواليك– غير أن بعض اللغات تختص بخصائص في نفسها أو تحظى بأحوال فيما حولها، تسوس قانون التطور ذلك سياسة تعدل من مساره قليلا أو كثيرا. ومن خصائصها في نفسها أن تكتمل لها أدواتها أصواتا ومفردات وأبنية وتراكيب وموضوعات. ومن أحوالها فيما حولها أن تتخذ هوية يكون بها متكلمها ما يكون ويصير ما يصير. وكلتا الخصيصتين أُوتِيَت اللغةُ العربية؛ فبقيت على رغم لهجاتها وبها، حيةً مؤثرة.

- خطا التجديد في اللغة العربية معجما ودلالة خطوات متأنية على عكس اللغات الأوروبية مثلا؟

- ينبغي لكل لغة ترجو أن تحيا وتؤثر، أن تستوعب مع القديم الجديد، ساعية إلى مستقبل أفضل منهما. وإذا انصرفت إلى القديم جمدت، والجمود موت. وإذا انصرفت إلى المستقبل انقطعت من أهلها والانقطاع تيه، وإذا اقتصرت على الحاضر ضعفت والضعف ذل. ونحن إذا ذكرنا اللغة فإنما نعني أهلها، وأهلُ أية لغةٍ هؤلاء الذين يرضون أن يذلوا أو يتيهوا أو يجمدوا! وليس الأمر بالتمني، ولأمر ما تدهورت بأهل العربية أحوالهم، حتى صاروا يتكففون الأمم ما يترجمونه إلى لغتهم، غفلة أو جهلا. ولكن من بين فرث ودم يستنفر الحق إلى التفقه والتنبيه طائفته!

- ما المعايير التي يجب على الكتاب والأدباء والأساتذة مراعاتها عند الكتابة أو الحديث لجمهور غير عربي حديث عهد باللغة العربية؟

- ينبغي لمن يتحدث بالعربية إلى المبتدئين من غير العرب ويكتب، أن يستحضر حال الأطفال؛ فيختار من الأصوات والمفردات والأبنية والتراكيب والموضوعات، أقربها وأسهلها، ويحرص على التخفف والتأني والتبيين، ولا بأس بأن يكرر العبارة، مستعينا بها سبق استيعابه مضيفا إليه ما لم يُستوعب بعد، فيأخذ بعض ذلك بيد بعض إلى تمام

الفهم. ولاريب مع ذلك في أهمية معرفة لغات المتحدث إليهم، حتى يستفيد في تعليمهم العربية، مما بينها وبينهن من جوامع وفوارق.

- ما نصيحتكم لطلاب الجامعات ذوي التخصصات العربية من الجاليات الإسلامية غير العربية؟

– دائما أنصح للراحلين إلى البلاد العربية من طلاب علوم اللغة العربية الفصحى وفنونها، ألا ينخدعوا عن الفصحى بالعامية، هذا موقف عام لا محيد عنه. ولكنني مع ذلك أنصحهم أن يتعلموا من عامية البلد الذي سيرحلون إليه ويقيمون فيه؛ فأما الفصحى فلغة الأمة التي يقصدونها، وأما العامية فلغة هذا الشعب الذي سيقيمون فيه، وهي على أية حال إحدى بنات الفصحى، اللواتي ربما أعنّ على معرفة أمهن والعناية بها. ولسوف تعينهم على الفصحى أعمالها المكتوبة ومجالاتها الإعلامية الخاصة –فلْيجمعوها ولْيستوعبوها!– فأما العامية فمطروحة في الطرقات يستعملها القروي والبدوي والبر والفاجر!

- لماذا اختيرت العربية دون غيرها للاحتفاء بها على مستوى العالم؟

– لم تنفرد اللغة العربية بتخصص أحد أيام العام للاحتفال بها؛ فقد سبقتها لغات اعترفت لهن منظمة اليونسكو العالمية بالعالمية، فاختصت كلا منها بيوم احتفال. ولكن لم يكن ينبغي للمنظمة العالمية أن تؤخر

اللغة العربية هذا التأخير، ولكنها حكمة الصراع الدنيوي الذي لا بقاء فيه إلا للأقوى؛ إذ كانت المطالبة بيوم احتفال العربية قد تقدمت، ولكنها أهملت، حتى انتصر المسلمون العرب على الصهاية (١٠/ ٩/ ١٣٩٣=٦/ ١٠/ ١٩٧٣)؛ فاضطرت المنظمة أن تُمضي المطالبة!

- اتخذ خريجو العربية وطلابها في بنجلادش هذا اليوم مبادرة إلى التحدث بالعربية ومزاولة أنشطة لنشر الثقافة الإسلامية فما توجيهك لهم في ذلك؟

– أرى أن يعيشوا اللغة العربية هذا اليوم معيشة كاملة، نوما ويقظة، وجوعا وشبعا، وصمتا ونطقا، وقولا وكتابة، وكرها وحبا، وسخطا ورضا، وهدما وبناء، حتى لقد تطرف بعض المتحمسين لذلك بالدعوة إلى تعليم الشتائم العربية، من حيث ينبغي أن تستولي اللغة العربية على مظاهر الحياة المختلفة.

- ما مدى أهمية وجود مجلة كمجلة الإنجاز تكتب بالعربية وتنشر الثقافة الإسلامية في مجتمع بنجلادش؟

- إن هذه المجلة التي ينبغي أن تتعدد مجلات مجلات مجلات، شعار انتهاء البنغال إلى هذه الأمة الإسلامية، منذ اتخذوا الإسلام دينا، والقرآن كتابا، ومحمدا رسولا، صلى الله عليه، وسلم! شعار كالأذان العربي:

وَلَنْ تَزَالَ أُمَّتِي عَلَى الْجَوَى مُصْطَبِرَةْ

أَذَانُهَا آذَانُهَا مُصْغِيَةً مُنْتَظِرَةْ

تَسْتَنْجِزُ الْوَعْدَ إِذَا كَبَّرَ حَتَّى تَنْصُرَهْ

لقد لقيت بسوق المدينة المنورة من حي الكردي حيث كنت أقيم منذ ثمانية أعوام، شابا بنغاليا يسخر من العرب محتجًّا بقول بعض جهلاء المصريين: العَرَب جَرَب! فقلت له: ألا تحب رسول الله، صلى الله عليه، وسلك؟ قال حَفِيًّا: بلى! ومحبة البنغال لرسول الله –صلى الله عليه، وسلم!– عظيمة معروفة مشهورة. قلت له: فكيف لا تحب العرب وهو عربي، ثم هو الذي أوصانا أن نحب له العرب! وهو من قبلُ ومن بعدُ القائل: "لَيْسَتِ الْعَرَبِيَّةُ بِأَبٍ لِأَحَدِكُمْ وَلَا أُمٍّ؛ إِنَّمَا الْعَرَبِيَّةُ اللِّسَانُ؛ فَمَنْ تَكَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ فَهُوَ عَرَبِيٌّ"، صدق رسول الله، صلى الله عليه، وسلم!

استعمال الرموز الرقمية

يا ما أهون استعمالك تلك الرموز!

لقد انفتح التعبير الآن على ما صار يسمى التعبير الرَّقْمي، الذي يختلط فيه الكلام والصور والأصوات، اختلاطا مثيرا! وإليك موقعنا "اتحاد كتاب الإنترنت العرب"، الذي دعانا إليه منذ ست سنوات حتى أَشْرَكَنا فيه، الدكتور محمد سناجلة، الطبيب الأديب الأردني، وهو داعية حثيث إلى ما سماه الأدب الرقمي!

لا ريب في أن التعبير الرقمي أثرى بأمزجته من التعبير الكلامي، ولكن لا ريب أيضا في أن إشراك غير الكلام في التعبير، يفقد الكلام بعض ما كان يستفزه حتى يُفَجِّرَ كنوزه تفجيرا!

استقرار المكانة

أواخر خمسينيات القرن الميلادي العشرين استقر بالدكتور كمال بشر مجلسه من أحد مدرجات كلية دار العلوم بمبناها القديم الكريم، وأقبل يهدر بما تلقاه عن فيرث أستاذه الإنجليزي الكبير، من دقائق نظريته في اعتبار المعنى اللغوي ودلالة السياق، فإذا طالبٌ نائم يقطع عليه بغطيطه هديرَه وكأنْ لا أثر لأيٍّ من هذه التهاويل الحديثة؛ فصاح فيه: تنبه؛ فتنبه!

ثم كان من الطالب في المحاضرة اللاحقة ومنه، مثلُ ما كان في السابقة، ثمتَ كان في الثالثة مثل ما كان في الأولين -قال الدكتور محمود محمد الطناحي- فطلب منه أن يأتيه في مكتبه.

هرول الطالب إلى الدكتور كمال بشر بمكتبه، وقد أيقن بضياع العام أو المادة أو اليوم، فإذا أستاذه يتلطف به سائلا: ما لك كلما حضرت محاضرتي نمت! فقال: وماذا يفعل من سهر الليل كله يعمل ليعول أبويه وإخوته! فاضطرب لكلامه الدكتور كمال بشر، وطلب الأخصائي الاجتماعي، وخصص له مرتبا يغنيه عن عمل الليل!

وقد علم ذلك محمود محمد الطناحي فيمن علمه من الطلاب -قال- فكانت للدكتور كمال بشر في أنفسهم مكانة لم تمحها الأيام وأقرانها، ولا الخصوم وأقوالها!

أسماؤنا

تَسمى العربي محرما وصفَرا وربيعا ورجبا وشعبان ورمضان وحجّاجا (ذا الحجة)، وكأنما يتمسك إذ ذاك بالحياة العربية، يدل عليها، ويستدل بها!

اسمَّى أسماء ثمانية أشهر بتسعة من الاثني عشر، ولولا كراهة الجمود الذي في جمادى باثنين والقعود الذي في ذي القعدة، ما أهملهما من تَسمِّيه!

ثم قليلا قليلا تفلتت من تَسمِّيه أشهرُه مثلما تفلتَت عروبته! وعلى أثره سعى المسلم غير العربي، حتى تجاوزه إلى تَسمِّي بعض الأشهر الأعجمية!

نعم؛ فقد لقيت بجاكرتة من إندونيسية "أوغسّلام"، أستاذ اللغة العربية الذي ولد بأوغسطس، فلم يشأ أن يهمل الشهر الذي ولد فيه؛ فجعل له نصف اسمه!

ولا أستبعد أن يصنع العربي فيما يستقبل مثل صنيع المسلم غير العربي، حتى تَخلص أسماؤهما أخيرا للأشهر الأعجمية، فنجد على المقاعد أمامنا يناير في مايو ومايو في يناير!

أشواك

إقالة

أولَ رئاستي للجامعة -إن شاء الله-

سأقيل منها كل من أهمل شكاوانا،

خائفا أن تُعديه سِحَنُنا!

إحالة

أولَ وزارتي للتربية والتعليم -إن شاء الله-

سأحيل الثالثة الثانوية إلى نظام المنازل (من منازلهم)؛

فلا منفعة في شغل المدارس بها والمدرسين عبثا،

بعدما انتقلت إلى البيوت والمراكز الخاصة!

تسريح

أولَ وزارتي للشباب والرياضة -إن شاء الله-

سأسرِّح اللاعبين من نواديهم إلى أحيائهم،

ولا أعيدهم إليها حتى ينهضوا بها!

منع

أولَ وزارتي للتعليم العالي والبحث العلمي -إن شاء الله-

سأمنع الجامعات من تكرار التناول المدرسي الجزئي،

لتتفرغ للتناول الفلسفي الكلي!

إيجاب

أولَ وزارتي للتخطيط -إن شاء الله-

سأوجب العمل بعد الفجر،

وأكافئ على النوم بعد العشاء،

وأستحسن بعض القيلولة!

اصطفاء

أولَ وزارتي للثقافة -إن شاء الله-

سأصطفي لكل ثقافة خبيرا بها قديرا على عرضها،

وأنظم بين الخبراء مناظرات دورية علنية!

إنصاف

أولَ وزارتي للإعلام -إن شاء الله-

سأجعل لكل كيانٍ معتبرٍ في قانون الإحصاء،

شبكيّةً وفضائيةً وإذاعةً وصحيفةً!...

انتصاف

أولَ قيادتي لفريق البحث العلمي -إن شاء الله-

سأحكم للمتقن -وإن كان تلميذا- على المهمل -وإن كان أستاذا-

فأستبقيه دونه، وأوفيه حقوقه المادية والمعنوية، ظاهرة غير خفية!

استبدال

أولَ رئاستي للجنة الشعر -إن شاء الله-

سأستبدل بأعضائها: ثلثا من شعراء المستقبليين، وثلثا من شعراء الحداثيين،

وثلثا من شعراء القداميين-

حريصا على اختلافهم وائتلافهم!

أصالة

حدثني أستاذي الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف -رحمه الله، وطيب ثراه!- عن أستاذنا جميعا الدكتور محمود الربيعي -أطال الله في النعمة بقاءه!- أنه بعدما آب من رحلته في طلب الدكتوراة الإنجليزية، كان شديد السخط على أهل كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، لا يفتأ ينعى عليهم تخلفهم المتردي برداء الدين، حتى إنه دخل عليه مرةً غرفته، فهاله أن رآه يصلي على مكتبه، فأنَّبه وسخر من اعتذاره عن ذلك بتحريه طهارة المكان!

وقد اشتد ذلك على الدكتور حماسة اشتداد محبته للدكتور الربيعي، ثم ضرب الدهر ضَرَبانه، وارتاح إلى حضن دار العلوم ابنُها الأصيل بارًّا حفيًّا، حتى لقد دخل عليه مرةً غرفته الدكتورُ حماسة، فوجده يصلي على مكتبه مثلما رآه يصلي!

أطفال

(نثر الشعر شعر النثر)

فَجْرُ ابْتِسَامٍ عَلَى لَيْلِ ابْتِلَاءَاتِ فَأْلُ مُؤَاتٍ وَرَايَاتُ انْتِصَاراتِ

أَفْدِي سَمَاءً لَهَا أَشْوَاقُكُمْ ضَحِكَتْ فَكَرَّمَتْكُمْ بِدِينِ الرَّحْمَةِ الْآتِي

فَأَطْلِقُونِيَ مِنْ جَهْلِي وَهَا أَنَا ذَا خَدِّي مَدَاسٌ إِلَى أَقْصَى الْفُتُوحَاتِ

صغيرين بريئين اصطحبنا فرحا، وجلسنا إلى الدنيا معا، ننهل من حلوها ومن مرها غافلين راضيين. وكنا إذا ضحكت لأحدنا وعبست للآخر، أذبنا عبوسها في ضحكها، وشربناهما بمزاج الفرح ضحكا خالصا!

ثم كبرنا، ورأى كل منا نفسه في غير مرآة صاحبه أكبر منها في مرآته، وتدسس وحده إلى الدنيا من قبل أن تستوي في مجلسها، طمعا في ضحكها؛ فاستخفته، وتلعبت به وحده عبوسا وضحكا، ولم يكن شيء أسرع إليه من اتهام صاحبه؛ فلا نتراءى إلا متغاضبين متحاقدين!

يا ليتنا لم نكبر، أو لم نصطحب!

أَعْجَبُ الْعَجَبِ فِي نَشْرِ الْكُتُبِ

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللهُ وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِ

الحارث بن عُبَاد

١

أعلنتُ في ٢٦/ ٣/ ٢٠١٦ رغبتي في سَلْسَلَةِ طائفة من المقالات، في نقد طبعة ٢٠١٦ الأولى من "مظهر الخافي في علمي العروض والقوافي" لسعيد بن خلفان الخليلي العلامة العماني، الذي حققتُه ودققتُه وفهرستُه ودَرَستُه لوزارة التراث والثقافة العمانية، ووكلتْ طباعتَه إلى مجموعة مسقط- قائلا:

"انتظرونا تنتظروا سلسلة ملتهبة، في مصيبة إضافة الناشر المتحكم، سبعة فهارس فاضحة، إلى ثلاثة فهارس المحقق الكافية"!

ثم حبّرتُ منها للفيسبوك المقال الأول على هاتفي هذا الغبي، تحبير الغاضب المستشيط، ثم فجأة اختفى منه وكأن لم يكن، فلم أجزع لذلك، وجعلته من ألاعيبه المعروفة المكشوفة التي عرفتها من قبل وكشفتها وتعوّدتها. ولكنني فتشتُ عنه فلم أعثر له على أثر! وإذا بي قد حَشَدْتُ على واجهته النوافذ المفتوحة، ثم بطَرَفِ إبهامي اليسرى مَسِسْتُ علامة الحذف؛ فانحذفَ بَتَّةً بلا رجعة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

جعلت ذلك من حسن تقدير رب العالمين؛ فقد انتبهت إلى ضرورة إطلاع الوزارة على الأمر من قبل أن أخوض فيه، خشية أن يكون غاب عني ما يقدح في دعواي؛ فكتبت لأحد المسؤولين:

"أ.م.ط، السلام عليكم! لعلك بخير! ألم نتفق على الكتاب وكفاية ما هو عليه! ألم يراجعه معي أ.ع.إ! كيف إذن أضيفت الفهارس السبعة بعد فهارسي، دون أن أعرف، ودون أن تُعرض عليّ لأراجعها، وقد انتسبَتْ إليّ! يؤسفني أن أخبرك أنها فضائح لا فهارس! ماذا أفعل الآن! اسمح لي، ولا تغضب مني؛ سأكتب في الموضوع. وقد ذكرته للأستاذ ح.ر ولم يرد علي فيه بشيء، ولا أقبل أن أتحمل أوزار هذه الفضائح. ولا حول ولا قوة إلا بالله"!

فأجابني:

"وعليكم السلام د.محمد! يؤسفني ما تصرفت به المطبعة في حق هذا الكتاب دون الرجوع إليك. وحقيقة أن هذه المطبعة عليها مخالفات كثيرة في كتب أخرى. واليوم حضر إلى مكتبي أ.ع.إ، ولمته على فعلهم في الكتاب وكتب أخرى. وسوف نقطع تعاملنا معهم في المناقصات المقبلة. أكرر اعتذاري، ولك الود والتقدير".

فكتبت إليه:

"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته! أهلا بك أ.م.ط، وسهلا ومرحبا! بارك الله فيك، وشكر لك! كلمني أ.ع.إ، فطلبت مجيئه الخميس بين ١١ و٢. ولكن دعه عنا الآن! أطالب الوزارة الآن بجمع نسخ الكتاب وإتلافها، حرصا على مقام كتاب الشيخ العلامة المحقق الخليلي، ودفعا لما وقع عليّ من ضرر كبير لا يليق بتلميذ محمود محمد شاكر -رحمه الله!- المحقق الفذ. وسوف أكتب بمشيئة الرحمن سلسلة مقالات في هذا التصرف -ومعه غيره مما اكتشفتُه- أرفعها فيما بعد لسعادة وكيل الوزارة، حتى يأخذ لنا جميعا حقنا ممن جنى علينا، مؤلفا ومحققا وناشرا. وعلى الباغي تدور الدوائر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والسلام"!

واليوم الخميس ٣١/ ٣/ ٢٠١٦ جاءني بمكتبي أ.ع.إ مسؤول مجموعة مسقط وعندي أ.سالم البوسعيدي تلميذي الدكتورويّ العماني النجيب، يسمع، ويرى، ويشارك، ويشهد!

سألني أ.ع.إ عن خبر الفهارس، فقلت له:

ألم تأتني بالتجريبيّة متعجلا تطلب توقيعي عليها لتدركوا إخراج الكتاب للناس في معرض مسقط الدولي؛ فمررنا عليها معا سريعا، ونبهتك على مشكلة عدم تنسيق أطراف أبيات المنظومة على أطراف أبيات الشرح، ثم على مشكلة سقوط أرقام فهرس أبيات الشرح، وعلى غير ذلك؛ فطمأنتني؟

قال: بلى.

قلت: فمن أين جاءت هذه الفهارس السبعة المضافة إلى فهارسي الثلاثة الكافية المنسوبة إليّ ظُلما وعُدوانا؟

قال: صدقت؛ لم تكن هذه الفهارس بالتجريبيّة التي نظرنا فيها معا سريعا، ولم أعرف أنا عنها شيئا، بل فوجئتُ بها في الكتاب كما فوجئتَ أنت!

قلت: الله أكبر! وكيف نسبوا إليّ ما لم أعمل! هلّا طلبوا إليّ عملها، أو عرضوها علي بعدما عملوها، أو نبَّهوا عند طباعة الكتاب على أنها من عملهم لا عملي!

قال: إنها من عمل شركائنا في لبنان، ولديهم دكتور متخصص للفهارس، سبق له أن فهرس بعض الكتب العمانية الصعبة، وقد جرت عادتنا على إضافة مثل هذه الفهارس إلى الكتب المحققة.

قلت: دون علم المحقق؟

قال: نعم.

قلت: فإن دكتورك هذا جاهل أو خائن، وإن إضافاته هذه فضائح لا فهارس!

ثم ذهبت أعرض عليه عشراتِ ما أخذتُه على هذه الفهارس من مآخذ بشعة. بل زدته مآخذ أخرى من الإخلال بأمانة الطباعة، يصح فيها قول

العرب: "إِذَا جَاءَتِ السَّنَةُ جَاءَ مَعَهَا الْغَاوِي وَالْهَاوِي"، الدالّ هنا على أن الأخطاء البشعة حين تقع من المهملين، تصحبها أخطاء أخرى كثيرة، يأخذ بعضها برقاب بعض!

٢

أول الفهارس المضافة "فهرس الآيات القرآنية الكريمة"، باثنتي عشرة آية مرتبة على سورها، وفي ذيله "فهرس الأحاديث النبوية الشريفة"، بحديث واحد. ولاريب في جلال حضور هذا الفهرس حين يحضر، ولا في سطوع بيانه من سائر وجوه البيان العربي حين يشرق. ولولا استطراد المؤلف إلى تفصيل بعض المسائل اللغوية واستشهاده عليها بالقرآن والحديث -وهو نادر جدا- ثم بركة هذا الفهرس على المحقق المخلص حين يخالط فهارسه- لكان الأولى ألا يضاف إلى الفهارس العروضية، إلا أن يستطرد المؤلف إلى نظام الإيقاع في القرآن والحديث، على مثل ما اتسعت له ندوتنا الدرعمية المعروفة به:

(http://mogasaqr.com/?p=1967)،

وكفى بإدراج الدُّكْتُورِ الْمُطْبَعِيِّ الْمُفَهْرِسِ الآية التي تَبَرَّكتُ بها في ختام مقدمتي، دليلَ غفلةٍ عن ذلك كله!

ثالث الفهارس "فهرس الأعلام"، بأربعة عشر ومئة شَيْءٍ لا عَلَمٍ، مرتبة أَلْفَبِيًّا على أوائلها، أكثرها أسماء واردة في شواهد المؤلف الشعرية وأمثلته النظمية، ومن داخل هذه الأسماء أعلام فاقدة العَلَمِيَّة، كما في البيت المنسوب إلى الأسود بن يعفر:

إِنَّا ذَمَمْنَا عَلَى مَا خَيَّلَتْ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ وَعَمْرًا مِنْ تَمِيمْ

فكلا "سَعْد" و"عَمْرو" عند الدُّكْتُورِ المُطْبَعِيِّ المُفَهْرِسِ، عَلَمان مطمئنان في موضعيهما (س، ع) من فهرس أعلامه، وإن قَلِقَ "عمرو" قليلا، من رسمه له على "عمر"، لأنه رآه في البيت "عَمْرًا"، ولا علم له بالعروض إلا احتراف الفهرسة، فظنَّه مفتوح الميم وهو مُسكَّنُها!

وكما في هذا البيت المصنوع للتعليم:

وَقَدْ رَأَيْتُ الرِّجَالَ فَمَا أَرَى مِثْلَ زَيْدِ

فـ"زَيْد" عند الدُّكْتُورِ المُطْبَعِيِّ المُفَهْرِسِ، علم مطمئن في موضعه (ز)، من فهرس أعلامه!

وإنما فقدت هذه الأعلام عَلَميّتها من حيث لا تعني لنا -أو لا نعني بها- شيئا معينا غير إنسان أي إنسان متصف بما اتصف به أو بما نُقدِّرُ أنه متصف به، ولاسيما في مقام الاستشهاد والتمثيل العروضيين- مهما يكن ما تعنيه لقائلي هذه الأبيات الشعرية والمنظومة- فلا موضع لها في فهرس الأعلام!

ومن داخل هذه الأسماء أيضا صفات غير أعلام، كما في قول الحطيئة:

وَغَرَرْتَني وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِي الصَّيفِ تَامِرْ

وقول امرئ القيس:

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزِّلِ

فكلا "كُمَيْت"، و"تَامِر"، عند الدُّكْتُورِ الْمُطْبَعِيِّ الْمُفَهْرِسِ- عَلَمان مطمئنان في موضعيهما (ت، ك) من فهرس أعلامه، وليست "تَامِر" غير صفة امتلاك التمر التي اتصف بها زاعِمُ الحطيئة، ولا "كُمَيْت" غير صفة كُمْتَة اللون التي اتصف بها حصان امرئ القيس؛ فلا موضع لهما في فهرس الأعلام!

ومن هذه الصفات مثال العروضيين:

وَمَا لَيْثُ عَرِينٍ ذُو أَظَافِيرَ وَأَسْنَانْ

أَبُو شِبْلَيْنِ وَثَّابٌ شَدِيدُ الْبَطْشِ غَرْثَانْ

فـ"أَبُو شِبْلَيْنِ"، عند الدُّكْتُورِ الْمُطْبَعِيِّ الْمُفَهْرِسِ، عَلَم من حيث الكُنيةُ عَلَمٌ، وفي صدر هذا الاسم "أبو"، فهو كُنْية! وغفل عن أنه مضاف إلى نكرة، مؤول هنا مثل تأويل "ذو أظافير"، الذي نجا من فهرسته، مُنْسَلِكٌ معه في سِلْك أوصاف الليث؛ فجعله بمنزلة "أَبِي الْأَشْبَالِ"، كُنية الأسد المعروفة!

ولقد أَقْدَمَ بالدُّكْتُورِ الْمُطْبَعِيِّ الْمُفَهْرِسِ اطمئنانُه إلى جهله البشع، على خيانة من ائتمنوه على فهرسة الكتاب؛ فاحْتَطَبَ لهم ما لا صبر لقارئ عليه،

واعيًا كان هذا القارئ أو غافلا، مثلما فعل بقول المؤلف: "يُحْكَى أَنَّ ابْنَهُ رُؤْبَةَ كَانَ يَقُولُ: لُغَةُ أَبِي هَمْزُ الْعَالَمِ"، يدرأ عن أبيه عيب من عابوا بسِنَاد التأسيس قولَه:

"يَا دَارَ سَلْمَى يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي

فَخِنْدِفٌ هَامَةُ هَذَا الْعَالَمِ"؛

فعلى همز كلمة "الْعَالَمِ"، هكذا: "الْعَأْلَمِ"، تستوي القافيتان ["عَأْلَمِ" و"مَ اسْلَمِي"=دن ددن]، و"لَا يَكُونُ فِيهِ سِنَادُ تَأْسِيسٍ لِعَدَمِ تَأْسِيسِ أَحَدِهِمَا"، أو كما نقل المؤلف.

فلقد فَكَّرَ الدُّكْتُورُ الْمُطْبَعِيُّ الْمُفَهْرِسُ "وَقَدَّرَ -فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ- ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ"، فإذا "أبو همز العالم" في فهرس أعلامه!

إي والله "أبو همز العالم"، أخو أبي عثمان الجاحظ!

قلت لأخي الدكتور طارق سليمان: ما أشبه هذا بما يتندَّر به المصريون من قول أحد القراء الحمقى: "اللهمَّ صَلِّ على سيدنا نَكْتَلْ"، استنباطًا اهتدى إليه -وفُرِقَ له عنه- من قول الحق -سبحانه، وتعالى!- على لسان إخوة يوسف لأبيهم في أخيهم "بنيامين" شقيقه: "أَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ"!

قال: ومتى يمكن أن يكون مولد "أبي همز العالم" هذا!

قلت: عام تحقيق الهمزة!

قال: فإذا خُفِّفَتْ؟

قلت: إذا خُفِّفَتْ ماتَ فيها!

٣

رابع فهارس الدُّكْتُورِ الْمُطْبَعِيِّ الْمُفَهْرِسِ، فهرس الكتب ذو الأربعة والثلاثين شيئا، الذي كان ينبغي أن يقتصر على ما وقع في كلام مؤلف الكتاب. ولم يطمئن منها فيه غير هذه الخمسة:

"الخزرجية" لعبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي، و"الخلاصة" لابن مالك، و"الكافي في علمي العروض والقوافي" للخواص، و"مقاليد التصريف" للخليلي المؤلف نفسه، و"الوافي بحل الكافي في علمي العروض والقوافي" للعمري.

ولقد أعاد الدُّكْتُورُ الْمُطْبَعِيُّ الْمُفَهْرِسُ كتاب "الكافي" كاملا بعدما ذكره ناقصا؛ فصار الكتاب الواحد كتابين! وقبل أن يَذكر في الواويّات كتابَ العمري "الوافي بحل الكافي"، ذكره في الكافيّات معكوسا هكذا "الكافي بحل الوافي"، منسوبا إلى الخليلي؛ فصار الكتاب الواحد كتابين مختلفين لمؤلفين مختلفين، وإن وقع عكس العنوان خطأً بتذييل الناسخ التأريخيِّ نفسه، الذي أوردتُ في مقدمتي صورتَه وأعدت كتابته دون تنبيه عليه، ولكنني نبَّهت من

بعده على سوء نسخته، وكان ينبغي ألا يفوت ذلك الدُّكْتُورَ المُطْبَعِيَّ المُفَهْرِسَ، ما دام جريئا على إضافة ما لم أعمله!

فهذه سبعة أشياء، أما السبعة والعشرون فعلى ثلاثة أقسام:

- أولها أسماء كتب وقعت فيما نقله المؤلف من شرح العمري لكتاب "الكافي" الذي نظمه المؤلف، وهي ثمانية مَنْ أَخْلَصَ فهرسَ الكتب للمؤلف أَهْمَلَها، ومَنْ شَابَهُ بما نَقَلَهُ لسكوته عليه اعْتَبَرَها!
- ثانيها أسماء كتب وقعت في مقدمتي، وهي ثلاثة عشر: بعضها للمؤلف، وبعضها عنه، وبعضها لغيره استطردت في مقدمتي إلى ذكره.
- ثالثها أسماء كتب مكذوبة، وهي ستة تستحق التنبيه عليها فيما يأتي، وحدا واحدا:

١ "أَلفيَّة ابن مالك"، في نقل المؤلف عن العمري: "قد وقع هذا الاشتباه لبعض شراح ألفية ابن مالك، منهم شيخنا المرحوم الملا عبد الله السندي"؛ فما هو غير أحد عناصر المركب الاسمي الإضافي. فإن تَحَكَّمَ الدُّكْتُورُ المُطْبَعِيُّ المُفَهْرِسُ كان الأولى بالموضع "شرح ألفية ابن مالك للسندي"!

٢ "الجِناس المُصحَّف"، في نقل المؤلف عن العمري: "ذكرت بهذين البيتين ما نظمه الشيخ جمال الدين بن نباتة في الجناس المصحَّف، وليس فيه شيء من عيوب القوافي كالبيتين المتقدمين، وهو قوله:

سَادَتِي مَا كَانَ أَجْمَلَ شَمْلِي فَأَصَابَتْ ذَلِكَ الشَّمْلَ عَيْنُ

يَا لَهَا عَيْنَ رَقِيبٍ أَصَابَتْ فَمَتَى أُبْصِرُهَا وَهْيَ غَيْنُ"؛

فما هو غير مصطلح على أحد فنون البديع المعروفة!

٣ "الزَّبُور"، في مثال العَروضيِّين:

"مُقْفِرَاتٌ دَارِسَاتٌ مِثْلُ آيَاتِ الزَّبُورِ"؛

فما هو غير أحد عناصر تشبيهات الأطلال القديمة المعروفة!

٤ "عَجائِب الحياة"،

٥ و"عَرِّجْ على باب الكَريم"،

في تعريف المؤلف؛ فما هما غير قصيدتين استطردتُ في مقدمتي إلى تمثيل شعره بهما، ثم أحلت على ديوانه المذكور في مسرد كتب التحقيق!

٦ "مَقْصُورة ابن دُرَيد"، في نقل المؤلف عن العمري: "يجوز أن تكون رَوِيًّا، ومنه مَقْصُورَةُ ابْنِ دُرَيْدٍ المشهورة"؛ فليست غير قصيدة مَثَّل بها ما بُنِي من القوافي على رَوِيِّ الألف!

خامس فهارس الدُّكْتُورِ المُطْبَعِيِّ المُفَهْرِسِ، فهرسُ الأماكن والبلدان ذو الثلاثة والعشرين شيئا، الذي كان ينبغي أن يقتصر كذلك على ما وقع بكلام المؤلف. ولا يطمئن منها فيه غير هذين المترادفين:

"العروض"، و"مكة".

أما الواحد والعشرون شيئا فعلى قسمين:

- أولهما عشرة وقعت في مقدمتي، أَعجبُها أسماء بعض المؤسسات العلمية (جامعة السلطان قابوس)، والإدارية (دار المحفوظات)، والطباعية (المطبعة العمومية، ومطبعة الألوان وإن سقطت من اسمها "أل").
- والثاني أحد عشر وقعت في شواهد الأبيات الشعرية والنظمية، مثل "العَقيق" في قول جَميل:

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْعَقِيقِ مَعًا إِذْ أَتَى رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهْ

ومثل "عُمان" في مثال العَروضّيين:

دَارُ سَلْمَى بِشِحْرِ عُمَانِ قَدْ كَسَاهَا الْبِلَى الْمُلَوَانِ

وهذه الأسماء في هذا المقام العَروضيّ الاستدلالي، مثل أسماء الناس الواقعة من قبلُ في شواهد الأبيات الشعرية والنظمية، أعلامٌ فاقدة العَلَميّة، ولكن الناس لا يرتاحون لإطلاق "الأعلام"، إلا على أنفسهم، و"الخَلْقُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"؛ صدق الله العظيم! [سورة غافر: من الآية ٥٧].

٤

سادس فهارس الدُّكْتُورِ الْمُطْبَعِيِّ الْمُفَهْرِسِ، فهرس القبائل والجماعات ذو الاثنين والأربعين شيئا، الذي كان ينبغي إذا مَسَّتْ إليه حاجة المقام، أن يقتصر على ما وقع بكلام المؤلف من أسماء القبائل المعتبرة والجماعات المنزَّلة منزلة القبائل. وإنما تمس الحاجة بأن يكون المقام للترجمة والتأريخ والرواية، لا للتفصيلات العلمية الخالصة! إن مَثَل مورد فهرس القبائل والجماعات في مقام التفصيلات العلمية العروضية، كَمَثَل مورد فهرس المصطلحات العروضية في مقام الترجمة والتأريخ والرواية! ثم كان فهرس أعلامه السابق، جديرا بأن يغنيه عنه!

ولا يطمئن من الاثنين والأربعين شيئا في هذا الفهرس، غيرُ عشرين، إذا أَخْليناها من تكرار بعضها لبعض كالعروضيين وعلماء العروض بعد أهل العروض والنحاة بعد علماء النحو، ومن إغناء بعضها عن بعض كفصحاء العرب بعد العرب والعلماء بعد تفصيل طوائفهم- لم يبق منها غير هذه الأحد عشر فقط: "أهل البيان، أهل العروض، أهل اللغة، بنو عبد المطلب، بنو

هاشم، العرب، علماء التصريف، علماء النحو، الكوفيون، المتكلمون، المحدَثون"!

أما الاثنان والعشرون شيئا فلا موضع لها في فهرسه:

إذ كيف تطمئن ["آل بغيض" و"آل ليلى"]، اللتان وقعتا في هذين البيتين مِن تَمْثيل العروضيين:

"جَزَى اللهُ عَبْسًا عَبْسَ آلِ بَغِيضٍ جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ"،

"عفَا مِنْ آلِ لَيْلَى السَّهْبُ فَالْأَمْلَاحُ فَالْغَمْرُ"؛

فأخذهما الدُّكْتُورُ المُطْبَعِيُّ المُفَهْرِسُ، فجعلهما في فصل الألف من فهرسه، ولا كيان معروفا لآل ليلى هذه المُعمّاة، ولا لآل بغيض أولئك المُهمَلين من الاعتبار الحقيقي!

أم كيف تطمئن "أصحابنا"، التي وقعت في نقل المؤلف عن العمري:

"جَمَعَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْفُضَلَاءِ الْعُيُوبَ السَّبْعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ:

عُيُوبُ قَوَافِي الشِّعْرِ يَا صَاحِ سَبْعَةٌ عَلَى فَهْمِ مَعْنَاهَا تَوَكَّلْ عَلَى الْكَافِي

سِنَادٌ وَإِكْفَاءٌ وَإِقْوَا إِجَازَةٌ وَخَامِسُهَا الْإِيطَا وَتَضْمِينُ إِصْرَافِ"؛

فأخذها الدُّكْتُورُ المُطْبَعِيُّ المُفَهْرِسُ، فجعلها في فصل الألف من فهرسه، وليست غير إشارة مُعمّاة إلى من كره العمريُّ تسميته، ولم يبال الخليلي

بمعرفته، على وجه من التدليس لم يكفَّ عن استعماله أحدٌ مهما كان زمانه ومكانه ومجاله!

أم كيف تطمئن ["طلاب علم الشعر"، و"طلاب علم العروض"]، اللتان وقعتا في مقدمتي لا متن المؤلف، فأخذهما الدُّكْتُورُ الْمُطْبَعِيُّ الْمُفَهْرِسُ، فجعلهما في فصل الطاء من فهرسه، ولا والله ما خطر لي ببالٍ أن تزداد الجماعةُ بهما تفرقا!

أم كيف تطمئن "كُلَيْب"، التي وقعت في قول مُهَلْهِلٍ من استشهاد العروضيين:

"يا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْبًا يا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرارُ"؛

فأخذها الدُّكْتُورُ الْمُطْبَعِيُّ الْمُفَهْرِسُ، فجعلها في فصل الكاف من فهرسه، من بعد أن جعل "بَكْرًا" في فصل الباء! إنه إذا كان خطأً اشتمالُ فهرسه من بيت الاستشهاد على "بَكْر"، فإن اشتماله منه على "كليب" لغفلة واضحة؛ فـ"بكر" فيه قبيلة، و"كُلَيْب" فرد، إلا أن يَدَّعِي أنه قَبيلةٌ في فَرْدٍ، فيكون بدعواه هذه أشعر من مهلهلٍ نفسه، ورحم الله الأصمعيَّ وأبا عمرو ابن العلاء كليهما جميعا!

ذاك، ولا كـ"وزارة التراث والثقافة العمانية"، التي لا ينقضي منها في فهرس القبائل والجماعات عجب القارئ: أهي من القبائل أم الجماعات! أم

يطمح الدُّكْتُورُ المُطْبَعِيُّ المُفَهْرِسُ، إلى إحياء وجه معاصر من العصبية القبلية، يمكننا تسميته العصبية الوزارية، يتعصب فيه للوزارة موظفوها، ويا ما أفصحه من خطأ!

٥

سابع فهارس الدُّكْتُورِ المُطْبَعِيِّ المُفَهْرِسِ وآخرها، فهرس المصطلحات والكلمات المشروحة (المشروحات)، ذو الستة والخمسين والخمسمئة الشيء، الذي اختلط فيه عملُ المؤلف بعمل المحقق، وكان ينبغي أن يختص لعمل المؤلف وحده، أو أن ينقسم لعمليهما على فهرسين مختلفين، أو أن يشتمل على ما يميز بعضهما من بعض؛ فلكل منهما مصطلحاته ومشروحاته التي لا يستقيم دونها عمله، ولا يكتمل.

ولا يماري عاقل في أهمية هذا الفهرس الشديدة أحيانا، ولاسيما إذا كان فهرس الموضوعات كليًّا إجماليًّا، لا جزئيًّا تفصيليًّا كفهرسي الذي اشتمل على ثمانية وثمانين ومئة عنوان، أغلبها مصطلحات، وإن لم تمتنع على من شاء زيادة التجزيء والتفصيل.

إن فهرس المصطلحات فهرس العلماء المتخصصين المتمكنين الذين يستطيعون وحدهم تمييز المصطلحات والتنويه بها والتنبيه عليها. وإن فهرس المشروحات فهرس القراء المتحققين بما يقرؤون الذين لا تندّ عنهم من

المشروحات نادَّةٌ، ولا تشرُد شاردة، ولاسيما إذا تفرّدتْ في موضعها. وهل يطمح محقق المخطوط بعمله إلى أكثر من أن يُعَدَّ في العلماء والقراء جميعا معا، بحيث تَحفظ عليه قراءتُه خدمةَ القارئ غير المتخصص، كما يَحفظ عليه علمُه خدمةَ القارئ المتخصص!

ولقد خلط الفهرسين بعضَهما ببعض في فهرسٍ واحدٍ، الدُّكْتُورُ المُطْبَعِيُّ المُفَهْرِسُ؛ فأفضى إلى مجموع كبير، لم يكن يضرُّه اقتسامه ولا اجتزاؤه -وهو الذي لم يَتحرَّج في فهرس الأحاديث النبوية الشريفة من اقتصاره على حديث واحد!- ولكنه تَهرَّبَ مما بَغتَه، فَآدَه، وفَدَحه، ولم يملك له حيلةً، ولم يهتدِ سبيلا، إلا سبيلَ التَّدليس!

نعم؛ فإخفاءُ المصطلحات في المشروحات مثلُ إخفاء المشروحات في المصطلحات، تدليسٌ مثل تدليس إخفاء أسماء الأعلام في الأسماء المبهمة!

ولقد لفتتني عن تمثيل تدليس الدُّكْتُورِ المُطْبَعِيِّ المُفَهْرِسِ ذَيْنِ التدليسين (خلط عمل المؤلف بعمل المحقق، وخلط المصطلحات بالمشروحات)- خيانتُه من ائتمنه، بتضمين فهرسه هذا، عشرات الكلمات التي لا هي مصطلحاتٌ ولا مشروحاتٌ!

- تُرى أَمِنَ المصطلحات أم المشروحات "آتَيْنَاهُ"، في نقل المؤلف عن العمري: "وَعلَى الْفَصِيحِ فالْهَمْزَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كَلِمَةِ "آخَر"، مُبْدَلَةٌ أَلِفًا مَحْضَةً مِثْلَ "آتَيْنَاهُ" وأَخَواتِها"، التي استفتح بها فهرسه الدُّكْتُورُ الْمُطْبَعِيُّ الْمُفَهْرِسُ!

وليست غير مشبه به!

- أَثَمَّ من المصطلحات أم المشروحات "أَوْ لَا"، في بيت منظومة المؤلف: " أَوْ لَا فَلِلطَّرَفَيْنِ اسْتُجْمِعَا وَلِصَدْرٍ أَوَّلٌ وَلِثَانٍ عَجْزًا اخْتَزِلِ"، الذي قال بعقبه: "قَوْلُهُ "أَوْ لَا"، أَيْ لَا يَنْجُو مِنَ الزِّحَافِ"!

وليست غير تعبير مَنْظوميّ موجَز!

- أَثَمَّتَ من المصطلحات أم المشروحات "الْبَالِي"، و"مَشِيبُ"، و"سُرْحُوبُ"، في نقل المؤلف عن العمري: "وَهِيَ كَحَرَكَةِ بَاءِ "الْبَالِي" وَهِيَ الْفَتْحَةُ، وَحَرَكَةِ شِينِ "مَشِيبُ" وَهِيَ الْكَسْرَةُ، وَحَرَكَةِ حَاءِ "سُرْحُوبُ" وَهِيَ الضَّمَّةُ فِي الْأَبْيَاتِ السَّالِفِ إِنْشَادُهَا فِي مَبْحَثِ الرِّدْفِ"، أراد أبيات امرئ القيس فعلقمة الفحل فامرئ القيس، الآتية:

"أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّها الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعُصُرِ الْخَالِي"،

"طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ"،

"قَدْ أَشْهَدُ الْغَارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمِلُنِي جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةُ اللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ"،

التي مَثَّلَ بكلمات قوافيها تلك، حركاتِ الحذو الممكنةَ، وتَجَوَّزَ في تمثيل فتحتها بفتحة باء "الْبَالِي" من آخر صدر بيتها، وحقها أن تُمثل بفتحة خاء "الْخَالِي"، من آخر عَجُزه؛ ولكن لَمَّا كان البيت مصرَّعًا (متشابهَ أواخرِ الشطرين وزنًا وقافية)، وكان العروضيّون ربما اكتفوا بنصف البيت إذا أغنى عن سائره، أناب عن عَجُزه صَدْره، وعن "الْخَالِي" "الْبَالِي"!

وليست غير أمثلة!

- أَثَمَّتَ من المصطلحات أم المشروحات "صِلْ بِجَزْئِهِمُ"، في بيت منظومة المؤلف:

"وَذَاتُ جَزْءٍ وَصُحٍّ صِلْ بِجَزْئِهِمُ تَرْفِيلَ خَبْنٍ مُذَالًا صِحَّةً تَصِلِ"!

الذي شرحه بقوله: ""صِلْ بِجَزْئِهِمُ"، أَيْ صِلْ هَذِهِ الْعَرُوضَ بِمَجْزُوءِ أَحَدِ هَذِهِ الْأَضْرُبِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي سَتُذْكَرُ -إِنْ شَاءَ اللهُ!- وَهِيَ الْمَخْبُونُ الْمُرَفَّل، ثُمَّ الْمُذَالُ، ثُمَّ الصَّحِيحُ"!

وليست غير تعبير مَنْظوميّ موجَز!

ألأن المؤلف أعاد ذكر بعض تعبيرات منظومته الموجزة عند شرحها، فميزتُ نصوصها من شروحها بعلامات التنصيص المعروفة (" ")، يضمِّنها فهرسَه الدُّكْتُورُ المُطْبَعِيُّ المُفَهْرِسُ!

لقد كان الكتاب كله -وليس غير شرح تعبيرات منظومة موجزة- جديرا إذن بفهرسه هذا القَمَّاش القَشَّاش!

٦

تلك كانت سبعة الفهارس الفاسدة التي لم أُسْتفتَ فيها ولم أُدعَ إليها ولم تُعرضْ عليَّ، حتى صادفتها في الكتاب مطبوعة منشورة موزعة، إلى ثلاثة الفهارس الكافية التي صنعتها -وهي مع فهرس الموضوعات أربعة- فلم يكن أشبهَ بها من "السَّنَة (الجَدْب)" في مَثَل العرب: "إذا جاءتِ السَّنَةُ جاء معها الغاوي والهاوي"!

نعم؛ فقد مسّتْ فهارسي فهارسُ الدكتورِ المطبعيِّ المفهرِسِ بذَفَرٍ من فسادها حتى أَعطنتْها:

- فإذا مراتبُ عناوين فهرس الموضوعات على موضعين فقط من أسطرها، لا ثالث لهما، تلتبس فيهما الفروعُ بالأصول، وفروعُ الفروع بالفروع- من بعد أن جريتُ في تفريع بعضها من بعض، على أربعة مواضع:

أولها للمقدمة وقسمَي العروض والقافية والخاتمة وإجمال الفهارس، والثاني لأبواب القسمين، والثالث لفصول البابين، والرابع لمباحث فصول البابين.

- وإذا تكرارات موارد الأبيات التي حشدتُها في فهرس أبيات الشرح، فكان منها الثنائيّ كبيت امرئ القيس:

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَنُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ،

والثلاثي كبيته هو نفسه:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ،

والرباعي كمثال العروضيين:

أُولَئِكَ خَيْرُ قَوْمٍ إِذَا ذُكِرَ الْخِيَارُ،

فيسرتُ للقارئ العثور على البيت -مهما كانت مواضع وروده- قد انحذفت إلا واحدا غير محدد الموضع من الموارد، وكأنما نَفَسَ علينا جدولَنا الخصيبَ الُمحكمَ، ولم يستطع أن يحذفه؛ فأفسد طَرفًا من خِصْبه وإحكامه، وأراح نفسه الأمّارة من عناء التفتيش!

- وإذا أحد عناوين مسرد كتب التحقيق التي جريتُ على تثقيلها وجرى الدكتورُ المطبعيُّ المفهرِسُ على تحميرها مع تَثقيلها، غيرُ مُحمَّر ولا مُثقَّل، وإذا به خطأٌ صُراحٌ أخطأتُه أنا إذْ أسقطتُ كلمة "ابن" فصار -وهو شرح أبيات سيبويه- للسيرافي، وهو لابنه، كما ذكرتُ في موضعه من حواشي

ص٣٠٥. وإذْ قد انتبه الدكتورُ المطبعيُّ المفهرِسُ إلى خطئي هذا، وجب عليه أن يُصوِّبه، فينقله مما بعد زهير في مسرده الأَلْفَبيّ، إلى ما بعد ابن سلام، ويُحَمِّره.

أبلس أ.ع.إ ولم يدر ما يفعل؛ فبادَرَنا أ.سالم البوسعيدي تلميذي العمانيُّ الدكتورويُّ النجيب: لا علاج لذلك إلا أن يُنزع عن الكتاب ما أُلصِق به مما ليس من عمل محققه!

فتلبّث أ.ع.إ يُجرِّب نزعه!

فقلت له: سامحني؛ لقد عزمت على سَلسَلة طائفة من المقالات، أنقد بها على هذا الدكتورِ المطبعيِّ المفهرِسِ ما صنعه، لأجمعها وأرسلها إلى سعادة وكيل وزارة التراث والثقافة، أطلب جمع نسخ الكتاب وإتلافها!

وذكرتُ اقتدائي بعمل محمود محمد شاكر -رحمه الله، وطيب ثراه!- أستاذنا أستاذ الدنيا، الذي لم يكن يأبه بجمع نسخ أيٍّ من كتبه وإحراقها، إذا أصابه ما يكره، مهما كان ما أنفقه في نشره!

أعذر منذر

ناديته فمال عليَّ مُغضَبًا: أخشى أن أكون فعلت!

قال: بلى، فعلت! ولكنني سأداوي الموقف!

لم يكن منذر الفطيسي هذا الشاعر المهندس رئيس جماعة الخليل يتخيل أن أذيع نتائج المسابقة؛ فقد رتب نفسه على أن يجري فيها مجرى مسابقتي أمير الشعراء وشاعر المليون، من المحاورة والمداورة والمعابثة؛ فأفسدت عليه ما رتب!

ولكنه استطاع على صغر سنه أن يُنسي الحاضرين ما فعلته، فلا ينتبهوا إلا إلى ما يفعله بهم وبالفائزين!

ملت عن يساري على الدكتور يوسف الهنائي عميد شؤون الطلاب، قائلا: هذا شيطان! ينبغي ألا تتركه الجامعة حتى توظفه في وظيفة قيادية!

قال: نعم! وقد استفاد من عضويته ست سنوات بجماعة الخليل.

قلت: ولكن لابد أنه يحمل مواريث هذه الموهبة، مع ما أتيح له من الممارسة التي تجاوزت به من الاستعداد إلى القدرة فالمهارة!

بارك الله فيه، وحفظه، ونفع به!

أقران إبليس

من ينكر أن مؤسسات مصر معرضة فيما يأتي للانقلاب رأسا لعقب غاية ومنهجا وأسلوبا وإدارة!

أرى أنه لا أحد!

إذا كان هذا هكذا أفتغيب عن عقلٍ كبير أو صغير، حاجةُ الإدارات القائمة إلى سرعة تحسين سياستها المؤسسية ومسلكها الإداري تمهيدا للاستيلاء على آثار الانقلاب القادم، ما دامت حريصة على البقاء!

أرى أنه لا يغيب!

إذا كان هذا هكذا ثم وجدنا بعض الإدارات حريصة على السياسات والمسالكِ القديمة القبيحة أفلا يكون هذا الإصرار من تصرفات اليائسين!

أرى أنه يكون!

ولا أزيدك بتصرفات اليائس علما: يهدم ما انبنى، ويقطع ما اتصل، ويفرق ما اجتمع، يُبادِرُ إبليس إلى الإفساد، غما وكمدا وحقدا!

التباس العمانية والمصرية

صديقتان بحيٍّ من أرياف عمان: عمانية ومصرية، متآلفتان على عهد العمانيين والمصريين جميعا، لا تخرجان إلى السوق إلا معا، تذهبان وتؤوبان مشيا، غير كالّتين ولا مالّتين.

هاهما كأنما خدعتهما عن الطريق حَكاياهُما الكثيرة الطويلة؛ فأبعدتا الغاية، واستثقلتا المشي، وإذا حافلةُ ركابٍ على مقربة، فتصيح العمانية بالمصرية:

- اسْتَنِّي!

فتطمئن المسكينة المهدودة؛ فتفوتهما الحافلة!

و"اسْتَنِّي" في العمانية "أَسْرِعي"، فصيحة عالية من "الاسْتِنان"، ومادتها "س، ن، ن"، غير أن المصرية على لهجتها فهمتها "تَمَهَّلي"، محرفة عن "اسْتَأْنِي"، من "الاسْتِيناء"، ومادتها "و، ن، ي"!

ومرة كلمت تلامذتي العمانيين في ظاهرة "بِلى الألفاظ (تآكلها)"، ولاسيما ألفاظ التَّحايا؛ فاستطردت لهم إلى نسوة قريتي اللواتي تمسِّي إحداهنَّ على الأخرى قائلة:

- سَا الخير!

فتجيبها:

- سَا النُّور!

فإذا التلامذة الطيبون يضحكون يضحكون يضحكون، ولم يكن ما أضحكهم غير التباس "سَا النُّور"، في جواب المصرية بـ"سَنُّور" أي "القط"، في العمانية، محرفة عن "سِنَّوْر"، تحريفا قريبا معروفا!

وهكذا يقوم المصريون في مقامات من الالتباس اللغوي المدهش، تُسليهم عن الحر العماني الذي لما سئل عنه أحد الظرفاء قال:

- تسعة أشهر من العام العماني حَر، وثلاثة جَحيم!

ألعاب إملائية

جريت كلما انتهيت من مادةٍ استماعية تحدثية، أنا وتلامذتي طلاب المهارات اللغوية- على أن ننظر فيها مكتوبة محللة، لنرى منزلتنا من الإتقان. وصباح الأربعاء الماضي أقبلنا ننظر في المادة الثالثة (اختلاف الأخلاق باختلاف الأمكنة والأزمنة)، حتى إذا ما بلغنا قول المنفلوطي: "ينكشف له وجهه ويرى سوءاته وعوراته"، نبهتهم على رسم هذه الهمزة: انظروا كيف رسمت الهمزة المتوسطة المفتوحة بين ساكنين!

ثم خطر لي أن أختبر مهارتهم بالإملاء؛ فأغريتهم بالتنافس في رسم بعض العبارات ذوات الكلمات المُشْكِلة، على أن يحظى أفضلهم بخمس درجات إلى درجاته، كفيلة بأن تحوِّل حاله، وتُغنِي سؤاله!

قمت بينهم مبتسما، أذكر أَحْفَلَ العبارات بكلمات الهمزات والمُدود، حتى حشدت عليهم خمس عشرة عبارة تقريبا، واكتفيت، ثم أقبلت أنظر في أوراقهم؛ فاستصعب علي الأمر، فرأيت أن أرسمها أنا على السبورة ليصححوها هم عليَّ، واستقرأتُهم ما أمليتُ عليهم شيئا فشيئا، مُنبِّهًا وكأنني آخر فلاسفة الإملاء المحترمين، على ضرورة تمسكهم بأصل الباب الأصيل: "أن تَرسم الكلمة على الوجه الذي لا يتيح قراءتها على غير ما تُريد".

ارتحتُ بسرعةِ رسم ما يُمْلون إلى تصديق مزاعمي، حتى إذا ما قرؤوا:

أَأُؤَيِّدُكَ وَتُهْمِلَنِي!

رسمتها: أُؤَيِّدُكَ وَتُهْمِلَنِي!

فصخبوا عليَّ حتى أطاروا صوابي، ثم انتبهت إلى أنهم يريدون تنبيهي على أن الكلمة بثلاث همزات، فحَوْقَلْتُ ثلاثًا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله!

ثم رسمتها: أأُؤَيِّدُكَ وتُهْمِلَنِي!

وكنت قد أغريتهم من قبل بتخطيئي؛ فخطَّؤوني!

فقلت:

- كأنكم تريدونها هكذا: أَؤُأَيِّدُكَ وَتُهْمِلَنِي!

فقالوا:

- نعم؛ هذا صوابها.

فقلت:

- أَعُوذُ بالموت مِن تُرَّهات هاتِي الحياةِ

بل الصواب ما رسمتُ لكم؛ كيف كنتم راسِمِيها دون همزة الاستفهام؟

فقالوا:

- أُؤَيِّدُكَ وَتُهْمِلَنِي!

فقلت:

- وهمزة الاستفهام طارئة عليها، تضاف إليها دون تغيير.

أم الأهوال كيف الأحوال

صِرَاعُ الْمُسْتَحِيلاتِ

اتفقت على التظاهر المنوي يوم ٣٠/٦/٢٠١٣، مصالح بعض المصريين الذين لهم في مصر ما لغيرهم وليس لأحد أن ينكر عليهم رغائبهم ولا أن يمنعهم من طلبها.

ولكن ينبغي ألا يجهل أحد حقيقة هذه المصالح لا من سيشاركون ولا من يستنكرون المشاركة حتى لا يضل الأولون عما يريدون ولا يحار الآخرون فيما يرفضون فربما توهم كلا الفريقين من الأوهام ما إذا تبدد ارتاحوا وأراحوا. لقد تعلم المصريون كيف يطلبون المستحيل إذا أرادوا الممكن خشية ألا يتحقق هذا الممكن فيضيع عليهم كل شيء.

تعلم ذلك المصريون جميعا ومن ظن الآن منهم أنه قد تعلم ما لم يتعلمه غيره أو أن غيره يطلب من المستحيل ما لم يطلبه فقد أساء الظن.

تُرَاثُ الْأَحْقَادِ

ما أسعد الجهلاء بحرصهم على تَفْسِيد خصمائهم وإن لم يكونوا فاسدين فقد جرت عادة المصريين باستنكار الإِفْساد والمطالبة بعقاب المُفْسِدين ولم تجر باستنكار التَّفْسيد ولا خطر على قلب مصري عقاب المفسِّدين. وإذا كان الإفساد هو إيقاع الفساد فإن التفسيد هو النِّسْبة إلى الفساد والبَوْن

بينهما شاسع والشأو بَطِينٌ فإن التفسيد أشد تركيبا وتعقيدا من الإفساد إذ يشتمل على فساد الفاعل وإن لم يكن فساده غير جهله وعلى حرصه على تحويل المفعول إلى فاعل مثله فأما الإفساد فلا يشتمل من ذلك حقا إلا على فساد الفاعل الذي لا يعبأ بتحويل المفعول إلى فاعل مثله.

ولقد ثبت لدينا بكل دليل أثر التَّفْسيد والتَّصْليح (النسبة إلى الصلاح) ورأيناه رأي العين في كل أب ظل يلح في وصف بعض أبنائه على أنه كذا فكان كما ألح أو كذا فكان ثم حزن فيما بعد أو فرح غافلا عن أثر إلحاحه ورأيناه في كل أستاذ وكل إمام وكل قائد وكل زعيم...

ومن ثم لا يبدو أجهل في المصريين ممن يُفسِّد خصماءه ولا يُصلِّحهم ويلح ويقسم على ذلك فعما قريب ييأسون ويكونون له كما يستحق وعندئذ يقف بين الملأ خطيبا وكأنما يتنزل عليه الوحي يقول أرأيتم ألم أقل لكم إن هذا لهو ما حذرتكم ولكنه لن يكاد يكمل خطبته حتى يبطش به يأس اليائسين وبئس المصير!

ما أسعد هؤلاء الجهلاء في مصر بعدم عقاب المُفَسِّدين وما أتعس العقلاء فيها بعدم ثواب المُصَلِّحين وهؤلاء أضداد أولئك وفي إحسانهم من التركيب مثل ما في إساءتهم ولكن أين همس العاقل في صخب الجاهل!

نَهْشُ الحُيْرَانِ

لن يسكت المصريون حتى ينهش بعضهم بعضا إسلاميين وعلمانيين لن يسكتوا ولن يتعافوا ففيهم جميعا معايب لا يعالجها إلا تسلط بعضهم على بعض لينهشها له ويخلصه منها أقوالا كانت هذه المعايب أو أفعالا أو أشخاصا.

حدثنا من لا يؤثر في قبول حديثه لا صدقه ولا كذبه أن بعض المعذبين في السجون المصرية بلغت به آثار التعذيب والإمراض أن تعفن ما بين جلد ظهره ولحمه حتى دوَّدَ (أصابه دود) ولم يرج بُرْءًا وانتظر راحة الموت غير أن سجانه لم يرحمه أن قبض عليه مرة من قفاه ودفعه دفعة ثائر مغضب متمرد منتقم فانخلع لدفعته جلده الذي فصله الدود وانكشفت خبايا الداء وكان الشفاء.

ولن أزيف على أحد بأن من المُتَناهِشين خونة ينهشون المخلصين خدمة لأعدائهم فإن الخيانة إذا طال زمانها وتواترت عليها الأجيال وتواصت بها أو سكتت عليها انغرست في أصل الكيان وفرع البنيان ووجود الإنسان ولم تعد خيانة بل صار عدم الخيانة هو الخيانة.

ولكن لم يستطع أحد بعد ولن يستطيع مهما كان حكيما خبيرا نِحْريرًا أن ينهج للمتناهشين منهج التناهش الصحيح الذي يفضي إلى الشفاء من كل داء ومن ثم ينبغي أن يتوقعوا خبط العشواء (نهش الحيران) وأن يتجهزوا له وألا يشتكوا منه.

كَشْفُ المُسْتُورِ

عما قريب تنجلي الأزمة على رغمها عن مخرج المشهد ومحرك العرائس ولاعب الشطرنج الذي سيستحسن كف إخراجه وتحريكه ولعبه ليشهد له الممثلون والعرائس والبيادق جميعا.

عما قريب تقر الحشود المحتشدة بما لم تكن تتخيل في موقف التحرير أن تستمع إليه يذكر أمامها لا أن تقر به ولكنها لن تستطيع عندئذ أن تنبس بنَأْمة اعتراض أو امتعاض.

في مَنادِح الريبة يَتَرافَضُ الناس ظانا كلٌّ منهم في نفسه وفي غيره الظنون الخادعة ويتطفَّلون ويقترحون ولكنْ في مضايق الهلاك يتقابلون ويَتَطامَنُونَ ويَتَراضَوْن.

إنشاد الشعر العربي

ذكر سيبويه -ت: ١٨٠- أن الشعر "وضع للغناء والترنم"، ثم أقبل يذكر مذاهب العرب في إنشاده، فكانت ثلاثة: الترنم، والنثر، والتوسُّط، وهذا الثالث إما على جهة "الغلو"، أو على جهة "التعدي"، وعليهما يدل اسماهما! فأما في الترنم فيتغنون، ويحرصون على بعض ما يختص به الشعر مما يعينهم على الترنم. وأما في النثر فلا يميزون الشعر بشيء. وأما في التوسط فلا يتغنون بالشعر، ولكنهم يحرصون على بعض ما لا يفعلون في النثر.

ثم جاء ابن جني -ت: ٣٩٢- فنبه على مذهبين للعرب في إنشاد الشعر: مذهب الجفاة الفصحاء، ومذهب المتغنين المترنمين؛ فأما هؤلاء فيقيمون العروض ولا يبالون بما يفعلون باللغة في سبيل ذلك، وأما أولئك فيقيمون اللغة ولا يبالون بما يفعلون بالعروض في سبيل ذلك!

نعم؛ وقد تحصَّل لي من استبطان ذلك كله، أن الشعر العربي أنشد على أربعة أوجه:

- الأول الإنشاد الخالي: الذي لا يُقِيم فيه المؤدي لا العروض ولا اللغة؛ فهو كأنه متعلم يريد فك الخط!

- الثاني الإنشاد اللغوي: الذي يُقِيم فيه المؤدي اللغة دون العروض؛ فهو كأنه ممثل يريد توصيل المعنى!
- الثالث الإنشاد العروضي: الذي يُقِيم فيه المؤدي العروض دون اللغة؛ فهو كأنه موسيقي يريد توصيل اللحن!
- الرابع الإنشاد الممتزج: الذي يُقِيم فيه المؤدي العروض واللغة جميعا معا؛ فهو كأنه مغنٍّ يريد توصيل المعنى واللحن!

روى الأصفهاني -ت: ٣٥٦-: "قالَ الزُّبَيْرُ: حَدَّثَتْني ظَبْيَةُ، قالَتْ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ مُسْلِمِ بْنِ جُنْدَبٍ، يُنْشِدُ زَوْجي قَوْلَ قَيْسِ بْنِ ذَريحٍ:

إِذا ذُكِرَتْ لُبْنى تَأَوَّهَ وَاشْتكى تَأَوُّهَ مَحْمومٍ عَلَيْهِ الْبَلابِلُ
يَبيتُ وَيُضْحي تَحْتَ ظِلِّ مَنِيَّةٍ وَفي الْحُبِّ شُغْلٌ لِلْمُحِبّينَ شاغِلُ

فَصاحَ زَوْجي: أَوَّهْ! واحَرَباهْ! واسَلَباهْ!

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلى ابْنِ جُنْدَبٍ، فَقالَ: وَيْلَكَ! أَتُنْشِدُ هذا كَذا!

قالَ: فَكَيْفَ أُنْشِدُهُ؟

قالَ: لِمَ لا تَتَأَوَّهُ كَما يَتَأَوَّهُ، وَتَشْتَكي كَما يَشْتَكي"؛

فلم أرتب في أن بين إنشاد ابن جندب وما أراده زوج ظبية، مثل ما بين المذاهب الثلاثة الأولى والرابع؛ فإنه دونها أمثل ما يكون الإنشاد وأصدقه!

الْأَهْلَاوِيُّ وَالزَّمَلْكَاوِيُّ

كان محمود محمد شاكر ومحمود محمد الطناحي كلاهما -رحمهما الله، وطيب ثراهما!- مولعين بلعبة كرة القدم وَلَعًا كبيرا، غير أن شاكرا كان من مشجعي فريق الزمالك، وكان الطناحي من مشجعي فريق الأهلي!

ومرة غلب الزمالكُ الأهلي، وفاز بالمسابقة -ومن كلمات الطناحي الخالدة فيه عندئذ: "له في زمالكَ حِكَمٌ"!- فانتهزها شاكر؛ وهاتَفَهُ مُغطيًّا سمّاعةَ الهاتف مُتحرِّيًا تغييرَ صوتِه، يُهنئه بهزيمة الأهلي من الزمالك؛ فَسبَّ هذا الغريب الطارئ الشامت سبًّا شديدا!

ثم التقيا بمجلس شاكر على عادتهما، فبدأه متعجبا:

- يا أخي، سبحان الله! شَدَّ ما أفسدت الهزيمةُ على مشجعي الأهلي أدبَهم!

فانتبه الطناحي صائحا:

- إنك لأنت الغريب الطارئ الشامت!

وشاكر يضحك!

أيها اللغوي المبتدئ

تسألني عن مسوغات تأثر بعض اللغويين العرب المعاصرين بالمدارس اللغوية الغربية، ولا ريب في أنها من وجهة نظر هؤلاء اللغويين العرب الذين اطلعوا على تراث المدارس اللغوية الغربية، واستفادوا منه:

- جمود الدراسات اللغوية العربية .
- وتطور الدراسات اللغوية الغربية .
- وضرورة المثاقفة لتطوير الدراسات اللغوية العربية.

ولن تخرج مظاهر التأثر عن التنظير والتطبيق توجيها وتوجها؛ فقد تعلقوا بأفكار المدارس اللغوية الغربية فيما يترجمون لغيرهم وفيما يؤلفون من كلامهم هم، ولهجوا بها فيما يعملون وفيما يشرفون على عمل غيرهم له .

ولا ريب في أن من منافع هذا التأثر تحريك ركود الدراسات واستفزاز الباحثين إلى تجديدها، ومن مضاره تحقير شأن الدراسات العربية التي لم تجر هذا المجرى قديما وحديثا -مهما كان فيها من توفيق- وتضييع فرص تأصيل التطوير في تراث الدراسات اللغوية العربية، مما أفقد كثيرا من دراساتهم ثقة بعض اللغويين من غيرهم.

وإن من مشكلات تأثر اللغويين العرب بالمدارس اللغوية الغربية:

- سوء فهم بعضهم لبعض النظريات الخارجة من معاناة أهلها الخاصة في ظروفهم الخاصة،
- أتضييع الخصوصيات التفكيرية والتعبيرية العربية في أثناء ترويج الأفكار الغربية،
- وصعوبة تطبيق بعض الأفكار على اللغة العربية،
- واضطراب استعمال بعض المصطلحات.

بحر عروضي جديد

- سلام عليك -د.محمد جمال- أرجو أن تكون بخير! هل تتفضل علي وتقبل مني استفسارا؟ وأنا أرددُ ذات مساء:

أَيَا قَدَريْ مَهْلاً مَهْلا

حاولت وزنها على البحور الخليلية فأشكل علي ذلك.. وزن مقترح ليس بحرًا شعريًّا لكنّه في نظري موسيقى. وزنٌ بأسباب بلا تفاعيل. لا أريد الحذف ولا التغيير فيه ولا التعديل عليه حتى يتضح نوع الوزن الذي قام عليه.. الأمر الذي جعلني أكتب تفعيلاته و أسأل بعض المختصين:

مفاعلتنْ فعْلنْ فعْلنْ

مفاعلتنْ فعْلنْ فعْلنْ

//0///0 /0/0 /0/0

مثال:

أيا قدَرَي مهْلاً مهْلاً

أنا وجَعَي يبْقى صعْبا

مفاجأةٌ مرّتْ يوْمًا

قنابلُهَا ترْميْ رعْبا

على سهَريْ نامتْ روْحُ

صنعْتُ لَها صدْرًا رحْبا

حكايتُنَا طبَعًا ليْستْ

سوى أَمَلٍ يحْويْ حبّا

أريد نقدك ورأيك فيما سبق في حدود ٧٠كلمة لأنها سوف تنشر مع بقية الآراء.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته حياك الله وأحيانا بك وأهلا وسهلا ومرحبا نعم نعم حبا وكرامة ونعمة عين! تتخرج هذه الأبيات من بحر المتدارك المخروم الأطراف -أولى تفعيلات صدوره وأعجازه "علن"، لا "فعلن"- على نحو طريف من التغيير. وتفصيل ذلك أن ناظمها الفاضل اشتمل في نفسه على أول حروف التفعيلة الأولى من كل شطر من شطري كل بيت، ورتب دندنته على البدء مما بعد ذلك؛ فكان كأنه ارتكب علة الخرم القديمة المعروفة فيما أوله متحركان فساكن من تفعيلات أوائل الأبيات، ولكنه متوسع في ذلك كما لا يخفى؛ إذ الخرم ظاهرة محدودة جدا.

وفيما يأتي أورد أشطاره وأوزانها:



أيا قدَرَي مهْلًا مهْلًا

علن فعلن فاعل فاعل

أنا وجَعَي يبْقى صعْبا

علن فعلن فاعل فاعل

مفاجأةٌ مرّتْ يوْمًا

علن فعلن فاعل فاعل

قنابلُهَا ترْميْ رعْبا

علن فعلن فاعل فاعل

على سهَريْ نامتْ روْحٌ

علن فعلن فاعل فاعل

صنعْتُ لَها صدْرًا رحْبا

علن فعلن فاعل فاعل

حكايتُنَا طبَعًا ليْستْ

علن فعلن فاعل فاعل

سوى أَمَلٍ يحْويْ حبّا

علن فعلن فاعل فاعل

وقد ارتكب مع هذا الخرم التزام ما لا يلزمه من أحوال التفعيلات، والمعروف أن الشعراء يرددون تفعيلات أبياتهم بين أوضاع السلامة والتغير المختلفة، تلطفا في إطار المدرك. وليس على شاعر من حرج في ارتكاب ما شاء، ولا على متلق حرج في قبول ما شاء، دون أن يكون لهذا القبول ولا لذاك الارتكاب من أثر علمي، حتى تتواتر أجيال الشعراء على مثل صنيع ذلك الشاعر، وأجيال المتلقين على مثل قبول هذا المتلقي؛ فعندئذ يضطر العروضيون إلى اعتباره في علم العروض وفي تعليمه.

والسلام!

- جزاك الله خيرا ورفع قدرك ،

ولك الشكر العميق دكتورنا الحبيب!

البلطجة

لا يعرف البلطجة إلا من يكابدها!

وأنا -وإن لم يتيسر لي أن أقوم في هذا المقام المعلوم- أدعي أن البلطجية طائفتان: معارضون موتورون محترقون كمدا، ومترزقون متربحون!

فأما الطائفة الأولى فذات قلوب مغلقة على ما فيها، لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا!

وأما الطائفة الأخرى فممكنة معروضة على ألا يتعرض لمساومتها غير من ضرب فيها من قبل بسهم وتعلق منها بسبب!

ويا سبحان الله!

لقد كنت من قبل أدعو في وعظ العشاق المشرفين على إهلاك أنفسهم، إلى اختيار من كابد العشق من الوعاظ لأنه أعلم بموضع العلة، والآن استبدلت بالعشق البلطجة، وبقيت مثل السيف فردا!

فآه أواه!

بمفتاحك وحده تفتح

رَحِمَ اللهُ عَبْدَهُ مِفْتَاحَا وَجَزَاهُ عَنْ صِدْقِهِ فَارْتَاحَا

حَمَلَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَعِيدٍ وَأَدَارَتْهُ مِنْ قَرِيبٍ فَطَاحَا

لَيْتَهُمْ عَالَجُوا الْمُغَالِيقَ وَاسْتَبْقَوْا عَلَيْهَا مِنْ دُونِهِ الْأَرْوَاحَا

لو لم يكن لكل مستغلق مفتاح ما استغلق، لأنه يستغلق إذ يستغلق مثلما تلتف دودة على نفسها لتحتفز من مكانها؛ فحياتها أبدا التفاف واحتفاز، وكلا التفافها واحتفازها هما حياتها النامية التي لا تكون بأحدهما دون الآخر. وكذلك كل مستغلق فإنه إنما يستغلق على ما فيه لينفتح فيستغلق فينفتح -هكذا دواليك- ليصونه لمن يستحقه، ويبذله له وقتما ينتفع به.

من ثم لا يجوز أن يلتمس للمستغلق أي مفتاح، ولا للمفتاح أي مستغلق؛ فلكل منهما ما لا يصلح له غيره ولا يستقيم عليه، وهو ما جهله بعضنا؛ فذهب يلتمس لبعض مستغلقاته بعض المفاتيح التي وجدها تفتح مستغلقات غيره، أو يحمل غيره على بعض مفاتيحه لبعض مستغلقاته، وجعل ذلك من التحديث والتحسين؛ فلما استعصى المستغلق على المفتاح اتهمه صاحبه، وأنكره، ودعا إلى اطراحه وامتلاك مستغلق غيره ومفتاحه؛ فأفضى إلى حال ليس في الخيال أعجب منها؛ إذ لم يظل هو نفسه، ولم يصر غيره!

ينبغي إذا استعصى مستغلق على مفتاحه، أن ينظر في علاقة ما بينهما؛ فربما اضطربت، وقست، فصدئت؛ عسى أن تستقر وتلين فتمضي سيرتها الأولى؛ فإن في كرور الزمان وعجز البيان لغفلة الإنسان أخيرا عما انتفع به أولا.

ولقد ينبغي أن يتضح الأصل الواحد الكامن وراء تعدد المستغلقات ومفاتيحها، لكيلا يظن أن بعض الناس أجدر بالسعادة من بعض، لا، ولكنها الأحوال تختلف فتقتضي حسن التقدير؛ فما أكثر الذين عرضوا أنفسهم على رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- لينصحهم نصيحة واحدة يستفتحون بها عاجلا وآجلا مستغلق السعادة، فإذا نصائح مختلفة يتهمها من تعجل تلقيها، حتى إذا ما طابق بها أحوال المنصوحين المختلفة تذكر المثل العربي "وافق شن طبقة"؛ فقال: وافق المستغلق مفتاحه! ثم ما أعجب سيدنا المؤول -رضي الله عنه!- الذي لم ينخدع باتحاد رؤيين، عن أن يبشر صاحب أولاهما وينفر من صاحب الثانية، بما اختلف لديه من أحوالهما!

أجل، ولو لم أهتد في زمان الطلب إلى مفتاحي، لربما كنت الآن عدو ما صرت؛ فقد ذهبت إلى أستاذي -رحمه الله!- أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي واستغلاق العلم علي؛ فنبهني على اختلاف أحوال طلاب العلم، وأن ليس من الحكمة أن أسلك مسلك غيري وأستفتح بمفتاحه؛ فكأنما بعثني من موات،



أو أيقظني من رقاد؛ إذ اشتغلت بذاك عن نفسي أيما اشتغال، وضيعت في التقليد ما استدركت بالتوليد؛ فالحمد لله رب العالمين!

تأليف المؤلفين

أين ذهبت كتب الخليل بن أحمد؟

أين قراءته، وتفسيره، وحديثه، وفقهه، وسلوكه، وفلسفته، وأدبه، وتاريخه، وأصواته، وصرفه، وغريبه، ونحوه، وعروضه، وموسيقاه، ورياضياته...؟

أين؟

وهل اشتغل أبو عبد الرحمن بتأليف الكتب، ليصح لك سؤالك عنها!

أجل! لم يشتغل الخليل بتأليف الكتب فيما أرى قط!

كيف يؤثرها على التفكير الذي ملك عليه نفسه حتى ضاق عنه وقته وضعف جسمه وتبلبل باله!

كيف يضيع وقته في تحبير الكتب وعنده من نجباء تلامذته من يكفيه ذلك! وأنى له أن يشتري الأوراق والأقلام والأحبار، وهيهات أن يتسع لها خصّه القميء الذي عاش فيه ومات والناس يأكلون بعلمه ويشربون ويلبسون ويسكنون ويمرحون!

فليؤلف إذن من يؤلف! وليتفرغ إذا خلا منهم للتفكير في مشكلات العلوم الكثيرة التي اشتغل بها، ولاسيما أنهم يلزمونه ولا يمتنع عنهم، حتى إذا

جلس إليهم وأطلق عن جنانه ولسانه، شقّق لهم من الأفكار ما لا تجاريه الكتابة. ولو اشتغل بالكتابة لكفكف من سيل أفكاره الهدار، ولخسر تأمل تدفيقه على نجباء تلامذته واختبار أثره عليهم ومحاورتهم فيه.

ولو كان سأله عن تأليف الكتب سائل لربنا أجابه بما أجاب مثلَه غيرُه بعدئذ بزمان طويل:

إنما أؤلف من يؤلفون!

ثم أفضى الأمر إلى خلَفه، فأما تلامذته فتنادوا:

هلم نحيي علم الخليل!

وانصرف كل منهم إلى إخراج ما تعلمه منه، ثم اختلفوا: فمنهم من نسبه إلى الخليل، ومنهم من نسبه إلى نفسه، ولا والله ما كذبوا في الأولى، ولقد صدقوا في الآخرة!

وأما غيرهم فكانوا ربما انتفعوا بتلك الحال، حتى ذكر الجاحظ أنه كان في أوليته يؤلف الكتب وينسبها إلى الخليل ترويجا لها! ولا يمتنع أن يكون من هذا كتاب الجمل المنسوب إلى الخليل، الذي ادعيتُ مرة دون بينة إلا من ذلك الفهم السابق، أن صاحبه هو الذي نسبه إلى الخليل ترويجا لمقالات الكوفيين التي فيه، وأن الدكتور فخر الدين قباوة الذي نسبه إلى الخليل، لو خطر له هذا

الفهم ما عاتب سيبويه في منهجه الأفقي على أن لم ينهج في كتابه منهج الخليل الهرمي في الجمل!

ولم ينفرد بتلك الحال قديما أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي -رضي الله عنه!- بل قد جاء هو نفسه على أثر سلف صالح شغلتهم المشافهة عن المكاتبة، حتى استحصدت مُنَّتُهم الخطابية.

ولقد ينبغي ألا نستغرب ما ذكرت ونستبعده؛ فقد وجدناه من أنفسنا على قلّتنا، ومن غيرنا، حتى نصحتُ مرة لأحد أساتذتي القليلي التآليف، أن يتخذ من يسجل له محاضراته ويفرغها، وأنني زعيم أنها ستملأ له كتبا ذوات عدد. ولعلني ذكرت له ما صرت أذكره دائما لتلامذتي، من أن الدكتور إبراهيم الفقي عجب مرة لكثرة كتب الدكتور طارق سويدان، حتى قال له في ذلك، فأجابه:

- سهر الليالي، يا دكتور إبراهيم!

وأن الدكتور إبراهيم تعقبه وكأنه استثقل استطالته، بأنه يستعمل على محاضراته من يفرغها لها، ثم يراجعها، وينشرها!

تحقيق وجه من التحريف لطيف

هكذا نشرت تغريدة القشيري "آثَارُ صِحَّةِ الْوُجُودِ عَلَى الْوَاجِدِينَ":

"وَأَمْطَرَ الْكَأْسَ مَاءً مِنْ أَبَارِقِهِ فَأَنْبَتَ الدُّرَّ فِي أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

-الذي فيه:"...الْكَأْسُ...أَبَارِقُهَا"، والصواب ما أثبتّ-

وَسَبَّحَ الْقَوْمُ لَمَّا أَنْ رَأَوْا عَجَبًا نُورًا مِنَ الْمَاءِ فِي نَارٍ مِنَ الْعِنَبِ

سُلَافَةٌ وَرِثَتْهَا عَادُ عَنْ إِرَمٍ كَانَتْ ذَخِيرَةَ كِسْرَى عَنْ أَبٍ فَأَبِ"!

وعلى تَجْهيل القشيريِّ للثلاثة الأبيات، نَسَبَها غيره إلى الشبلي والبوصيري، وهي من أحد عشر بيتا لابن المعتز. ولا يَكْشِفُ وجهَ الصواب غيرُ سياق ابن المعتز:

يَا مَنْ يُفَنِّدُنِي فِي اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ دَعْ مَا تَرَاهُ وَخُذْ رَأْيِي فَحَسْبُكَ بِي

أَفِي الْمُدَامَةِ تَلْحَانِي وَتَعْذُلُنِي لَقَدْ جَذَبْتَ جَمُوحًا غَيْرَ مُنْجَذِبِ

وَرُبَّ مِثْلِكَ قَدْ ضَاعَتْ نَصِيحَتُهُ وَلَمْ يُطِقْ وُدَّ ذِي رَأْيٍ وَلَا أَدَبِ

وَقَدْ يُبَاكِرُنِي السَّاقِي فَأَشْرَبُهَا رَاحًا تُرِيحُ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْكُرَبِ

مَا زَالَ يَقْبِضُ رُوحَ الدَّنِّ مِبْزَلُهُ حَتَّى تَغَلْغَلَ سِلْكُ الدُّرِّ فِي الثُّقَبِ

وَأَمْطَرَ الْكَأْسَ مَاءً مِنْ أَبَارِقِهِ فَأَنْبَتَ الدُّرَّ فِي أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وَسَبَّحَ الْقَوْمُ لَمَّا أَنْ رَأَوْا عَجَبًا نُورًا مِنَ الْمَاءِ فِي نَارٍ مِنَ الْعِنَبِ

لَمْ يُبقِ فِيهَا الْبِلَى شَيْئًا سِوَى شَبَحٍ يُقِيمُهُ الظَّنُّ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ
سُلَافَةٌ وَرِثَتْهَا عَادُ عَنْ إِرَمٍ كَانَتْ ذَخِيرَةَ كِسْرَى عَنْ أَبٍ وَأَبِ
فِي جَوْفِ أَكْلَفَ قَدْ طَالَ الْوُقوفُ بِهِ لَا يَشْتَكِي السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا تَعَبِ
يَتِيمَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الدَّهْرِ قَدْ رُزِقَتْ جِدًّا مُزَاحًا وَجِدُّ النَّاسِ مِنْ لَعِبِ

فقد ذكر الساقي وصَبَّه الماء من أباريقه على الخمر في كؤوس الشَّرْب، فكانت الصورةُ البديعة التي انبهر بها نقاد الشعر، حتى ذكروها في عجائب التشبيهات.

وقد احْتَجَنَ منها الثلاثةَ الأبياتِ مَنِ احتجنها؛ فانتسبتْ غيرَ مُنتسَبِها، وافتقدت سياقها؛ فضلَّ من رواها، ولم يجد غير أن يرفع "الكأس" فاعلا لـ"أمطر"، وينصب له "الماء" مفعولا، ويضيف الأباريق إلى ضمير الكأس المؤنثة التي ذَكَّرَ لها الفعل من قبل -وتذكيرُ الفعل قبل الكأس جائزٌ، ولكن الاضطراب مريب- غيرَ مبال بفساد المعنى؛ إذ الكأس مُمطَرَة لا مُمطِرة، والماء مفعول به ثان، فأما الفاعل فضميرُ الساقي أو سِلْك الدُّرِّ.

ولا يُظنَّ أن "مَاءً" تمييزُ نسبةِ "أَمْطَرَ"، إلى "الْكَأْس"، المحوَّل عن مفعول به، أي: أَمْطَرَ مَاءَ الْكَأْسِ؛ فهو ماء الأباريق، لا ماء كأس الخمر الصِّرْف، كيف وهو مُقْحَمٌ عليها وهي مظلومةٌ به!

تَسْيِير

منذ يومين لقيت أستاذي الدكتور محمد الهادي الطرابلسي خارجا بسيارة من مواقف كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس؛ فتعجبت له:

- تسوق ولم أعرفك إلا مَشَّاء!

فقال:

- أنا مُخَيَّر، لا مُسَيَّر!

تطوير شهادة التخرج اللغوية العربية

(الليسانس)

ينبغي لمن سمع من أحد كبار المسؤولين الجامعيين، أنه يدخل بعض الكليات الثقافية ستمئة طالب، نتمنى على عشرين منهم فقط أن يختاروا دراسة اللغة العربية- أن يتوجس من مستقبل أقسام اللغة العربية، ويفكر طويلا في "حُسْن تَسْويقها بين الطلاب" قبل غيرهم، بإقناعهم بحاضرها الدراسي ومستقبلها العملي.

والطلاب مأخوذون في اختيار تخصصاتهم، بوَقْع أسمائها العلمية ثم وظائفها العملية، على مجتمعاتهم الخاصة والعامة. ولا يخفى ما في وَقْع تخصص اللغة العربية عندهم الآن، من خُفُوت والْتِباس.

إنه إذا جرى العمل في أقسام اللغة العربية، على إتاحة مجالاتٍ تنظيريةٍ وتطبيقيةٍ كثيرة مختلفة من الفهم العلمي والتذوق الفني، كفيلةٍ بتَمْكين الطالب في اللغة العربية، من التصوُّر والتأريخ والتذوُّق والتثقيف- كان من حسن تقدير هذه المجالات التي تتحرك بجهد تفكيرنا ونبض إحساسنا، أن تُراعَى في شهادة تَخَرُّج الطالب، فيُنَصَّ من داخل تخصصه العام، على أحد هذه التخصصات الخاصة:

- خبير أَسَاليب،
- خبير تَسْمِية،
- خبير عَرُوض،
- خبير تَصْحيح...

ويُحْتَكَم في تحديد ما يذكر منها بشهادة التخرج، إلى ما تَمَيَّز به الطالب مما دلت عليه نتائج أدائه الدراسي وتقاريره السابقة.

لا ريب لديَّ في أن قسم اللغة العربية بهذه الصورة، إذا عُرِضَ على الطلاب بكل وسيلة متاحة، وقُرِنَ فيه كل تخصص خاص بوظائفه العملية الكثيرة التي نفر مسؤولوها مِنْ وَقْع التخصص العام الخافت فأعرضوا عنه إلى غيره أو عاملوه خُفْيَةً، ونُبِّه على ألمع مَنْ في هذه الوظائف مِنْ خِرِّيجي القسم- أَنَّه سيجذب مقدارا من الطلاب أكبر مما كان، بل ربما جذب طلاب تخصصات أخرى، لم يلجئهم إليها غير وَقْعها، وبَقُوا فيها على حَنينٍ إلى علوم العربية وآدابها، لا ينقطع ولا يهدأ!

تَعْرِيبَةُ بَنَاتِ سَمْرَؤُوتٍ

منذ مدة تأملت صورة صغيري وقد أحاطته بيمناها أخته التي تكبره بخمس سنوات، فقلت بالمصرية هذه المثلثة التي سميتها من بعد "شِبِيكة":

يا قلبي ملفوف بروحي من قبل بدء الكونْ

طاير على جناح جمالك ومن شجون لشجونْ

سبقت نور الملايكة وشفت نور العيونْ

ثم بدا لي أن أنشر "سمرؤوت: ديوان الصور المسموعة والأصوات المرئية"، عربيا ورقيا، وكرهت أن يخلو من تلك المثلثة المصرية؛ فعرَّبتها بهذه المثلثة التي سميتها عندئذ "شُبَّاكٌ":

قلبي ولفَّتك روحي من قبل سُور الكَوْنْ

على جناحك طارت ما بين وهن وهَوْنْ

ملائكٌ من شجوني تجاوزت كل بَوْنْ

وضممتها إلى مثلثاته!

ولا أنكر نزول الترجمة عن الأصل، لولا التوسل بمقام الشيخ "سمرؤوت"، ولو جاز أن تدعي الفُصحى عاميةٌ لادعتها عاميةُ "شِبيكة"،

من شدة التباسها بها! ثم المثلثتان كلتاهما من بحر المجتث، مجزوءة الأبيات الصحيحة الأعاريض المقصورة الأضرب، نونية القوافي الساكنة المردفة بالواو.

تعليقة على زيارة الأستاذ شاكر

(http://tawaseen.com/?p=2546)

تحياتي د.حيدر!

أعجبني سرد اللقاء وحواره!

لقد احتفى بك أستاذنا كثيرا وباح لك بما لا يبوح به لأول زيارة!

ومما أحب أن أنبه عليه في هذا المقام:

- أن منهج أستاذنا إنما هو الاستبطان البياني العربي المستوعب الذي حاولت به أن أنبه عليه في الإبداع بمقاليّ: بين الرافعي وشاكر، وافعلوا ما شئتم فقد رحل أبو فهر، ولم أمل التنبيه عليه في النقد كلما تيسر لي ذلك،
- أنها أمور كما قال أستاذنا، صعبة لا تستخرج بالسؤال، بل بتأمل المعالجة،
- أن أستاذنا ربما أراد بإنكار القراءة إنكار الانقطاع والعناية؛ فلم يكن بمن يجهل كتب سيد قطب ومن في منزلته،
- أنه كان من اليقين والإخلاص والإتقان والثبات والرضا، بحيث عطف عليه كثيرا من الإخوان والناصريين، الذين خاصمهم طوال حياته،

- أن الدكتور يعقوب الغنيم قد أخرج كتابين فيما سجله عن أستاذنا من شروح الأدب القديم، وهما متاحان على موقعي وكتاب مداخل الإعجاز،
- أن المدني الذي حضر إنما هو الأخ مختار مساعد الحاج محمود المدني، وليس إياه،
- أنك لو كنت صبرت عليه وكررت زيارته لربما كانت رؤيتك قد اكتملت،
- أنني أرجو أن تكون نشرت دراستك هذه وأتبعتها بغيرها مما يدل المتثقفين على منابع الثقافة العربية الإسلامية ومسالكها.

بارك الله فيك وشكر لك،

والسلام!

تعليقة على مهارة الكتابة العربية

اليوم - ١٨/ ١١/ ٢٠٠٨م - زرت مكتبة دار السلام بالقاهرة، ولقيت مدير نشرها، واتفقنا على ما سيكون من أمر تعاقدنا على كتابي " مهارة الكتابة العربية".

أطلعني الأستاذ مدير النشر على تقرير المحكم الكبير الذي كتم عني اسمه، ورفع لي قدره وذكره! وعبر عن خشيته أن يضايقني شيء من عبارات هذا التقرير "تقرير عن بحث بعنوان [مهارة الكتابة العربية]":

"مهارة الكتابة العربية"، مقال أقرب في معالجته إلى السيرة الذاتية لصاحبه ولتجاربه في الحياة وفي التعليم، منه إلى البحث العلمي! كُتب البحث بلغة فصحى تكاد تستغلق على القارئ من فرط فصاحتها وتجملها، ولغة البحث العلمي تنأى عن ذلك، وتؤثر البساطة واليسر والوضوح واستخدام ما هو مصطلح عليه بين أهل الصناعة. وقد أصاب الكاتب حين نعت بحثه أو مقاله، بأنه تجربة طريفة؛ فهو هكذا حقا!

ولي عليه الملاحظات الآتية:

١ العينة المدروسة ٢٦ ورقة إجابة عن نصين صغيرين، غير كافية البتة لتعميم الأحكام. وتفسيره لنتائج بحثه تفسير ذاتي بحت، يرد الأمر إلى

اختلاط التفكير والكسل العقلي... إلى غير ذلك مما يتصل بطلاب عينة البحث، والأسباب كثيرة ومعقدة، وليس مردها إلى كتبة الإجابة فحسب.

٢ معياره للخطأ والصواب متشدد جدا، لا يراعي ما حدث في الفصحى الحديثة من تغيرات ليست كلها ضارة أو خاطئة.

٣ إن كثيرا مما خطأه يمكن رده إلى القواعد أو إلى الاستعمال الفصيح.

٤ يتفنن في التقسيم وفي ابتداع المصطلحات؛ فيعسر على قارئه متابعة البحث والاستفادة منه.

ومع ذلك فالبحث مقبول للنشر؛ فهو يعكس رؤية نابعة من معرفة، ومن طاقة عالية في التعبير.

وبالله التوفيق".

فلما قرأت التقرير ارتحت له، واستغربت أن يتوقع الأستاذ مدير نشر مكتبة دار السلام، غضبي لأي شيء فيه! فذكر أنه استصعب قوله: "كتب البحث بلغة (...) وتجملها"!

قلت: لقد سرني كل ما فيه، بل وجدت فيه من يراني لنفسي، ويؤيد رأيي!

كان الأستاذ مدير نشر مكتبة دار السلام، يسمع كلامي، ويَتَبَسَّم!

ولقد كنت قدمت للمكتبة كتابين: هذا، و"عَصَا المِرْبَدِ: أَبْحاثٌ نَصّيَّةٌ عَروضيَّةٌ"، فلم يقر للمحكم على العصا قرار، والحر تكفيه الإشارة!

والآن أعلق كلمتي هذه بغرفة ٥٠٨ من جناح ٥-٦، من القطاع الخارجي بمستشفى المنيل التخصصي، بعد نجاح استئصال فص من إحدى رئتي أمي، أفسده الورم الخبيث -أتم الله شفاءها، وأوزعني أن أبرها!- قبل ثلاثة أيام من سفري إلى المدينة المنورة -إن شاء الله- أستاذا مشاركا، بقسم اللغة العربية، من كلية التربية والعلوم الإنسانية، بجامعة طيبة؛ فلله الحمد والشكر، حمدا وشكرا دائمين، كثيرين، طيبين، مباركا فيهما، مباركا عليهما، كما يحب ربنا ويرضى!

تَقْتِير

درجنا على أن نحرم الوسيم المتأنق من توطُّن مقام طلب العلم، توقعا أنه مشغول عنه حتما بوسامته وتأنقه، أو حسدا أن تجتمع له الحسنيان: "قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا" -الإسراء: ١٠٠- صدق الله العظيم!

وهذا المجرى جريتُ -وهل أنا إلا من غَزِيَّة إن غوت غويتُ- بحكمي على سعيد حسن، زميلي بعامنا الدراسي الأول في كلية دار العلوم من جامعة القاهرة، الوسيم المتأنق الذي صار فيما بعد صديقي العزيز، حتى اتصل بيننا كلام، فسألني عن قول الأمير المحروم الذي غنته أم كلثوم: "يقول الناس إنك خنت عهدي":

ألا ترى أنه كان ينبغي له أن يقول: "يقول الناس إنك خنت عهدها"!

وعلى رغم أنه يجوز لناقل كلام الناس عن نفسه، أن يطابق بضمائر نقله الغائبَ من حيث هو حق مجرى كلام الناس عنه، والمتكلمَ من حيث هو حق مجرى كلامه عن نفسه- أعجبني استشكاله حتى لمت في التقليل منه نفسي، ثم لما وجدته يجذب من مكتبته أحد أجزاء "النحو الوافي" لعباس حسن، يتلمّس ما يحتج عليّ به، استقر في نفسي أنه وسيم متأنق طالب علم!

تكريم علم العروض

أشركتني موزة الريامية تلميذتي الإعلامية العمانية النجيبة، في حوارات مجلة وسم:

https://pbs.twimg.com/profile_images/862716099183480839/H5zT8mis.jpg،

المرصودة للناشئة بين الثالثة عشرة والسابعة عشرة، ثم وجدت لي منفذا إليها باقتراح الكتابة لهم في موسيقى الشعر، ما لا يتجاوز ٣٠٠ كلمة؛ فكتبت:

للإنسان في تعبيره عن حاجاته طريقتان: عرفية أي عادية اتفق على استعمالها أفراد مجتمعه، وفنية أي غير عادية لم يتفقوا على استعمالها. في العرفية يشير بيديه ويضرب برجليه ويتكلم وربما صرخ...، وربما فعل غير ذلك مما يشبهه. وفي الفنية يرسم ويرقص ويغني وربما رنَّم ببعض المعازف...، وربما فعل غير ذلك مما يشبهه.

إن الغناء هو أصل الشعر وأصل الترنيم كليهما؛ فقدد كان المغني الأول هو الشاعر، وكان غناؤه هو الشعر؛ ومن أجل ذلك كان يرتب كلامه ترتيبا مؤثرا، ينم عن مشاعره، وينقلها إلى غيره، فيرتاح بهذا وذاك. وما حديثنا عن

موسيقى الشعر إلا حديث عن هذه الترتيبات التي يعملها الشاعر بشعره، ليحدث ذلك الأثر الغنائي السابق.

لقد كان الشاعر ينسق المقاطع الصوتية في كتلل مركبة، ويكررها، ويوفق بين أواخرها حتى ينبه عليها، متقيدا في ذلك كله بما يستوعبه الناس ويرتاحون إليه. وربما أهملهم، واستقل بعمله غير عابئ بهم؛ فخرج عمله إلى المجهول، فنجح، أو أخفق، وربما كان أسبق من عصره؛ فتأخر نجاحه. ولكن لا غنى له عن الإخلاص في تمثيل مشاعره، والإتقان في تجويد أدوات تعبيره. ولكل لغة موسيقاها النابعة من خصائصها، ومن ينبوع موسيقى كل لغة ينبع شعرها، ولا يجوز أن ننتظر من شاعر لغة أن ينظم مثل شعر لغة أخرى؛ فما أشبه هذا بانتظار أن يكلم صينيٌّ أهله بالعربية، أو أن يكلم عربيٌّ أهله بالصينية.

ينبغي للشاعر أن يتمكن من لغته أتم التمكن، حتى يستطيع توظيف موسيقاها في نظم شعره. ولا يعني ذلك ألا يطلع على أشعار الأمم الأخرى، ويستفيد منها، بل لا غنى به عن ذلك، ولكن بعد أن يخرج من العدم إلى الوجود الذي يريد أن يتوسع فيه ويتأنق، ووجوده من وجود لغته!

ثم ضرب الدهر ضربانه، فإذا أنا مدعو دعوة قوية جدا موثقة جدا، إلى حفل تخصص الصحافة من قسم الإعلام صباح الأحد (١٧/ ٨/ ١٤٣٨=

١٤/ ٥/ ٢٠١٧)، الذي تُجاز فيه مشاريع تخرج الطلاب، دعاني أخي العزيز الكريم الفاضل الدكتور سمير محمود صاحب الحفل وتلامذته ولاسيما موزة الريامية ومنتصر الفارسي تلميذاي العزيزان.

في إحدى قاعات كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس الفخمة، احتشد طلاب وأساتذة وضيوف، وتنافست مجلة وسم ومجلة أخرى تسمت ريادة انصرفت إلى قطاع الأعمال، هما وتطبيق صحفي رقمي تسمى**SQ360**، كان ابتكارا طلابيا طريفا جدا. واحتكم المتنافسون إلى د.عبد الله الكندي عميد الكلية وأستاذ الصحافة بها، وأ.علي الشعيلي وأ.أحمد الزدجالي رئيسي التحرير الصحفي العمانيين المعروفين، وكفلت لهم الإنصاف إدارة الدكتور سمير محمود الذكية الرحيبة.

رجّح المحكمون كفة مجلة وسم؛ فقد كانت أوضح مهنية وأدق، فأما التطبيق الصحفي الرقمي فقد أصابته لعنة الفدية (الوباء الرقمي العالمي الطارئ)؛ فعاقته عن أن يظهر مظهره المجهز، حتى انتهزها أ.علي الشعيلي فانتصر للصحافة الورقية، ولم يغب معناه عنا؛ فانتصر لها وللرقمية د.الكندي، من حيث يتسع لهما جميعا المستقبل المأمول.

وفي أوائل الحفل كان قد دخل إلى القاعة الدكتور عبد المنعم الحسني وزير الإعلام، ولم ينظر إلينا، بل سلك طريقه إلى ما وراءنا، فهب إليه بعض

الجالسين أمامنا، ولم يتركه حتى أجلسه في مجلسه، ثم لم يتركه الدكتور سمير حتى دعاه إلى الكلام؛ فأثنى على أعمال الطلاب، وتعهد بانتظار تلقيها وضمان توجيهها إلى ما يطورها ويعتمدها.

تجهزت أواخر الحفل للذهاب، فإذا اسمي أسمعه مدعوا إلى التكريم، وإذا هذه الصورة النفيسة، التي يكرمني فيها وزير الإعلام، وبيننا الدكتور سمير محمود، في رقابة الدكتور عبد الله الكندي عميد الكلية!

مساء اليوم نفسه أرسلت إلى صاحب المعالي بعض ما صورت من الحفل، فقال من فوره:

- "وصورتنا فين اللي انا تشرفت بالتصوير معاك يا دكتور"؟

يتحبب إليّ بالمصرية!

فوعدته خيرا -ولعلي أنجزت موعدتي!- متحببا إليه بمقالي "في عمان فقط عرفني الوزير من قبل أن أعرفه:

(http://mogasaqr.com/?p=7919)"،

الذي كتبته عنه منذ سنتين ونيف؛ فقال:

- أنت مثال رائع للأستاذ الجامعي الصديق الصدوق!

فلما سألت الله أن يجعلني عند حسن ظنه، قال:

- "ونحن طلابك، رغم أنك لم تعلمنا في قاعة الدرس، لكننا تعلمنا منكم ومن خلال طلابكم في قاعة الحياة الشيء الكثير".

فقلت له:

- لله الحمد والشكر! وبمثل هذا التواضع تزدادون رفعة، ونزداد لكم محبة وبكم تعلقا؛ أعزكم الله وأكرمكم!

تواصل الأدباء

هذه الليلة ليلة الخميس (١٣/ ٨/ ١٤٣٨= ١٠/ ٥/ ٢٠١٧)، أجبت دعوة الدكتور عبد الله الكندي عميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، إلى الإلقاء من شعري بحفل تواصل (ملتقى الكلية السنوي)، وكان بفندق هرمز من مرتفعات المطار بمدينة مسقط.

جهزت له قصيدتي "خمسينية:

(http://mogasaqr.com/?p=10181)،

ومختارات من كتابي الأخير "اللهم إني صائم:

(http://mogasaqr.com/?p=12606)؛

فإنها إن لم تكن شعرا فهي أشبه النثر به، حرصا على ألا ينفض المجلس دون أن نتواصى بتلك الوصايا التي انتهت إليها عجبيّات الكتاب. وعزمت على عرض ما ألقيه على الحاضرين ليروا ما يسمعون؛ فإذا المقام على غير ما قدرت، وإذا زميل كريم فاضل يشاركني وقتي ويطيل؛ فيتأكد لي ألا سبيل إلى ما عزمت وجهزت!

لم يترك زميلي الكريم الفاضل موقفه حتى ألقى أربع قصائد ثلاث عاميات وواحدة فصيحة، فلما فرغ تقدمت، وحييت الحاضرين ولاسيما

الدكتور عصام الرواس الذي كان قديما عميد الكلية، وجعلت في تحيته ما سألقيه.

ذكرت أنني سأنشدهم قطعتين من الشعر في أسطورتين عمانية ومصرية، لا يخلو وصفها بالأسطورية من توسع ومبالغة، انتظمتا عفوا من بحر السريع. وكنت قد صنفت قصائد زميلي الكريم الفاضل على بحورها، ونبهت على تلمذة طلاب قسم الموسيقى الذين قدموا قبلنا بعض أعمالهم، وحكمة من جعل في مقرراتهم مقرر علم العروض الذي يستطيعون به أن يحافظوا على طبيعتنا الثقافية الموسيقية.

أما الأسطورة الأولى فزعم العمانيين أن البنت إذا حَلَتْ كانت كأنها مخطوبة، من حيث تفجر خطبتها طاقاتها، وتزيدها اجتهادا في التجمل باطنا وظاهرا، وهذه هي "مخطوبة"، قطعتها الشعرية:

"قالت لها لما رأت حسنها كأنك الساعة مخطوبة

الغصن لدن ورمال الكثيب بضة والدار مرغوبة

يا بنت أختي حيرت أهلها خبيئة الأسرار مرهوبة

خالتها تقرأ في وجهها آية عشق ثَم مكتوبة".

وأما الأسطورة الثانية فزعمي لزوجتي فريدة أن حروف اسمينا التي نقشت أوائلها على مُكحُلة أمي التي أهديتها إياها في خطبتنا، صارت رمزا إلى

ما يكون بين العشاق مما يخافون عليه اطلاع الناس، وهذه هي "مكحلة"، قطعتها الشعرية:

"تأملي ما كدت أن أجملهْ اسمك واسمي منعا الأسئلةْ

نقشتنا وشما جميلا فقد تبلغ عنا هذه المكحلةْ

ماذا ستحكي آه مما بها حروف اِسمينا لظى مشعلةْ

الفاء فاحت كشفت قصة مضمونها دمع دمي شكلهْ

والميم مهما سترت أظهرت أكثر ما تحتال كي تغفلهْ

حروف اِسمينا غدت شفرة تنطق للإسرار بالمشكلةْ".

التَّوْقيعُ برَسْمِ القَلْب

منذ أكثر من عشرة أعوام تفضل عليّ مرةً رئيسُ إحدى لجان مراقبة اختبارات التعليم المفتوح بجامعة القاهرة وكان من أساتذة كلية الطب، فجاءني إلى حيث أراقب المختبرين يأخذ توقيعي على أوراق اللجنة، فوقعت أمامه هذا التوقيع؛

فتبسم قائلا:

- توقيع هذا أم رسم قلب!

فأعجبني تشبيهه -وإن اشتغل فيه عنه بمهنته!- فليس ألطف من أن أرسم للناس قلبي كلما طلبوا توقيعي، ولا أصدق، ولا أبلغ،...،.

ثم استحدثت هذا الفصل بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية من جامعة السلطان قابوس (ربيع ٢٠١٨)، إثبات هذا التوقيع على يسار أعلى كراسة محاضرات علم العروض المجهزة للطباعة رقميا، أسفل من عنوانها، وحكيت لتلامذتي ما كان من ذلك الأستاذ الطبيب؛ فأثر فيهم تأثيرا شديدا:

إذ كان منهم من ألصق بجواره صورة قلب،

ومنهم من كتب كلمتي في الإعجاب بكلمة الأستاذ الطبيب هكذا:

وهل هناك أجمل من أن يوقع الإنسان برسم قلبه،

منهم من وازى التوقيع بتوقيعه، أو طابقه!

ألا رب عبارة وجيزة مشغولة بالحياة، يقولها الأستاذ؛ فتنفذ في قلب التلميذ ما لا تنفذ المحاضرات!

جسر الوفاء

من طرف جزيرة الروضة الجنوبي، بحي مصر القديمة العتيقة من القاهرة الفاخرة، امتد على النيل إلى جهة فسطاط سيدنا عمرو بن العاص -رضي الله عنه!- كوبري المانسترلي (جسر الوفاء)، الذي لم يعد الناس يعبرونه اليوم مثلما كانوا قديما حين كان بابهم إلى الائتناس بمقياس النيل، ولا مثلما كانوا أَقْدَمَ حينَ كان بابهم إلى الاحتفال بوفاء النيل!

كان الناس قد اصطنعوا للعبور صفا من القوارب المتلاصقة، يتجاوزونه قاربا قاربا، ثم ضُرِبَ لهم هذا الجسر ضربا فنيا لائقا بجاره قصر المانسترلي باشا المبني ١٨٥١؛ فكان تحفة من التحف، اختلط فيه التأسيس الحديدي المرهف بالتفريع الخشبي المزخرف؛ حتى سماه الناس "كوبري الخشب"!

لقد أدركتُه في بهائه وأبهته، ثم في مهانته وضيعته!

نعم؛ فقد صار أخيرا أهون على الناس من قمامة بيوتهم، يجترئ عليه شذاذ الآفاق، فيخلخلون منه أعمدة إنارته ثم قواعدها ثم حلى أسواره الجانبية، وكل أولئك أعمال خشبية فنية فخمة فاخرة- ثم يخلخلون أسواره أنفسها، ولا يلقي لهم أحدٌ بالا؛ فيأتون من بعد خلخلتها فيخلعونها، ويذهبون

بها إلى حيث يبيعونها غافلين عن قيمتها التي لا تقدر بثمن، أو متغافلين، أو كيف كانوا ملعونين!

ثم يأتي أخونا الدكتور محمد زهران أستاذ الهندسة الحاسوبية الآن بجامعة نيويورك المقيم قبلًا بحي جاردن سيتي القاهري المحمي بمؤسساته العالمية والمحلية، يدعو الحكومة المصرية إلى تعليق لافتة معدنية على كل مكان عاش فيه أحد كبار الفنانين والعلماء، يكتب فيها ما ينبه الناس على طرف من شأنه ويعلقهم به، على مثل ما صادف عنده:

http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=11082018&id=fe07576b-a754-48a3-a9e2-6dc44b235c99

وأزعم أنه لولا الحماية المؤقتة ليُصيبنَّها ما أصاب جسر الوفاء (كوبري المانسترلي)، على ما صورتُه ٢٨/ ١١/ ١٤٣٩=١٠/٨/٢٠١٨، قادما من صلاة الجمعة بجامع عمرو بن العاص، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

جلباب

وهناك مرَّ بنا -معشر المُتحلِّين بالحلل الغربية- فتى متجلبب بجلباب أعرابي، فوجدت من بعضنا شيئا، فقلت وقد لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم الملابس المختلفة:

لو كان إنما لبسه غضبا على ظلم ذوي الحلل الغربية لاستحق الارتياح إليه والرضا عنه والإعجاب به!

الجَنُولِيُّونَ

١

إنهم الجنوبيون أصلا الشماليون فرعا. ضاق بهم الجنوب؛ فرحلوا إلى الشمال متوسعين، وعلى بالهم أبدا "ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها"؛ صدق الله العظيم!

فمكثوا بالشمال غير بعيدين من الجنوب، شماليين في السراء، جنوبيين في الضراء، وكلما حزبهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به؛ فلا تجد أطفالا مثل شيوخهم، ولا شيوخا مثل أطفالهم، ولا تجد متبسطين مثل متقبضيهم، ولا متقبضين مثل متبسطيهم!

تحبهم حين تكرههم، وتكرههم حين تحبهم!

نعم؛ فجبريل فيهم إبليس حتى ينتصف منك، وإبليس فيهم جبريل حتى تنتصف منه!

من هؤلاء كان أبي وكانت أمي؛ رحمة الله وبركاته على أبي، ورحمة الله وبركاته على أمي؛ "إنه حميد مجيد"!

٢

تنزع بالجنولي طائفة من الأهواء المختلفة المؤتلفة معا، ربما استحال على غيره الصمود لها -فكيف بأن يشتمل عليها-: يجمع الفن والعلم إذ يجمع المال، ويحب الغرباء إذ يحب القرباء، ويقيم في وطنه إذ يرحل عنه!

نعم؛ فأما الهوى الأول فأن يغدو إلى مزرعة حقله كل يوم ويروح على كتاب قريته، أو يغدو على كتاب قريته ويروح على مزرعة حقله، لا يمل حتى تزداد مساحة أرضه ويتم حفظ كتاب ربه، ويقبل في الجامع الأزهر؛ فلا يكاد إذا آب يضع ثيابه حتى يطمئن على زراعة أرضه ومشاركة غيره في بهائمه. ثم إذا ما تخرج في معهده الأزهري وارتاب في فرصته العليا التحق بركب مدرسة الصيارف، ليتخرج صرافا خبيرا يقدّر الضرائب ولا يخشى في تحصيلها أحدا إلا الله، ويتزوج، وينفتح له باب كلية الشريعة والقانون وهو مقسم النفس على عمله وأسرته ومرابحه وعائلته، فيصبر عليها، وينهل من مددها حتى يتخرج فيها مقابَلا بين الفن والعلم، ويأبى أن يترك عمله إلى أن تعن له فرصة التدريس بالمنطقة الشمالية الشرقية من المملكة العربية السعودية، فيكاد يصبر وحده عليها عشر سنوات، ليعود بعدها إلى ما كان عليه قبلها أرغد حالا وأكثر أشغالا.

وأما الهوى الثاني فأن يتطلع إلى الزواج من غير بنات عائلته، زهرة عائلتها الوسيمة القسيمة البهية الحسيبة النسيبة الرضية، ويستولي على لبها هي

وأبيها حتى يزوجه إياها على صغر سنها وشدة غرارتها مدللة مصونة مخدومة، لا تعرف الخبز من العجين، ولا الحب من الطحين؛ فيرحل بها إلى حيث يستحدث بلدا وبيتا وعملا وزملاء وأصدقاء مسلمين ونصارى متدينين ودنيويين.

وأما الهوى الثالث فألا يقر له بمقام قرار حتى يتفلت منه إلى عائلته -مهما خلف فيه من أسرته- فيظل في خدمتهم مؤثرا لهم بأطيب ما تجمع له من فن وعلم ومال، ولا يدعهم حتى يشبعوا من شميمه ونعيمه، ثم يأذنوا له، فيعود راضيا مرضيا.

ثم أما الجنولية فبها من مثل تلك الأهواء المختلفة المؤتلفة، ما لو مُزج بحديث أهواء الجنولي لَمَزجه، وغَلب عليه!

٣

الجنولية -وما أدراك ما الجنولية!- حفيدة أبيها وبنت زوجها وأخت بنيها، الرخية الشديدة، السهلة الصعبة، الحانية القاسية، القريبة البعيدة، السكّيتة المنطيق، الضحوك النحوب، الحيية الجريئة، اللطيفة العنيفة، المؤمنة المخيفة، المغدقة الممسكة، الحليمة الغضوب، المتقنة المهملة، المحبة المبغضة، الصافحة الفاتكة، الصحيحة العليلة، الغنية الفقيرة، الصبور الملول، القوية الضعيفة!

سبحان الذي خلقها، فسواها، فعدلها، فركبها في صورتها الحسنى التي تعددت ألوانها واختلفت وائتلفت، ثم اجتمعت وانتشرت حتى تلون بها ما حولها ومن حولها، وهي التي لم تكد تشبّ حتى أُخذت من الخامس الابتدائي، فزوجت، فنقلت إلى حيث لا شيء إلا الظن والأمل؛ فأما الظن فما أكثر ما حيرها، وأما الأمل فما أقل ما صبرها!

يا ما كان أضيعها في بيت أبيها الشيخ الجليل الهرم الهِمّ، الذي أنجبها على حَرف؛ فكانت أصغر من بعض بني أخيها الكبير وأهون على زوجه، حتى استقل بها أخوالها وخالاتها وأبناؤهم وبناتهم أهل الفن الأغنّ والعلم المطمئن، الذين لولا زواجها لم تبرح فيهم سيدة مسموعة مرئية!

ثم يا ما كان أنبهها في بيتها الذي أنجبت فيه بما نجُبت، وأدبت بما تأدبت، وحمت بما احتمت، حتى كان بنوها إذا حَمي وطيس الحياة أووا إلى ركنها صغارا وكبارا، واعتصموا بحبل الله فيها؛ فانتفشت وحدها خلقا آخر، تصول وتجول كأنها ذات أشبال رِيعت بأشبالها، حتى يطمئنوا!

جَوَارِحُ

عقاب

اقترح عليك المشاركة في المسابقة، وكَتَمَكَ مشاركته لِيَكْبِتَك بفوزه، ففزتَ بها دونه!

تحول

كنا متعصبين للغة العربية: نتخاصم في من لهجته أقرب إليها، فصرنا متعصبين للغة الإنجليزية: نتنافس في من لهجته أكثر اختلاطا بها!

جودة

ألغوا محاضرته، واحتلوا فصله الدراسي لتجتمع فيه لجنة جودة التعليم!

عبث

أناب عنه ليحاضر في غيابه غير متخصص، فلما أن قام في مقامه عبِث بالحاضرين سخفا ومزاحا!

شغل

تُضيق عليه مجال حركته تحجب تأثيره، وتتثاقل عنه تقلل شأنه، وهو في شغل عنك باهتمام المحتفين واحتشاد المتأثرين!

لؤم

صرت مدرسا -ما شاء الله، لا قوة إلا بالله- وتجاسرت على أن تنادي أستاذ زملائك بالأخوة؛ فكيف إذا صرت أستاذا، أتراك تناديه بالبنوة!

جهل

أما تمل اجترار هذا السُّلاح النقدي غير الأدبي، وهذا جهلك التذوقي لا يخفى على الضَّبُع، ثم لا تغلق عليك بابك باكيا على خطيئتك، بل تتساخر بالأدباء والنقاد، تُدخل وتُخرج، وتُحيي وتُميت؛ فإن الله يُفجّر النقد من الأدب؛ ففجِّر الأدب من النقد!

تعنت

يسألك: ماذا ألفت في هذه المدة؟ فتجيبه: بضعة وثلاثين كتابا بعضها ورقي وبعضها رقمي. فيتعنتك: دعك من الرقمي! ولم يدر أن رقميك هو الذي يقرؤه الناس في كل مكان!

رسوب

استثقل البقاء وليس في الحفل مع المحتفلين غيرك؛ فاستأذن في الذهاب، ولم يكد يتحرك حتى حضر أحد الزملاء؛ فاشتغل به، ثم توالى الحضور، وإذا المحتفلون يختارونك دون غيرك لتكلمهم؛ فيُبلس وكأن قد رسب في اختبار عمره!

قدوة

أتظن -يا أستاذه الكبير- أنه يأبه لسخريتك من صلاته، وهو الذي لم يسخر قطُّ من سُكْرك الذي تُجاهر به! لا والذي جعل التأثير بالقُدوة أنجح من التأثير بالدَّعوة!

مآرب

إذا جعلتَ المجتمع في الوسط وأدرتَ حوله نُخَبَ المثقفين، لم يجز لك أن تَخص إحداهما باختيارك دون غيرها، إلا أن تكون لك مآرب أخرى!

دعارة

استعظمت قديما قول أحد كبار أساتذتك: لقد كنا جيلا داعرا، وطويت نفسك على الفرح بفضل جيلك على جيله؛ فكيف بك الآن وقد صار جيلك أدعر من جيله!

رمضان

أما الذين عَرَفوا رمضانَ فأقبلوا عليه إقبالَ الأحفاد على جدهم الحبيب الذي عودهم أحسن العادات، فهؤلاء يتعلَّقون بذيله أن يَفوتَهم؛ فإن أَبى إلا الرحيل فعلى الموعد، ثم يبتهجون في العيد بالوفاء! وأما الذين أَنْكَروا رمضانَ فنَفَروا منه نُفور السُّفهاء من الوافد الغريب، فهؤلاء يَتَوارَوْنَ منه بالأبواب خوفًا أن يَراهم عند ذهابه عنهم فيرجع إليهم، ثم يَغترُّون في العيد بالجفاء!

نذالة

سُجن صاحبُك أسنَّ منك ببضع عشرة سنة، وخوَّفك ساجنُه أن تذكره؛ فأسلمته للوحشة منك عشرين سنة، ولم يخطر لك ببال، وكنتما أخوي الغدوات والروحات؛ فقضى ربك أن يُميتك ويحييه بعدك طليقا كأن لم يُسجن، طموحا كأن لم يُنكب؛ فيا لَلشاهد لِلغائب!

حقد

مررت في غيابه وأنت رئيسه –وكان قد جاء العمل على رغمك زائرا– فوجدته قد علق على باب مكتبه جدول محاضراته الذي نص للطلاب فيه مثل غيره، على أن مكان ساعاته المكتبية هو مكتبه؛ فلم تملك نفسك أن نزعت ما علقه! فلما رأى ذلك عرفه، ولكنه ملك نفسه! حتى إذا ضرب الدهر ضرَبانه، ذهبت أنت غير مأسوف عليك، وجاء هو غير مستغنى عنه!

حياة

قالت أستاذةُ الجامعةِ الكبيرةُ لأستاذة الجامعة الصغيرة: إياك أن تهملي حياتك الاجتماعية لحياتك الجامعية كما أهملتُها؛ فقد رأيتني أتحرَّق ندمًا كلما دخل إلى قاعة المناقشات وراء إحدى تلميذاتي أبناؤها وبناتها!

اتجاه

قالت: وأنت ما اتجاهك؟ قلت: عروبي إسلامي. قالت: عروبي إسلامي! كيف! إما عروبي وإما إسلامي. قلت: بل عروبي إسلامي، من دون واو بينهما؛ فلا قيمة للأولى إلا بالثانية، ولا كمال للثانية إلا بالأولى، تتكاملان ولا تتنافيان. قالت: لا أستغرب جمعك بين المتناقضات!

تسوية

في غمرة سياسة تحريك التسوية يصطنع كل خصم من تسفيه خصمه وشيطنته ما يكبح جماحه، ويوطئه ظهره، ولا عزاء للفرسان!

حبيبتي

نوني نمانيم ريمونا شاكويان المشهورة بريم البان والعلم،

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته!

تعرفين أننا نتعمد تمرير اليوم لكيلا نقع في حرج تقديس ما لم يقدس رب العالمين. أما اليوم فأستطيع أن أهنئك بما أنجزته في العام المكتمل أمس. واعلمي أن النساء لا يصدقن القول في أعمارهن إلا بين العشرين والثلاثين: فأما قبل العشرين فيكذبن بالزيادة، وأما بعد الثلاثين فيكذبن بالنقص! أما أنت فلا شأن لك بهؤلاء ولا أولئك؛ فعملك المتقن خلود لا ينقطع ولا ينقص، بل يزيد بزيادة المستفيدين منه.

واعلمي أنك ما زلت عند حسن ظننا، تصنعين لنا المجد الذي لا ذكر لنا إلا به! وتذكري أننا مخلوقون لخلافة الله في أرضه بعمرانها على أحسن ما ينفع سكانها من الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وكل أولئك في ظني من الحياة، على ما دل قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "إن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم"، وعندئذ يكون لك في كل كبد رطبة أجر؛ فاختاري ما تعمرين به الأرض مما يبقى لك ذكره لسان صدق في العالمين، أطال الله في النعمة بقاءك ، ويسر لك سَنَّ السنن الحسنة والاستنان بها، وسددك، ووفقك، آمين!

حداثة

ربما قلت لي: هذا كلام قديم لجيل قديم!

فقلت لك: وما الكلام الحديث للجيل الحديث، الذي يظل حديثا!

فقلت لي: لا يلزمني كلام بعينه، بل أتنقل بين الكلام حتى أقف على ما ترضيني حداثته.

فقلت لك: وهل وجدت كلاما حديثا غير مأخوذ من كلام قديم؟

فقلت لي: بل كل كلام حديث فهو مولَّد من كل كلام قديم، ولكن بفضل تأمل وتدبر وتفجير وتطوير.

فقلت لك: ومن ذا منعك أن تتناول ذلك الكلام القديم بما لا يتناهى من التأمل والتدبر والتفجير والتطوير، حتى تستقر منه على حداثة ترضيك، وهو لا غيره دستور أمتك لا غيرها؛ فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها، فأما غيره مما تدعيه فمهما أحسنت فلن يحسب لك، ومهما أسأت فلن يؤبه بك!

حرب المصطلحات

- توحي "حرب المصطلحات"، بما يكون بين الأعداء من اختلاف في تسمية العمل الواحد، كما بيننا وبين اليهود في تسمية أعمال المجاهدين الفلسطينيين!

لكأنك تريد " فتنة المصطلحات" !

- من الذي يحدد مرجعية المصطلح؟

- ترجع المصطلحات إلى المشتغلين بعلومها؛ فهم الذين يحتاجون إليها؛ ومن ثم ترجع إليهم وحدهم، حتى لقد قرر المجمع أن يتجاوز عما يكون فيها من خلل يهون في سبيل ما تؤديه من منافع!

ولكنه يحاول فيما لم يُبَتَّ من المصطلحات، أن يسبق إلى الرأي الصحيح المقبول، معتمدا على صفوة علماء كل علم الأعضاء فيه.

- ما دور مجمع اللغة في حرب المصطلحات؟

- إن المجمع هو الهيئة الوحيدة المخولة تبديد هذه الفتنة، وإزالة شبهها من طريق أهل العلم الواحد في أرجاء الأرض!

- ألم يحن الوقت لاتحاد جهود المجامع اللغوية لمواجهة هذه الحرب الشرسة؟

- بلى آن من زمان، ولدينا مؤتمر للمجامع، وهيئة خاصة لتنسيق التعريب (باب فتنة المصطلحات)، تابعة مثل المجامع لجامعة الدول العربية، مقرها تونس، تهتم لذلك.

- وما العوائق التي تحول دون ذلك؟

- هي عوائق الاستفادة من أعمال المجامع على وجه العموم:

١ استكانة إلى الإهمال، خارجة من ضعف الإيمان بالثقافة العربية.

٢ غرام بالتغريب، خارج من ضعف الثقة بالثقافة العربية.

وغيرهما مما تأصل في الشعوب والحكومات، وعمت به البلوى، ولم يعالجه صلاح أشخاص قليلين!

- هل نحن مولعون بتقليد الغرب كما يقول ابن خلدون: "المغلوب مولع بتقليد الغالب"، لذلك نستعمل مصطلحاته ونترك مصطلحاتنا؟

- إذا ضعف إيمان الإنسان وتزعزعت ثقته، لم يستطع إلا أن يقلد المؤمنين الواثقين؛ ولهذا كانت قضية حياة أستاذنا محمود محمد شاكر -رضي الله عنه!- رد الثقة الذاهبة!

حَرَج

أوائل تسعينيات القرن الميلادي العشرين دعوت إلى المحاضرة بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة في "أثر الحفظ في براعة المتكلم"، أستاذيَّ وصديقيَّ الجليلين الدكتور محمود محمد الطناحي عالم المخطوطات المحقق المعروف -رحمه الله، وطيب ثراه!- والدكتور فتحي جمعة اللغوي المخلص القدير، صاحب كتاب "اللغة الباسلة"، الأستاذ بالكلية -أطال الله في النعمة بقاءه!- فلبَّيا حفيَّين؛ فإذا وكيل الكلية قد حوَّل ندوتنا عن مكانها إلى غيره!

لم يحضر غير عدد قليل أبى معه الدكتور الطناحي أن يحاضر، بأن نفسه "لا تتطلَّق في هذا العدد"؛ فألغيتُ الندوة حيرانَ أَسِيفًا، لا أعرف ما أصنع.

ثم علم بذلك أخي الحبيب الدكتور مصطفى عراقي حسن؛ فلامني أن لم أصمُد للندوة أنا والدكتور فتحي وحدنا! ولو كان لفعل؛ فلم أعرف أثبت في مثل هذا الحرج منه، رحمه الله، وطيب ثراه!

حياة زوربا كتابة ورقصا

شاب أديب ثري صادف شيخا عاملا أميا فقيرا، ولكنه ممتلئ قوة وحيوية وتشهِّيا، فأما هو فحيران بفلسفة الحياة التي كلما أمسك منها شيئا أفلتَتْه أشياء!

يلتقيان عَرَضًا، ويتحاوران عنادا؛ فيتعلق بعضهما ببعض، وكأنما أراد كل منهما أن يكتمل بالآخر؛ فأما ذلك الأديب فذو علم محتاج إلى اختبار عملي، ورزانة محتاجة إلى طيش! وأما هذا الأمي فذو طيش يدعي أن العلم مفسدة أي مفسدة، محتاج إلى الرضا بطيشه!

يسافران معا إلى بلد بعيد، ويستحدثان عملا صعبا يجتمعان به وعليه، ولا يفتأ أي منهما -إن اشتغل عن صاحبه- يعود ليشتغل به، حتى لم يتركا شيئا من أمر أنفسهما هما ومن حولهما وما حولهما إلا ذكراه، فتأملاه، ونقداه. إذا طرب ذلك الشاب الأديب -وما كان أقلَّ طربه- شَرَد؛ فتكلم، وتفلسف! وإذا طرب هذا الشيخ -وما كان أكثر طربه- عزف؛ فغنى، ورقص! حتى إذا ما طربا جميعا معا كانا كأنما يتبجسان من رماد، أو ينتشران من موات.

يصطحبان ما شاء الله، ثم يفترقان، يفرق بينهما ما جمع بينهما؛ فعَمْرُهما كان حين التقيا قد شَبَّ عن الطَّوْق؛ فأبى إلا أن ينزِع بكل منهما إلى طبيعته

وعادته!

عندئذ يجد الشاب الأديب ضالته، أن يكتب قصة حيرته ولقائه بالشيخ الأمي، وما كان بينهما حتى افترقا، وما جدّ له بعدئذ من أفكار ومشاعر، فيها من آثار الشيخ الأمي ومن شوقه إليه ما لا سبيل له إلى إنكاره. ولا بأس بأن يتلبَّث عند معالم كل مشهد، يستبطنها بما انبثَّ من خيالات شروده، ويستظهرها بما انبعث من مأثورات كتبه!

تلك كانت "زوربا" رواية نيكوس كازانتزاكيس الكاتب اليوناني (١٨٨٣-١٩٥٧)، التي ملأت الدنيا وشغلت الناس، حتى تُرجمت إلى لغات كثيرة منها العربية ترجماتٍ مختلفة، ومُثلت بهوليوود فيلما معروفا، وبُلْيِهَتْ (حُولت إلى باليه)، يونانيةً وغيرَ يونانية بل عربية مصرية!

وعلى أهمية ترجمتها وتمثيلها تشغلني دونهما بَلْيَهتُها؛ إذ يظل حاضرا في الترجمة والتمثيل التعبيرُ البياني منطوقا ومقروءا، فأما في الباليه فيتحول التعبير إلى حركة راقصة تستولي على رائيها، وتستفزه إلى تأويلها، ولاسيما إذا لم يكن له بالرواية من علم، فلا يكون أشبه منه بمؤوِّلي الأحلام!

لابد أن هذا الراقص الشاب المتأنق المشتمل على كتابه هو الشاب الأديب، وأن هذا الرجل الملتحي المتبذل هو الشيخ الأمي -نعم- وأن هؤلاء الشباب المتشابهي الملابس هم أهل البلد الذي رحلا إليه، يلتفون حولهما

بأسباب مختلفة رضًا أو غضبا وفرحا أو ترحا، وبملابس مختلفة كذلك بياضا أو سوادا، وحمرة أو صفرة!

يبدو الرجل الملتحي متبسِّمًا دائما، خبيرا صبورا على إغراء الشاب المتأنق بمباراته، ينتزع منه كتابه ليلقيه بعيدا فلا يشتغل به عنه. ينصاع له، فيرقصان على أنغام ساذجة متقطعة رقصا صوفيًّا أشبه برقص تجار البحر المصريين (البمبوطية)، ويخالطان أهل البلد لتدور بهم جميعا معا دوائرُ الرقص، تتصل وتنقطع، وتنفض وتجتمع- مثلما تدور أحداث الحياة!

وربما برز من الشباب من يطرد الوافدَيْنِ إلى خارج دوائرهم؛ فيردهما غيره من المتعقِّلين المُنصفين. وربما احتدم التدافع؛ فكانت وَكَزات، وكانت سَقَطات، وما من نَأْمة في الخِلال إلا ضربات أرجل وانعطافات جذوع وصفقات كفوف وملامح وجوه وحركات رؤوس!

لو لم يكن لبَلْيهة الأعمال الأدبية من فضل غير التنبيه على جلال نعمة البيان، لكفاها؛ فكيف وهي لوحات من الخرائط الذهنية الحركية الراقصة!

حَيويَّة

قلت لأستاذي الدكتور منذر عياشي:

- أراك -أطال الله في النعمة بقاءك!- فأذكر كلمة ذلك الأديب ذي الثمانين عاما، الذي سئل عن عمره فقال: بلغتُ الأربعين مرتين، وأعرف أنك تَصدُقني كما أَصدُقك؛ أوَقَع لك أن كفرتَ بما كنتَ به مؤمنا، أو آمنتَ بما كنتَ به كافرا؟

فقال:

- أنا بينهما طوال عمري!

خارطة الطريق

(أباطيل وأسمار)

الخَرْطَةُ الأولى

منذ قليل بثت الجزيرة كلمة أحمد عارف المتحدث باسم جماعة الإخوان المسلمين من ميدان رابعة. وقد ربط فيها احتشادهم اليوم باحتشادهم سنة ١٩٥٤، مما يوحي بما ستجري عليه الأحداث!

ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الخَرْطَةُ الثانية

من أعجب ما استحدثه المصريون المتسرِّون بالتَّنْكيت والتَّبْكيت - ورحم الله عبد الله النديم- أن وصفوا المستشار عدلي منصور الرئيس المتولي بانقلاب الجيش بالطُّرْطُور، بعد أن وصفوا الدكتور محمد مرسي رئيسهم المتولي بترجيح الإسلاميين بالإِسْتِبْن.

وإذا كان الإستبن هو البديل الاحتياطي في لغة السياريِّين والطرطور هو الزينة الزائدة المهملة في لغة المولديين، فإن الشعب المصري هو السيارة نفسها هناك، وهو صاحب المولد نفسه هنا، ولا عزاء للمغفلين!

الخَرْطَةُ الثالثة

منذ قليل صليت العصر مع ابني الأصغر فرات ذي ثماني السنوات حيث أصلي الظهر حتى أونسه وأوثقه بحفظ القرآن على الشيخ أحمد الشاب الجميل ذي الصوت الحذيفي الرخيم، وأوصيته به خيرا قائلا مش هوصيك على فرات، فقال لا فرات راجل محترم!

ولقد فوجئت قبلئذ بأحد أعضاء مجلس إدارة المسجد يدعو الناس إلى الخروج لتأييد الرئيس محمد مرسي ولم يفعلها أحد بهذا المسجد منذ انقلب الجيش!

ونحن هنا بجزيرة الروضة على مقربة من محتشد مؤيدي الرئيس بميدان النهضة بين حديقتي الأورمان والحيوان حيث تمتد مساحة هائلة من كوبري الجامعة إلى بابها ومن كلية الفنون التطبيقية إلى ميدان الجيزة. وقد ارتعب معارضو الرئيس بالمنيل من شائعات هجوم جحافل المؤيدين وزعموا أنهم كروا عليهم أمس السبت ٦/ ٧/ ٢٠١٣ وقتلوا منهم بضعة عشر رجلا من بعد أن زعم المؤيدون هناك أنهم كر عليهم البلطجية وشرطتهم وقتلوا منهم بضعة عشر رجلا!

ولقد عرفت أن المؤيدين المحتشدين رجال ونساء شبان وشيبان وأن منهم مسلحين متحفزين وأن المسلحين منهم إنما هم شباب حزب البناء والتنمية ذراع الجماعة الإسلامية السياسية!

سبحان الله!

"يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي"!

أليس زعماء هذا الحزب هم قادة مظاهرات مئات الآلاف أواخر سبعينيات القرن الميلادي العشرين الذين تطرف منهم من هجم على الكلية الفنية العسكرية وغيرها وناجز الشرطة وقتل الرئيس السادات ثم اعتدل من تطرف!

لكأني بالمتطرف الذي اعتدل قد زهد في اعتداله وأغراه بحمل السلاح مرة أخرى مغر جسيم بخطب عظيم في ليل بهيم لن يعتدل بعده أو يدركه أقرب الأجلين!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

الخَرْطَةُ الرابعة

على رغم اضطراب الحياة القاهرية هذه الأيام أرغمني صغاري أمس بعد صلاة العشاء على الخروج فذهبت بهم نتمشى على كوبري عباس المبجل

وجلسنا في بعض مجالسه قليلا نأكل الترمس المملح ثم تمشينا قليلا لنشرب عليه عصير القصب فإذا ميدان الجيزة.

أغرانا اتصال الميدان بطريق جامعة القاهرة فتمشينا فإذا حواجز مؤيدي الرئيس محمد مرسي فاجتزناها إلى محتشد ميدان النهضة المذكور من جهة باب جامعة القاهرة حيث انتصبت أمام شعلة الجامعة منصة كبيرة ازدحم عليها المتحدثون وأمامها المستمعون.

وعلى حسب المستمعين كان المتحدثون رجالا ونساء كبارا وصغارا حضريين وريفيين عرفت منهم وجهلت واستمعت إلى بعضهم وتحدثت فإذا الشعب المصري يد واحدة ووجه واحد ولسان واحد تعتوره الأحوال أنفسها وسواء أكان في التحرير والاتحادية أم في رابعة والنهضة!

رحمة الله وبركاته علينا جميعا أهل مصر إنه حميد مجيد!

أي مخرج جبار حدد لنا أدوارنا فتحركنا بها أمامه مختلفين مؤتلفين وهو مطمئن إلى سلامة القصة والسيناريو والحوار أي الخطة المرسومة التي اتفق عليها هو والشيطان الأكبر بعلم الطاغوت!

لقد أوحيت من قبل بالحقيقة الغائبة ولم أقدر على التصريح خشية الظلم ولكنها الآن واضحة يراها كثير من المصريين وإن اختلفت تعبيراتهم عنها ويضعونها في إطارها التاريخي المناسب.

منذ كان لنا جيش قوي مؤثر اجتمع علينا أعداؤنا واجتهدوا كل الاجتهاد حتى حددوه ووجهوه ولا سيما في أثناء حملاتهم التخريبية التي تركوا بعدها دائما من يخدعنا عن حقيقتها ولكنه كانت تند منه يقظات ويسبقهم إلى مفاجآت آخرتها مفاجأة العاشر من رمضان السادس من أكتوبر التي اجتثوا جذورها من بعد وقضوا على رجالها.

لقد اتصلت بين جيشنا والجيش الأمريكي وما إليه أسباب الوجود والتطور واتسع لمثل ما اتسع له الجيش الأمريكي وما إليه من مراكز البحث والتخطيط والمتابعة والمراقبة بل اتحد بينهما الخبراء والبرامج حتى ترسخت عند قادة الجيش المصري في ذلك عقائد ثابتة واستمرت لهم أحوال واحدة. فليتجرد من شاء أو فليتمرد فإن تكرار الراء بينهما لَهُوَ مِلاك الغفلة فيهما وقوامها وذروة سنامها ولا ضير إذا احتشد المتمردون من أن يتاح لهم من الأوهام مثل ما أتيح من قبل للمتجردين فما توهُّم اختلاف منصور ومرسي في هذا المقام إلا كتوهُّم اختلاف السيسي وطنطاوي ما دامت تلك الخطة المرسومة هي خارطة الطريق!

لا والله ما عن يأس من رحمة الله قلت ما قلت ولا عن محبة لليائسين ولكنها كراهة التغفيل والمغفلين فليثر المصريون جميعا معا على خطة التبعية المرسومة متحدين لا متمردين ولا متجردين!

خبير ذكي أم مبدع عبقري

لم أرد قبل أن أنظم هذه السَّمْرؤوتة:

"أذكيا تراه أم لَوذَعيا عبقريا يظل يفري فَرِيّا

من بني الشَّيْصبان أَيْهَمُ لا يركب إلا المجهول يَهوي هُوِيّا

لِقحت أمه ببذرة جنيٍّ فأضحى يطوي المآلات طيا"،

إلا أن أتكلم في فرق ما بين الذكي والعبقري؛ فقد وجدته ملتبسا على الناس حتى علمائهم، إذا ذكروا خبيرا قالوا: عبقري، وإذا ذكروا مبدعا قالوا: ذكي، وهما مختلفان بحيث لا يشترط في المبدع العبقري أن يكون خبيرا ذكيا، ولا في الخبير الذكي أن يكون مبدعا عبقريا، لا بل يكفي أن يشتمل كل منهما على طرف مما عند صاحبه.

نعم؛ فما الخبرة والذكاء إلا استيعاب التجارب السابقة واستحضارها عند الحاجة، وما الإبداع والعبقرية إلا استشراف طرق الحصول واستحداث طرائق الوصول.

ولكن لم تكد عبارتي عن ذلك تقول: "أذكيا تراه"، حتى تراقصت تقول: "أم لوذعيا عبقريا..."، ثم انساقت تحطِب في هوى المبدع العبقري،

وكأن ليس في الأحياء غيرُه، وألا حاجة بالعمران مع المبدعين العباقرة إلى الخبراء الأذكياء، ثم لم تجد حدا تقف عنده إلا أن تتسمى أَرْطُغْرُل (اسم البطل التركي الخرافي، الذي ملأ مسلسل سيرته الدنيا الآن وشغل الناس)، وهو موقف فني خالص، يُعذر فيه صاحبه بعماه، ولا ريب في أنه "ليس على الأعمى حرج"؛ صدق الله العظيم!

خَلَّاط

ما زلت ممن يكتبون لتلامذتهم أحيانا على السبورة!

نعم؛ ومهما تأنقت فأعجبهم تأنقي حرصت على ألا أخدعهم:

لقد كان الخط من مهارات أبي -عفا الله عنه في الصالحين!- ولكنني لم أرث عنه منه إلا محبته؛ فلست بخطاط، بل خلاط! نعم؛ أحب الخط، ولا أحسن إلا الخلط؛ أخلط النسخ بالرقعة والديواني والحديث الذي لا ملة له وغير ذلك، معا معا معا؛ فإذا هذا الشيء الذي أحسنه إذا كنت مرتاح البال فتستحسنونه، وأسيئه إذا كنت مكروبا فتستقبحونه!

ولكنهم يبتسمون، ولا يصدقون!

الدرب الأحمر

عام ١٩٦٢ تخرج في كلية دار العلوم من جامعة القاهرة، الدكتور محمود محمد الطناحي -رحمه الله، وطيب ثراه!- فعمل بإحدى مدارس حي الدرب الأحمر القاهري، المعروف بشراسة أهله وجبروتهم!

قال: فدخلت فصلي أول ما دخلت، وكنت عندئذ شابا لطيفا وسيما، فكأنما استصغرني الطلاب؛ فقد سألت أحدهم عن اسمه، فقال: بُرَعِي، وغيره، فقال: بُرَعِي، وغيرهما، فقال: بُرَعِي؛ وإذا كلهم بُرَعِي، قد استخفُّوا بي، وأضمروا الكيد لي!

قال: فتوسَّطتُ الفصل، وتفرَّستُ فيهم مَليًّا، ثم قلت لهم: ما هكذا يتعامل الرجال! ما رأيكم في أن نتعاهد على معاملة الرجال، ولكم عندي كل حِصَّة نُكْتَةٌ جديدة، وبهرهم بواحدة من أَواحِدِه التي لا تنفد؛ فانشرحت لمعاهدته صدورهم، وصدَقوه القول والفعل -قال- حتى إنهم كانوا إذا زار الفصل الموجهُ فسألهم، رفعوا جميعا أيديهم، من عرف منهم الجواب ومن لم يعرف، حرصًا على تشريف أستاذهم أمام رئيسه!

الدكتور سعيد الكملي

قمر المغرب المُشرق

ما أعجب هذا الشاب الوسيم القاعد في ثيابه المغربية العتيقة الأنيقة، على كرسي الإمام مالك بن أنس، يشرح للناس موطأه، في مسجد السنة من مدينة الرباط بالمملكة المغربية، بين عشاءَيْ كل جمعة، فينتهز كل فرصة يرد فيها بيت من الشعر العربي القديم، ليستطرد إلى إنشاد قصيدته كلها أو جلها، وشرحها، وذكر أخبار صاحبها، واستحسان ما فيها من ذخائر المجد العربي، حتى إذا ما اكتفى أنشد قول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وكأن لم يكفنا قيامه بتراث المحدثين والفقهاء والمتكلمين والمفسرين والمؤرخين، فاستزدناه من تراث الأدباء واللغويين والنقاد؛ فقام له خير قيام، في إحاطة فذة، وبديهة حاضرة، وبيان رائع، وفصاحة مدهشة، وظرف، ولطف، لا يتدفق منه ذلك كله، إلا عن إيمان به راسخ، وحماسة له ظاهرة؛ فلا يلبث حتى يتمكن من عقل سامعه وقلبه!

فيا سبحان الذي خلق الدكتور سعيد الكملي!

راوية المتنبي

صباح السبت (١/ ٣/ ١٤٢٩=٨/ ٣/ ٢٠٠٨)، نافست بين تلامذتي طلاب ثالثة دار العلوم بجامعة القاهرة، في حفظ اثنتي عشرة قصيدة طويلة فاخرة من شعر أبي الطيب المتنبي، كنت قد سلكت لهم بها مسلكا طريفا في الجمع بين مسائل علم العروض ومسائل علم الصرف، على قلب مفكر عربي فنان شاعر واحد، راد لمن بعده مجاهل التفكير والتعبير العربيين، وهو ما خرج به عندئذ كتابي "ظاهرة التوافق العروضي الصرفي".

اجتمع لذلك بمكتبي بضعة طلاب -منهم آيات أبو المجد، وشيماء عبد الراضي، وطالب كفيف لا أذكر اسمه- وأحسنوا ما شاؤوا، حتى أفضى التنافس إلى آيات وشيماء.

كانت آيات كاسمها ذكية ماهرة -وقد تحولت إلينا عن كلية العلوم- وكانت شيماء موهوبة مؤيَّدة، قد أشرفتْ على جمع القرآن كله، وكنت بينهما أحير من بستانيّ في حديقة بنفسج ساطع العبير.

خطر لي أن أتجاوز إلى أغوار بعض القصائد، وسألتها التسميع منها؛ فلم تقم آيات لشيماء، التي كانت كأنما أوتيت حاسوبا ضابطا لا يخرم شيئا مهما كان موضعه!

حكمت لشيماء بالفوز، وأجزتها بكتبي كلها وعلى كل منها إهداء باسمها، يحفه ما تستحقه من التقدير والشكر. ثم تخرجتا جميعا معا في أوائل دفعتهما، لتعمل آيات في إدارة الكلية، وشيماء في وزارة التربية والتعليم، دون أن تنسيا الدراسات العليا.

ترى لو كان أبو الطيب اطلع على الغيب، وعرف مجلسنا هذا، وما كان فيه من الحفاوة بشعره ضبطا وحفظا وأداء- ألا يسره كثيرا، حتى ربما استبدل بابن جني قائلا: بل هذه!- وبسخريته من مضحكات مصر، قائلا:

وكم ذا بمصر من المُكرِمات اللواتي يراعين حُكم النُّهى

حفظن قصائد كانت مصايد لولا حصائد لُسْن الهُدى

ومهما وفيتُ ومهما أبيتُ ومهما عتوتُ طلبتُ الرضا

راوية المدى العماني

على أوائل خطاه بكلية الهندسة رغب إليّ إبراهيم المسكري أن أضيفه إلى طلاب علم العروض؛ فأوصيت به المسؤول عن التسجيل، ولكنه شكا صعوبة الأمر؛ فوجهته إلى عميد كلية الآداب نفسه. ثم لما لقيته بعد أن نجحت محاولته وانضاف اسمه إلى سجلّ طلاب علم العروض لربيع ١٤٣٨=٢٠١٧، ذكر لي أن العميد دافعه عن قبول محاولته، بأنه سيأتيه بعدئذ ليطالبه بالتحويل من الهندسة إلى الآداب كما فعل غيره؛ فطمأنه أنْ لن يفعل!

شاب صغير الجسم كبير العقل، سريع النطق يدخل كلامه من سرعته بعضه في بعض؛ فيضطرك أحيانا إلى استعادته، أحد مُحَدَثي تلامذة الشيخ حمود الصوافي المعلم الرباني الذي صارت التلمذة له شعار النجابة، جرّب الشعر حتى جعله في توسله إلى المقرر؛ فوصل.

لم أكن أطمئن إلى المحاضرة حتى أراه في مجلسه من الصف الأول، ولا إلى لطافة ما أقول حتى أنظر إليه فأرى ابتسامته المشرقة في سمرة ملامحه المورقة، ولا أنفتل من المحاضرة حتى أجده على الباب مثلما كان ابن المستنير لسيبويه وسيبويه للخليل وغيرهما لغيرهما، يتحبّب إليّ بالأسئلة التي لا يسألها غيره، سؤالَ المخلص الطموح المجتهد المتطلع إلى توظيف مقالات المهندسين في

خدمة مقالات العروضيين، يقصّ علي مما عرض له وعثر عليه، وأقص، حتى نبلغ مسجد الجامعة، حيث ندرك صلاة الظهر التي توسّطت المحاضرة.

مرة حدثت الطلاب وهو فيهم، بحديث "راوية المتنبي: http://mogasaqr.com/?p=12413"؛ فاقترح أحد زملائه أن أنافس الآن بينهم هم في حفظ قصائد ملف "علمني عروض الشعر (http://mogasaqr.com/?p=10324)"، مثلما نافست منذ تسع سنوات بين تلامذتي بالفرقة الثالثة من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، في حفظ قصائد كتابي "ظاهرة التوافق العروضي الصرفي"، فقبلت اقتراحه، وظللتُ أذكرهم الاجتهاد في ذلك، ثم جعلت الموعد بعقب اختبار المنتهى ١٣/ ٥/ ٢٠١٧، أي اليوم!

جهزتُ في الجائزة كل ما لديّ من كتبي الورقية والرقمية، وختمتها بخاتمي، ونبهتُ الطلاب على ذلك أولَ الاختبار، ثم عدت من بعده إلى مكتبي أنتظرهم مثلما فعلت منذ تسع سنوات؛ فلم يأتني غير إبراهيم المسكري طالب الهندسة!

- تفردتَ -يا إبراهيم- وكلُّ مُجْرٍ في الخلاء مسرور!

أتقدر؟

- نعم!

- ما أجرأك!

ثم ذهبتُ أطوِّح به كلَّ فج من فجاج القصائد، متقدما ومتأخرا وصاعدا وهابطا، وهو صمود قدير، حتى أمسكتُ عليه خطأ نسيان؛ فضربت به مكتبي؛ فانتبه من فوره قبلي؛ فذكر ما أفلتَه، واستحق الجائزة، تحيةَ تقدير، ومحبةَ توفيق؛

فسبحان الذي خلق إبراهيم المسكري!

رحلة الإنسان

لم يكن لأديبين عربيين ألمعين كمحمود محمد شاكر ونجيب محفوظ – رحمهما الله، وطيب ثراهما!– أن يغفلا عن تأمل رحلة الإنسان منذ خُلق إلى وقتها؛ فليس أجدر منها بتفكيرهما وتعبيرهما. وقد فعلا ذلك بين خمسينيّات القرن الميلادي العشرين وستينيّاته، حين بلغ السيل الزُّبى تفاؤلا وتشاؤما!

أما شاكر فجعل في ذلك قصيدته "اعصِفي يا رياح"، ذات الأربعة ومئة البيت، وأما محفوظ فجعل فيه روايته "أولاد حارتنا"، ذات الثلاث والتسعين وخمسمئة الصفحة– أي بكل بيت شاكري ست صفحات محفوظية، وما كان أقلها!

نعم؛ فبعدما مرا جميعا بالإنسان على مراحل رحلته المتتابعة المتفاوتة علما وجهلا وهدى وضلالا وأمنا وخوفا وسعدا وتعسا، اختلفا فيما أفضيا به إليه؛ فأما محفوظ فأقره في مقام العلم، وأغناه به، تنبيها على حرية العقل ووجوب التسليم له بعد ما حصّله. وأما شاكر فزلزله في مزلق الوهم، وحذره منه، تنبيها على نقصان العقل ووجوب التأدب في مقام الملكوت الهائل!

- ماذا فعل عرفة الآن، يا نجيب!
- صار عرفات، يا أستاذ محمود!

- فليت الرياح كانت ريحا! إذن لدالت دولة الإنسان من قبل أن تبلغ قرارها!
- بل لأدالت بعضًا من بعضٍ!
- ولا يفتأ الخالفون يبدؤون من حيث بدأ السالفون!
- نعم؛ بدءَ من اتعظوا فتأدبوا!
- فلتعصف الريح إذن ما شاءت، يا أستاذ محمود!
- اعصِفي يا رياحُ من حيثما شئتِ وعَفّي الطُّلولَ والآثارا

وانسِفي يا رياحُ غايةَ هذا الليل حتى يَحُور ليلا سِرارا

رَزَانُ

(رسالة تخرج فراهيد المالكي تلميذي العماني النجيب)

"سلامًا لروحكِ بينَ الغمامْ

ملاكًا يحلقُ يَمحُو الظلامْ

يُغرّدُ حبًّا ينيرُ الأكامْ

فيحيا على جانبيها الأنامْ

سلامًا سلامًا سلامًا سلامْ

أيا طُهرَ طيبةَ وردَ الخليلْ

ونسمةَ حَيفا وبُشرى الجليلْ

تناديكِ غزةُ يافا المقيلْ

سنرجعُ للقدسِ لا مُستحيلْ

سلامًا سلامًا سلامًا سلامْ

رزانُ الثباتُ رزانُ الوقارْ

سليلةُ مجدِ الأسودِ الخيارْ

فلسطينُ داري ونعمَ الديارْ

بِرغم الأعادي وكَيدِ الجوارْ

سلامًا سلامًا سلامًا سلامْ

رَحلتِ ولكنْ سيبقى مَثارْ

فبعدَ الظلامِ يجيءُ النهارْ

وبعدَ البذورِ ستأتي الثمارْ

سلامًا لروحٍ تَصونُ الذِّمارْ

سلامًا سلامًا سلامًا سلامْ

لأنتِ الشريفةُ ذاتُ العفافْ

لأنتِ المنيفةُ دونَ السِّخافْ

لأنتِ القويةُ نحنُ الضعافْ

ألا أشعلِ الحربَ قُمْ لا تخافْ

جحيماً لكمْ يا أعادي السلامْ

ليهنَ لكِ القلبُ ذاكِ المقامْ

رزانُ وليدة كل التحامْ

تُحاربُ بالعزمِ كل طَغَامْ

أيا رب بالحبِّ دين الوئام

نناجيكَ طَهّر بلادَ الحَمامْ"!

هذه قصيدة فراهيد المالكي في الممرضة الفلسطينية الشابة رزان النجار "شهيدة الإنسانية"، الملاك الراحل الذي اغتالته قبل أسابيع يد الشيطان الصهيوني الباغي؛ فلم يملك وهو على مشارف تخرجه في كلية العلوم بجامعة السلطان قابوس، إلا أن يعبر عن أن الشباب العماني العربي المسلم ولاسيما طلاب هذه الجامعة الغراء، لا يشغلهم عن الهموم الكبيرة هم صغير؛ فالهموم عندهم واحدة، يمسك بعضها بحُجَز بعض.

وقد جعلها ست قطع، لتكون القطعة الأولى منها في طهر هذا الملاك الراحل الذي لا يجوز في حقه ما فُعل به، والثانية في تعلقنا به واشتمالنا عليه، والثالثة في رَمْزه لنا إلى أجلّ القيم عندنا، والرابعة في وَعده بالمضي في مثل سبيله، والخامسة في استنفار المؤمنين بذلك، والأخيرة في التفاؤل بالأمل، الذي من تفاءل به بَلَغه!

ست قِطَع من بحر المتقارب الذي يغري القارئ بنُعومته، حتى إذا جاءه انقلبت نعومتُه خشونةً؛ "أذلَّة على المؤمنين أعزَّة على الكافرين"- قوافيها متعددة الأروية متحدة سكون الروي وألف الردف، ليس أدل منها على أنه مهما خالَفَتْ بيننا الهَناتُ الهَيِّناتُ، فستؤلِّفنا المُهمات الجليلات، اللَّواتي مَن فَرَّط فيها أُكِلَ قبل غيره، مثلما أُكل الثور الأبيض!

رِوَايَةُ سِيبَوَيْهِ عَنِ الْكُوفِيِّينَ

لم يَرْوِ سيبويه عن الكوفيين من الشعر شيئا، إلا أنه ألَمَّ بمذهبهم أربع مرات بأربع مسائل: ثلاث من علم القراءات ("أيُّهُمْ أَشَدُّ"، "فَتُذَكِّرُ إحْدَاهُمَا الْأُخْرَى"، و"تَذَكَّرُونَ")، وواحدة من علم الصرف (فَيْعِل المكسور العين واوية أو يائية)، من غير أن يكون في شيء منها شيء من الشعر!

ولقد زعموا أن الرُّؤاسيَّ ادعى على سيبويه أنه درس على الخليل كتابا له سماه "الفيصل"، وأنه إذا ذَكَرَ الكوفي فإنما يعنيه، ولا والله ما وقع لهذا الكوفي بالكتاب من ذكر -وما عن استخفاف به ولا بهم أقول ما أقول- إلا مثلما أوهمنا أحد الراحلين من كبار أدبائنا المعاصرين وكان تَلْمَذَ للعقاد، أنه إذا ذَكَرَ أنيس منصور "الفقي" بكتابه "في صالون العقاد"، فإنما عناه، وقد فلَّيته فلم أجد له فيه من ذكر، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ينبغي أن يعرف الناس أنه من كتاب سيبويه خرجت مذاهب العربية الأولى كلها، وتفرعت، واختلفت؛ فهو ينبوعها الذي منه نبعت، ومحورها الذي عليه دارت؛ "ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"!

الزمن الجميل

يمر كل شيء في هذه الدنيا بمراحل زمنية مختلفة، يكون في بعضها أقوى منه في بعض وأقدر وأفضل، يمتلئ بما لديه، ويستطيع ما لم يكن يستطيع، ويزيد على غيره. ثم قليلا قليلا يتدهور إلى حيث يفرغ ويعجز وينقص؛ فيظل حزينا على ما فاته، يستحسن ما كان فيه، ضيقا بما هو فيه:

وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلَّا

وعلى رغم اختلاف مراحل الأشياء في هذه الدنيا، ينبغي الاشتغال في كل مرحلة بما هي عليه -مهما كان- وعدم الانصراف عنها إلى بكاء غيرها؛ فإنه إذا كانت هذه المراحل خمسا مثلا، وكانت إحداها فقط هي التي يتألق فيها وجود الشيء قوة وقدرة وفضلا جميعا معا؛ فإنه لا عقل في إهمال المراحل الأربع بكاء على تلك المرحلة! بل العقل في اكتشاف مزاياها، والاجتهاد في الاستفادة مما فيها. على أنه كان ينبغي الاستعداد في مرحلة القوة والقدرة والفضل، لغيرها من المراحل الأقل قوة أو قدرة أو فضلا؛ وفي هذا المعنى كان حديث رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!-: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ، وحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"؛ صدق رسول الله، صلى الله عليه، وسلم!

ومن عجائب هذه الدنيا اجتماع وحشة الإنسان من كل جديد ولذته به جميعا معا! يستوحش منه مُلْتَذًّا به حين يسمعه أو يراه أو يلمسه أو يشمه أو يذوقه، حتى إذا ما تَعوَّدَه أَلِفَه وصار كأنه هو نفسه، أو بضعة منه؛ وما ذاك إلا أنه حين يتردد عليه يطرح عليه نَفَحات من بَوْح صدره، وصورا من خيالات نفسه؛ فإذا هو منه في صحبة طيبة من الأرواح المتعارفة المؤتلفة، لا يصبر عليه إذا غاب عنه، ولا يجد طعم الحياة!

ومن عجائب هذه الدنيا كذلك أن المكرور المألوف السابق ذكره، مَمْلولٌ، بل مفقودٌ! فإن العوائد تقتل الفوائد، ولا سبيل إلى حفظ فوائد المكرورات من عواقب المملولات، إلا أن نغير منها أو من أنفسنا، حتى إذا ما تلاقينا كل مرة تلاقينا جديدين، كأن لم نتلاق من قبل:

لَيْتَ شِعْرِي إِذَا أَدَامَ إِلَيْهَا كَرَّةَ الطَّرْفِ مُبْدِئٌ وَمُعِيدُ

أَهْيَ شَيْءٌ لَا تَسْأَمُ الْعَيْنُ مِنْهُ أَمْ لَهَا كُلَّ سَاعَةٍ تَجْدِيدُ

بَلْ هِيَ الْعَيْشُ لَا يَزَالُ مَتَى اسْتُعْرِضَ يُمْلِي غَرَائِبًا وَيُفِيدُ

مَنْظَرٌ مَسْمَعٌ مَعَانٍ مِنَ اللَّهْوِ عَتَادٌ لِمَا نُحِبُّ عَتِيدُ

لَا يَدِبُّ الْمَلَالُ فِيهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَقْدِ سِحْرِهَا تَوْكِيدُ

حُسْنُهَا فِي الْعُيُونِ حُسْنٌ جَدِيدٌ فَلَهَا فِي الْقُلُوبِ حُبٌّ جَدِيدُ

أو كما قال ابن الرومي، قاتل الله شيطانه!

زنجباريون عمانيون

لم أرتح للصلاة في مسجد بعد الحرمين الشريفين، مثلما ارتحت للصلاة في مسجد عمار بن ياسر هذا الذي بحي الحيل الشمالية المسقطي العماني، الذي اضطرني إليه انتظارُ ابنتي أن تفرغ من بعض شؤونها، ثم صار دأْبي بما صار دأْبها.

تفيء إلى هذا المسجد طائفة كبيرة من العمانيين ذوي الأصول أو الفروع الزنجبارية، وتجتمع فيه كل أحد بين المغرب والعشاء لتنصت إلى أحد الدعاة الفصحاء يهدِر بالأفكار الإسلامية من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف عربية صريحة، ثم يُسَوْحِلُها (يترجمها إلى اللغة السواحيلية، وهكذا يرسمونها، ولا بأس في العربية بمثل مد كسرة هذه الحاء)؛ فمن شاء أن يتنسّم روائح المجالس النبوية والصحابية فليشهد هذا المجلس!

نعم؛ لكأن الواحد منهم كلما اسوادّ لون جسمه ابياضّ طبع روحه، فانتضح به جسمُه كله، فأشرق نورُه ساعيا بين يديه وبيمينه، وزائرا ومُبشّرا!

أم كيف أنسى شيخهم الهِمّ الهرِم الفاني، الذي يأبى إلا أن يشهد معهم الفريضة ويحفّها بالسنن ولا يكاد ينقل قدَمًا عن قدَمٍ إلا مثلما يحكّ بعضهما ببعض، ثم

لا يصلي إلا قائمًا، وإذا رَفَع فكأنما يُصوِّر غاية التصوير البطيء التي عجز عن تسجيلها المصورون المحترفون!

أصلي معهم المغرب وسنتها، ثم أخرج إلى قسم المسجد الثاني الملتزم في المساجد العمانية، فأجلس للقراءة والكتابة بحيث أرى خيالاتهم وأسمع غمغماتهم؛ فإذا أحسنتُ شيئا مما أقرأ أو أكتب، فببركتهم!

ثم أصلي معهم العشاء وسنتها، ثم أعود إلى مجلسي ذاك، فلا أكاد حتى تهاتفني ابنتي؛ فإذا ذهبتُ عنهم طيب النفس منشرح الصدر مستبشر الأمل، فببركتهم؛ صلى الله عليهم، وسلم!

زهرة الحياة الطيبة

لِلصمت مِن ثقل الكلام صَهيلُ يَأوي إلى وطن النُّهى ويَقيلُ

جرَّدتُ مِن وَشَب الرياء عَقيرتي وصرختُ لولا الخوفُ والتأميلُ

اللهُ يا أللهُ يا أللهُ وانفتحتْ وراج الأمنُ والتَّهليلُ

من جامعة السلطان قابوس وإليها، تتفجر بين يديها سبع أعين، بل سبعون، بل سبعمئة...، ويتدفق الماء في عروق أفلاجها الظاهرة والباطنة؛ فتنبت بالفن والعلم بَيْداءُ الخَوْضِ، وتأوي إليها زهرة الحياة الطيبة.

وعلى جانبي طريق الوقت المستقيم تحتشد النخيلُ شُهودًا على اليقين والإخلاص والإتقان والثبات والرضا، واحَتَيْنِ اثنتين، في يد إحداهما مَقاليدُ باب الفن، وفي يد الأخرى مَقاليدُ باب العلم؛ فلا يَدخلُ مِن أحدهما داخلٌ حتى يدخل من الآخَر مثلُه، ليجتمعا معا في ميزان التكامل على كلمةٍ سَواءٍ، فيها مِن تَخْييل الفنّان مثل ما فيها مِن تَحْقيق العالِم.

حتى إذا ما حَظِيَ كلُّ داخل بحظِّه ساح فيها موقنًا بأصوله وفروعه وعلاماته، مخلصًا للحق وحده فيما يأتي وما يذر، حريصًا على إدراك الإتقان ولو كان في بروج مشيدة، ثابتًا على ذلك لا يَضرُّه من ضل إذا اهتدى، راضيًا بما يناله من تقدير.

سلام على الهواء

تلميذة ما شئت من دين وأدب ودأب، ظلت طوال هذا الفصل الدراسي (ربيع ٢٠١٨)، تستعد لمنافسة زملائها في أداء إحدى مشكلات قصائد "علمني عروض الشعر"، بشرط المنافسة: أن تفلح فتحصل على خمس درجات، أو تخفق -ولو في نأمة صوت- فتخسر إما خمس درجات أو حضور المحاضرة.

ثم آن أوان القصيدة فانتدبت تؤديها وكأني بالشاعر قد انبعث من موته، ثم هفت منها هفوة، فكان زملاؤها أحزن منها عليها، ولكنها غادرت المكان محفوفة بمشاعري أنا وزملائها المتنازعة.

ثم كانت محاضرةُ اليوم الأربعاء (١٨/ ٤/ ٢٠١٨)، فأغريتهم بمنافسة جديدة، فغريت هي وطائفة من زملائها، فأتحتها لبعضهم، فأخفقوا، ثم لها، فأفلحت؛ وحظيت بالدرجات الخمس كاملة!

ثم مضيت فيما جريت عليه من أعمال المحاضرة، فإذا بها تقطعها عليَّ:

- يسلم عليك أبي!
- يسلم عليَّ وقد طردتك آنفا!

سلمك الله وإياه!

هذا يا أبنائي السلام الخالص للسلام -سبحانه، وتعالى!- وهو أول سلام لأبي أحدٍ من تلامذتي، أتلقاه على الهواء مباشرة!

سياسة الواثقين

فرغ من رسالته للماجستير، ثم قال لأصحابه: ابحثوا لنا عمن يستطيع أن يناقشها! نعم؛ فقد كان غُولًا كما رآه فيما بعد أحد تلامذته، فأما أصدقاؤه فقد أدهشنا أحدهم بقوله لقد وجدناه بعدما رجع من بعثة الدكتوراة غير ما ذهب، كأنما خُصِيَ هناك! فترُى أَسْتَصْغَرَ نفسَه هناك إلى غيره، أم ضاق بثقته بها أستاذُه؟

ومما عاينّاه ضيقُ أستاذٍ بتلميذه الواثق بنفسه ضيقا شديدا، حَمَلَه على تَعويق مسيرته، حتى استشفع إليه بنا، فما شفَّعَنا فيه، بل حار ودار ليخدعنا بما لا جدوى منه، ولم يتحول عن ضيقه به حتى قدر الحق –سبحانه، وتعالى!– أن يسافر عنه؛ فانضافت إلى فوائد سفر الأستاذ انفراجة أزمة التلميذ!

وإن لنا لتلامذة يرون أنفسهم فوق أساتذتهم أو مثلهم، لا نعوقهم ولا نكبتهم، إلا أن نكلهم إلى أنفسهم، وهذا أعظم التأديب؛ فإنهم إذا تمسكوا بذلك الوهم ظلموا أنفسهم، وكلفوها ما لا تطيق من التصديق؛ فلم يتحولوا عن أزمة إلا إلى أزمة!



وهذا صنيعنا بهؤلاء؛ فكيف بمن لم يشتطّوا شططَهم، غير أن بهم على إخوانهم فضلَ ثقة؛ أفنعوقهم ونكبتهم لأننا نسينا معنى الثقة، في غمرة بلوى الريبة العامة!

سِيرَةُ الْعَلَامَاتِ وَالنُّجُومِ (١)

سُلَّمٌ

أَمْ نَفَقٌ

أَمْ أُفُقٌ

أَعْجَزَتْنِي الطُّرُقُ

يَا مَنَارَاتُ اسْطَعِي لِي أَرْسُمِ الْمُخْبُوءَ فِي أَشْجَانِهِ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُدْرِكَ عَيْنِي الْغَرَقُ

وَارْسُمِي آيَتَكِ الْعُظْمَى عَلَى الْأَطْلَالِ تَسْطَعْ

إِنَّ قَلْبِي صَعِقُ

محمد جمال صقر

1

لن ترى الصورة حتى تبتعد عنها؛ فإن لم تبتعد شغلتك نُقَطُها الصغيرة؛ فكنت أشبه بأحد العميان الذين اصطدموا بفيل، ثم سئلوا عنه فيما بعد فظن كل منهم أن ما اصطدم به من الفيل هو الفيل، فوصفه كما لمسه حتى أَسْخَرَ الناسَ منه!

وكما يجري الاحتكام إلى البعد في رؤية من حولنا وما حولنا، يجري في رؤية أنفسنا؛ إذ نراها في مرايا من حولنا وما حولنا، فإننا إذا غيَّرنا المرايا تغيَّرنا فيها، والتغيير والتغير وجها مبدأ حيوي واحد، لا غنى عنه.

ومن لطائف اللغة العربية في هذا الشأن اشتمال مادة س ف ر على كلمات السفر والسفور والسافر والإسفار... وكلها من الكشف والانكشاف؛ ففي السفر تنكشف أخلاق الناس، لأنه قطعة من العذاب، ينصهر في صَيْهُوده المسافرون، فلا يبقى من أدران تزييفهم شيء؛ حتى إنه لما رغب بعض الناس إلى الحسن البصري أن يحج معه، حذره من أن يُخيِّب السفر ظنه فيه، وهو*فتى الفتيان!

2

ينبغي أن يذكر الشباب العربي المسلم أن مراحل الدولة الإسلامية إنما كانت بالارتحال -أصل مراحل وارتحال المعجمي واحد: ر ح ل- فمن مكة ارتحل العرب إلى المدينة فدمشق فبغداد...، وكلما حلوا بموضع واطلعوا على ما لم يعهدوا تغيروا وفعلوا ما لم يفعلوا.

ولقد صارت الرِّحْلَة عند المسلمين من قديم أساسا من أسس طلب العلم -ولا ينفك عِلْم مِنْ عَمَل- حتى لقد استنبطتُ من طريقة كلام بعض المؤرخين عن عبد القاهر الجرجاني (أحد علماء القرن الهجري الخامس

الأفذاذ)، أنهم كانوا يعجبون من عدم رحلته عن بلده؛ فقد وَقَرت في قلوبهم ضرورةُ الرحلة، وصدَّقتها أسفارُهم الدائمة، فكأنما رَسَخَت في إيمانهم!

ولا يقتصر طلب العلم على الشباب؛ فلا يستغني عن السفر أحد، لا كبير ولا صغير. وما أكثر ما انفتح بالسفر للعلماء -وطلاب العلم هم وحدهم العلماء- من أبواب التجديد؛ إذ يطلعون على ما لم يطلعوا؛ فينتبهون إلى ما لم يعرفوا، فيراعون ما يستجد لهم.

ومن أشهر أمثلة ذلك العربية الإسلامية الإمام الشافعي؛ فإنه بعدما سافر إلى مصر، استحدث ما لم يكن يراعيه في آرائه العراقية، حتى صار المتحدثون عنه يقولون: قال الشافعي في الجديد، وقال في القديم! وليس أكثر اليوم من أمثلة علمائنا الذين رحلوا إلى أوروبا وأمريكا، فانفتح لهم من أبواب الفهم والإتقان والإبداع ما كان في مواطنهم مغلقا.

3

وينبغي لمن سافر أن يتحقق بمعنى السفر، أي أن يحرص على الاكتشاف والانكشاف جميعا معا، حتى تنفتح للتغيير أبوابه -"إِنَّ اللهَّ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"- فأما من سافر، واستخفى عمن حوله وما حوله، فقد استخفى عن نفسه، وضيَّع عمره، وما ألطف استعمال العمانيين

لكلمة عُمْر بمعنى كلمة نَفْس في مثل قولهم: ضَيَّع عُمره! وصَدَقوا؛ فما الإنسان إلا أيام، إذا ذهب يوم ذهب بعضه!

وينبغي لي أن أُشهد نفسي على ذلك؛ فقد كثرت أسفاري، وتحوَّلَتْ بها أحوالي، ولا ريب في أنني لو لم أفعل لم أنجز كثيرا مما أنجزت، وما النَّقْل الذي تَوَّجْتُ به كلامي هذا غير مقطع من قصيدتي القديمة "سيرة العلامات والنجوم"، التي لا يخفى ما في عنوانها من استلهام قول الحق -سبحانه، وتعالى!- فيما أَيَّدَ به المسافرين: "وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ". وتَأَتَّيْتُ فيها للكلام عن السفر بالكلام عن مدن سافرت إليها، واختلفت طرقها: سُلَّمًا (إلى فوق)، ونَفَقًا (إلى تحت)، وأُفُقًا (إلى أمام)!

4

وقد نصح لنا الحق -سبحانه، وتعالى!- أن نسافر وننظر ونعتبر، بمثل قوله: "فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ". وحذر المعتذرين عن تغيير أنفسهم بتسلّط غيرهم عليهم، أنه سيعاتبهم على عدم السفر: "أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا"؛ فمن ثم ينبغي أن نعلم أبناءنا فيما يتعلمونه صغارا أن السفر ضرورة، حتى يوطِّنوا عليه أنفسهم، كما فعلتُ حين اشتريت لابني حقيبةً جيدة، وقلت له ولأمه وإخوته: بهذه سيسافر

بَرَاء -إن شاء الله- ليحصل على الدكتوراه، فابتسموا ورأوه بعيدا، فابتسمتُ ورأيته قريبا؛ فكُلُّ آتٍ قَريبٌ!

ومن كلام المصريين الذي يملكون بعضه دون بعض: "اللِّي يْعِيشْ يَا مَا يْشُوفْ وَاللِّي يِمْشِي يْشُوفَ اكْتَرْ"، الذي كأنه حوار خفيّ، يستسلم المقيمُ في أوله، ويستشرف المسافرُ في آخره!

سِيرَةُ الْعَلَامَاتِ وَالنُّجُومِ (٢)

نشأ محاطا بالعديد من الخبرات العميقة والأصوات الحكيمة والجميلة، ولم يكن ذلك كله مجرد ضوضاء أو ضجة عابرة لا معنى لها، بل أشعلت له كل خبرة حوله قنديلا من قناديل المعرفة والعلم ليستنير به، وقدم له كل صوت كثيرا من الحكمة والجمال والسعادة، ضَلَّ كُلُّ من ليس لديه حكيم أو خبير يرشده أو يساعده على حسن الاختيار. يشعرك حديثه بأن الشباب مطالب بتطوير قدراته من النواحي العلمية والأخلاقية وغيرها من خلال المبادرة إلى خمسة أشياء مهمة في حياة كل إنسان. وبين شذرات من علامات الماضي ونجوم الحاضر نقلب في إضبارة كبيرة أمامنا مليئة بالأسماء والأوراق، صفحاتها مراحل حياة على دروب السنين يمهد فيها القبل للبعد.

رباط سحري

جلس الدكتور محمد جمال صقر الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية أمام عدسة المسار واثقا مبتسما، وأمسك بالقلم فأخبرنا ببوح الحبر أو بوح الروح: نحن خمسة إخوة لأبوين ذوي خصوصية واضحة، فالأب عالم مهيب من علماء الأزهر شاعر خطيب منشد حسن الصوت رسام خطاط مزخرف، رحمه الله! أما الأم فربة بيت قوية

الشخصية مثقفة على رغم اكتفائها بالتعليم الابتدائي، يربطنا بها رباط سحري، ومن عجائب المفاجآت أنني وجدت في رجال أسرتها المتقدمين خمسة من خريجي كليتي في أوليتها البعيدة، وخبراء غيرهم متخصصين بمجالات مختلفة خدموا مصر وأشرفوا على بعض مشروعاتها الوطنية. كان أبي وكذلك أخوه وأبناء جيله عصاميا مجتهدا موظفا ومتعلما ورب أسرة في وقت واحد، تقاسمنا نحن أبناءهما مواهبهما، وربما أكون أقلهم منها نصيبا، وساعدتنا ممارساتهما على ترسيخ ميول خاصة؛ فالوالد بحمله للقرآن وعلمه ونداوة صوته كان يتلو علينا في مجالسنا من الآيات والأشعار، وكذلك كانت الوالدة تؤازره بممارسات قريبة؛ فعشنا بهما في جو أدبي منغَّم. ورحم الله جدتي خالة والدتي، التي كانت كذلك تحفظ السير الشعبية القديمة الرائعة، فلما عرفنا ذلك عرضا من إحدى قريباتنا تمسكنا بها وصرنا نلح عليها كلما رأيناها أن تحكي لنا من هذه السير، لنعيش في جو من سحرها الأدبي الأخّاذ.

نقلة إجبارية

ينسكب الحبر على الورق كشلال صغير ويصاحبه صوت رياح القدر فنستمع إليه بتمعن: حدثت لي مفاجأة عندما أخذني الوالد معه إلى شمال السعودية وكنت أدرس بالقسم العلمي من المرحلة الثانوية؛ إذ نُقلت قهرا إلى القسم الأدبي بحجة زيادة درجاتي في المواد الأدبية! لقد كنت وما زلت مولعا

بالحيوانات المستأنسة الأليفة أستلطفها وأجمعها، فخططت لنفسي أن أعمل في المستقبل مهندسا زراعيًّا أو طبيبًا بيطريًّا، حتى لما طلب منا قبل التخصص بهذه المرحلة الثانوية كتابة موضوع تعبير في تخطيطنا للمستقبل كتبت أنني أحب الأدب وسأحرص عليه هواية وأتخصص للزراعة أو البيطرة، لولا هذه النقلة الإجبارية التي عكست الواقع والتخطيط، فصار إلى الهامش ما كان مخططًا أن يكون في المتن، والعكس بالعكس.

دار العلوم

هذه المرة يخبرنا الحبر بأنه وسط صخب الآراء هناك رأي ما ينير دروبنا علينا أن نستمع جيدا إليه: كتبت الشعر في المرحلة الثانوية علامة على ميل أدبي واضح، فلما حصلت على الثانوية بمرتبة الامتياز الثانية على مستوى المملكة، وانفتحت لي أبواب الكليات كلها، كثرت الاقتراحات من حولي وإن استحسن منها الوالد أن أنضم إلى أختي التي كانت تدرس الاقتصاد والعلوم السياسة. ولقد كدت ألتحق بهذه الكلية على قلقٍ، لولا صديقة أختي من أهل الشيخ عبد الباسط عبدالصمد -رحمه الله!- التي كانت طالبة بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة؛ فقد أشارت بأن كليتها أفضل ما يناسبني؛ فكأنما تكلمت عن قرارة نفسي المستترة تحت صخب الاقتراحات. ثم كانت لي في السنة الثالثة من الكلية نقلة أخرى حين زهدت في المنافسة على الأَوائليَّة وهبط تقديري عن

ارتفاعه فكان هبوطه من أعظم التوفيق لأنه خفف عني من ضراوة المنافسة وأطلقني من قيود العيون وأتاح لي الهدوء المناسب لتجميع النفس إلى انطلاقة قوية أدت في النهاية إلى عملي معيدًا بالكلية نفسها.

دروب التلمذة

يواصل الحبر طريقة على دروب التلمذة فنقرأ: بجوار طريق الدراسات العليا المعهود الذي لا يخفى على أحد من تمهيدية الماجستير إلى الماجستير فالدكتوراه فالأستاذية المساعدة (المشاركة) فالأستاذية انفتح لي طريق آخر أقوى وأعظم وأكثر إدهاشا هو طريق التلمذة لتسع سنوات على محمود محمد شاكر -رحمه الله!- الكاتب الأديب الفذ؛ فقد كان لمجالسته وحدها عمل من أعمال الثبات والثقة والطموح والاجتهاد والإنجاز، عالم فنان جليل من طراز عباس محمود العقاد وأقرانه من الرواد الذين اجتهدوا فذللوا المصاعب وارتادوا المجاهل ومهدوا المناهج. كنت وما زلت أتمثل مثال أستاذنا فأتجاوز عقبات كثيرة اعترضت وتعترض طريقي من غير يأس ولا ضعف ولا إعراض. ولهذا الحبر الجليل في عُمان تقدير عظيم، حتى لأحسب أن مقدارًا كبيرًا من تقدير العمانيين كان ببركة هذه التلمذة.

خبرات وتجارب

يأخذنا الحبر إلى محطة أخرى فيها ترحال إلى مكان آخر: بعد وفاة أستاذنا محمود محمد شاكر سنة ١٩٩٧م حضرت إلى السلطنة وكأن لم يعد لي بمصر مقام بعده، وحظيت بست سنوات من العمل الدؤوب، أثرت في تكويني وترتيب أولوياتي واستحداث أنشطتي واكتساب خبراتي وتجاربي، وزادت من فهمي للحياة والناس، ووثقت علاقتي بالعمانيين داخل الجامعة وخارجها، حتى زرت عمان مرتين أخريين، ليستقر بي المقام فيها مرة أخرى السنة الماضية. ولي اشتغال بالأدب العماني ومشاركات ومتابعات، يكفي فيها أنني أنشر هذه الأيام بمشية الله كتابين من أعمالي العمانية، دلالة على جدوى سياق العمل في الجامعة وراحة الإقامة في عمان. ولي عمل أخير كبير بدأ واكتمل هنا السنة الماضية هو وضع نظرية جديدة في علم لغة الشعر سميتها نظرية النصية العروضية، حاضرت فيها بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية وكان لها أثر طيب، ونشرت فيها سلسلة من المقالات جمعتها في كتاب وتقدمت به عن طريق عميد الكلية إلى دائرة شؤون الابتكار في الجامعة لتسجيل براءة اختراع، فدار الطلب دورته ثم رجع وعليه تنبيه صريح بأن مثل هذه الاختراعات الأدبية يكفي فيها تأليف الكتب ونشرها!

رحلة الحبر تخبرنا عن أكبادنا التي تمشي على الأرض ونسمع وقع خطواتها الناجحة: أهم أعمالنا أولادنا، ولله عندي خمسة أولاد: ابنان بَراء وفُرات، وثلاث بنات رِيم ورِهام وسُرى، والأخيرتان من أولاد عمان في مدة عملي الأولى، واسم "سلطنة عمان" مشرق في شهادتي ميلادهما، وحنينهما إليها لا يزول ولا يهدأ. وأولادي كلهم طلاب علم مجتهدون ولله الحمد والشكر، بإنجازاتهم المطلقة التي أفرح بها ولا أحددها لهم. لا يجف الحبر ولن يجف ما دامت في حياتنا خمسة أشياء: دائمًا نتواصل بدعوات محددة في المقامات الشريفة، نظمتُها ليسهل حفظها وتذكرها في ثلاثة الأبيات الآتية:

إِذا شئت أن تدعو لي الله فابتدرْ إلى خمسة مقصودة بالمراتبِ

يقينٌ فإخلاصٌ فإتقانُ صنعةٍ ثَباتٌ رِضًا أَكْمِلْ بها من مَناقبِ

تطير مَراسيل النعيم بحقها إلى حيث تُستوفَى كِرامُ المطالبِ

سيمفونية الكتاب

ما أكثر ما عرضت لعلاقة الشعر بالموسيقى حتى قلت للموسيقيين:

"لولا الغناء لم يكن الشعر، ولولا المغني لم يكن الشاعر: http://mogasaqr.com/?p=2801"، عنوان مقال جعلته المحور الذي يدور بهذه العلاقة وتدور به، ثم اتخذته لهم وحدهم مدخلا إلى دراسة علم العروض، ثم جعلته لغيرهم من طلاب علم العروض مثلما جعلته لهم.

ولقد اشتغلت قديما بنقد قضية التأثير والتأثر من داخل الشعر العربي ومن خارجه؛ فأما القضية من داخله فمن حيث يؤثر عروضه في لغته ولغته في عروضه، وأما القضية من خارجه فمن حيث تؤثر الموسيقى في نظامه ونظامه في الموسيقى؛ وفي هذا النقد من دقة الملاحظة وسعة الإحاطة، ما لا ينقضي منه عجب المُتعجِّلين!

ثم رأيت الاشتغال بالإنصات إلى صوت الطبيعة الإنسانية أهم وأجدى من الاشتغال بالتفتيش عن أدلة الريادة والفرح بقَصَب السبق؛ فاطرحت عني نقد قضية التأثير والتأثر إلى نقد ظاهرة الحِراك الحَيويّ العامّ؛ عسى أن يكون في هذا النقد من رَجاحة المُساكنة وطول التأمُّل، ما لا ينقضي منه عجب المُتأنِّين!

ومن مظاهر ظاهرة الحِراك الحَيويّ العربي العامّ، تطور المعزوفة الموسيقية والقصيدة الشعرية جميعا معا: فأما المعزوفة فتطورت من الدَّوْرة المفردة المتكررة، إلى النَّوْبة المركبة المحددة، ثم السِّيمْفونية المطلقة المتكاملة- وأما القصيدة فتطورت من العمودية المتعددة المتشابهة، إلى الموشحة المركبة المحددة، ثم الحُرَّة المطلقة المتكاملة، من غير أن يعني ذلك أن تَتَماحَى الأطوار؛ إذ لا يفتأ بعضها يعاصر بعضا، معاصرة لا تنفي تطوره عنه، ولكنها تثبت اختلاف الأذواق الفنية!

تستولي على أسماعنا المعزوفة السِّيمفونيَّة والقصيدة الحُرَّة كلتاهما، مدة مديدة، تختلف في كل منهما حركاتها وتأتلف وتتدافع وتتكامل من غير أن يعوق بعضها بعضا فيتعثر انطلاقها وتحتبس أصواتها. وهو شأو فني بطين، لم تبلغه المعزوفة حتى استهلكت الموسيقين النَّوْبةُ والدَّوْرةُ، ولا القصيدة حتى استهلكت الشعراءَ المُوشَّحةُ والعَموديَّةُ!

وإذا جاز لي أن أترك للموسيقيّين العرب تحديد أصحاب المعزوفات السيمفونية، وجب عليَّ أن أدعي لمحمود درويش (١٩٤١-٢٠٠٨)، توفيقه بكتابه "جدارية محمود درويش"، إلى نظم القصيدة العربية الحرة التي تتبوَّأ من الشعر ما تتبوؤه المعزوفة السيمفونية من الموسيقى!

شجرة الحضارة

ليس أشبه بحضارة الأمة من الشجرة تغرسها في طريق الأمم؛ فكلما مرت أمة فاءت إليها، واستفادت منها، ثم استنت بسنتها؛ فغرست معها شجرتها، وهكذا دواليك حتى يزدان بالشجر الطريق كله، ويستمر الانتفاع والاستمتاع.

وألطف ما ينبغي أن يذكر في هذا المعنى سؤال رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- صحابته -رضي الله عنهم!- عن النخلة، قائلا: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي" -والفرد مثال الجماعة- فليس أشبه به إذا صلح من الشجرة الكريمة المثمرة النائلة.

وإنما الشجرة أصل في الأرض وفرع في السماء، لولا الأصل ما كان الفرع، ولولا الفرع ما عرف الأصل. ولا سموق للفرع إلا بغؤور الأصل ورسوخه، والعكس بالعكس؛ فلو لم يكن من طبيعة الشجرة سموق الفرع لم يكن من طبيعتها كذلك غؤور الجذر ولا رسوخه. وقديما استحمقت العرب بقلة تنبت في مسيل السيل وهي لا تستمسك حتى إذا ما جاء سال بها!

وما أصل شجرة الحضارة الذي في أرض طريق الأمم غير معنوياتها (عقيدتها وما تفرع منها وانبنى عليها وانبعث لها، من علوم ومعارف وخبرات،

وأقوال وأفعال وإقرارات، منذ كانت إلى أن تزول)، ولا فرعها غير مادياتها.
وإذا اشتبهت في الظاهر فروع الأشجار امتازت في الباطن بنسغ الخصوصية الذي يصعد إليها من أصولها المختلفة أبدا. وإذا انقطعت الفروع أنبتت غيرها الأصول.

وما أكثر ما هبت على شجرة حضارتنا العربية الإسلامية الأعاصير العواصف، فاقتطعت فرعها! وما خبر البغي الصليبي بخفي، وقد طال قديما حتى لم يكن يخطر للبغاة أنه زائل، ثم أزاله عمل الأصل الصحيح الغائر الراسخ، واستبدل بفرعه فرعه، وراجع أمره!

فكيف بشجرة حضارتنا العربية الإسلامية اليوم وقد تدسس إليها البغاة، حتى يستبدلوا بأصلها أصلا غيره، ويطمئنوا إلى ما سيتفرع عنه! نعم؛ فهذه عقيدتنا تتجرد قليلا قليلا مما تفرع منها وانبنى عليها وانبعث لها، من علوم ومعارف وخبرات، وأقوال وأفعال وإقرارات- حتى تتفرد؛ فتتبدد مفاصلها، وتمحي معالمها؛ فلا يدري أحد أين يجدها، ولا كيف يعرفها!

شخصية الشهر

حوار أ.مصطفى يوسف

(مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية)

تهدف زاوية (شخصية الشهر) إلى إلقاء الضوء على أحد أعلام العربية في الوطن العربي، سواء أكان ذلك بالحوار أم بالكتابة عنه؛ وذلك بهدف إبراز الوجه التنويري والتثقيفي لهؤلاء العلماء، وتقريب مؤلفاتهم للمثقف العربي، وهذا غيض من فيض نحو حق هؤلاء العلماء علينا.

محمد جمال عبد الحميد عبد المعز صقر (١٣٨٥هـ=١٩٦٦م): كاتب، أديب، لغويّ. تخرج في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٨٧، ثم حصل من قسم النحو والصرف والعروض بالكلية نفسها على الماجستير عام ١٩٩٣، ثم على الدكتوراه من الكلية عام ١٩٩٦. ثم حصل من جهات مختلفة على دورات تدريبية متنوعة، منها: إعداد المعلم الجامعي، وصياغة المشروعات البحثية، ومهارات العرض الفعال، وإدارة الوقت والاجتماعات... إلخ. تدرج في وظائف أعضاء هيئة التدريس بالكلية نفسها حتى عُيِّن ٢٠١٢ أستاذًا للنحو والصرف والعروض، وهو الآن أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس. من أعماله العلمية:

"الأمثال العربية القديمة: دراسة نحوية"، و"علاقة عَروض الشعر ببنائه النحويّ"، و"سِرْب الوَحْشِ: أَبحاث نَصّيَّة عَروضيَّة"، و"إذا صَحَّ النَّصُّ: أبحاث نصيّة نحويّة"، و"مهارة الكتابة العربية"، و"ظاهرة التوافق العَروضيِّ الصَّرْفيِّ"، و"خصائص الأسلوب العماني بين الشعر والنظم"، و"رحلة البريمي: مشكلات تدريس علوم اللغة العربية"، و"مناقشاتي". ومن أعماله التعليمية: "دليل المتثقفين"، و"نديم النحويين: حوارية خيالية"، و"في مقام الاستماع والتحدث"، و"في مقام القراءة والكتابة". ومن أعماله الفنية: "لُبْنى"، و"بَراء"، و"نجاة من النثر الفنّيّ: مقالات ومقامات"، و"في الطريق إلى الأستاذية: منارات مسموعة مرئية"، و"مواقفي". ومن أعماله التثقيفية: "منمنمات على جدران المجالس العربية"، و"هرم الأفلاج".
تلمذ للأستاذ محمود محمد شاكر. ونال جائزة قسم علم اللغة بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة، أعوام ٨٤، و٨٥، و١٩٨٧ عن أدائه التخصصي، وجوائز مؤَسسة "اقْرَأْ" الخيريَّة بالقاهرة، ونادي جامعة القاهرة عدة مرات من عام ١٩٩٤ إلى ١٩٩٧، عن بعض شعره وقصصه، وجائزة جامعة القاهرة التشجيعية عام ٢٠٠٧م عن مجال العلوم الإنسانية والتربوية.

- الثقافة هي أساس الحضارة الراسخ، واللغة هي قلب الثقافة النابض، والشعر هو عصب اللغة النافر، والعروض هو دم الشعر الدافق.

- كأنما وُجِدَتْ شبكة الإنترنت لخدمتي أنا وأمثالي من القراء والكُتّاب المشتغلين عن السياحة في الأرض.
- ينبغي أن يؤمن مؤلفو الكتب العلمية والمدرسون والطلاب ومديرو المؤسسات التدريسية، أنهم كيان واحد.
- لابد للآباء من تثقيف أبنائهم في مراحلهم الأولى، تثقيفًا أصيلاً لا زائفًا، يقفون منه على أرض صلبة ثابتة.
- من أَجَلِّ الأعمال أن يُجنِّب المعلم كلَّ من يجده دون المرحلة التي صار فيها، فيعالج ضعفه بكل علاج، ليعود إلى مرحلته.
- أرنو إلى مستقبل مجمعي مكي شبكي باهر، تأتلف فيه عقول اللغويين والأدباء العرب والمستعربين جميعًا، على جهود كبيرة كثيرة متصلة.
- ليس الإتقان أن نعمل ما يعجب الناس، بل أن نعمل كل ما يمكننا عمله.
- نتواصى بأن نتجنب صغار الأخطاء مثلما نتجنب كبارها؛ فإن التفريط في الصغير أول التفريط في الكبير.

كل هذا وغيره كثير... فإلى تفاصيل الحوار:

http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?p=24246#post24246

- في البداية نود إلقاء الضوء على الشخصيات والمحطات المؤثرة في تكوينكم العلمي، وكذا آخر مشاريعكم البحثية ومؤلفاتكم العلمية.

- لا ريب في أثر أبويّ الكبير فيّ؛ فأما الوالد -رحمه الله-فكان أحد علماء الأزهر، فقيهًا خطيبًا شاعرًا خطاطًا مزخرفًا حافظًا نديًّا. ومنه ورثت محبة اللغة والأدب، وبه اشتغلتُ بجمع القرآن الكريم. أما الوالدة -رحمها الله-فكانت من بيت علم ومسؤولية، ذكية قوية مسنونة المشاعر، ومنها عرفت الأنفة والثقة والجلد والصبر والدأب. وكذلك أختي -أطال الله في النعمة بقاءها-العالمة الكاتبة النابهة. وبها صمدت لمراحل الدراسة المنظمة، وعرفت الإيثار والحدب. ثم الأستاذ محمد عثمان بالابتدائي والأستاذ إبراهيم بالإعدادي والأستاذ عبد القادر إسكاف بالثانوي -رحمهم الله أحياء وأمواتًا -أساتذة اللغة العربية الأفضلين. ومنهم عرفت كثيرًا من أصول اللغة والأدب وفروعها، واقتدرت على الوقوف في مقاماتها. ثم الأستاذ محمود محمد شاكر -رحمه الله-أستاذنا أستاذ الدنيا، لسان الحضارة العربية الإسلامية الصائل الجائل، ومنه عرفت غايتي، وبه استقمت على طريقي إليها. ثم لا ريب في أثر كُتّاب الشيخ أحمد بجامع عمر بن الخطاب ومدرسة شجرة الدر الابتدائية النموذجية بمدينة بني سويف؛ ففيها تأسست معالم ميولي اللغوية

الأدبية، ثم أثر مدرسة حفر الباطن الثانوية بمدينة حفر الباطن السعودية الشمالية؛ ففيها تفجرت كوامن همتي لطلب العلم، ثم أثر كلية دار العلوم بجامعة القاهرة؛ ففيها استوت مهارتي اللغوية الأدبية، ثم أثر سَفْرَتي الأولى إلى قسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس؛ ففيها تطورت مهارتي اللغوية الأدبية بما لم يكن في البال، ثم أثر جواري الشريف بالمدينة المنورة في سَفْرَتي إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم من جامعة طيبة؛ ففيها انصهرتُ في مَصْهَر تجربةٍ خاصة جدًّاثم أثر وَقَفَات ٢٥ يناير الثورية المصرية؛ فبها انماز بي ولي كثير مما اختلط! وما ألطف أن أصل الكلام عن أولئك الأئمة المؤثرين وهؤلاء المقاطع المؤثرة، بالكلام فيما أعمل؛ إذ به يستمر الأثر ويتجلى الخبر! وأعمالي كثيرة متنوعة، فرغت أخيرًا من نشر بعض تحقيقاتي التراثية العمانية (مظهر الخافي للخليلي، وديوان الحكالي)، ومن بعض كتبي التثقيفية الإلكترونية (تغريدات القشيري، ويا لغتاه)، ولكن آخر ما يشغلني تجهيز أدوات تأمل بعض السور وبعض القصائد، صادرًا في اختيار هذه وتلك عن تقدير خصوصيةٍ بنائيةٍ ظاهرةٍ كفيلةٍ بالتنبيه على وجه باهر من الحراك اللغوي العربي.

- يولي الدكتور محمد جمال صقر علمي العَروض والقافية عناية خاصة. هل لا تزال دراسة علمي العَروض والقافية حاضرة بقوة في الكليات المتخصصة، وهل هناك أجيال تتلقى الراية في تعلمهما وتعليمهما؟

- علم العروض (علم وزن الشعر وتقفيته)، علم عزيز تأليفًا وتدريسًا وتعلمًا واعتمادًا، تتفاوت في تقدير قيمته المؤسسات العلمية والتعليمية التأسيسية والتكميلية؛ فمنها ما يهمله تمامًا وكأن لا وجود له، ومنها ما يوفيه مقدارًا كافيًا من البرامج الدراسية، ومنها ما يتذبذب بين هذه وتلك؛ فلا يهمل، ولا يوفي. فأما المؤسسات العليا فمجتمعة على إهماله! وإذا اتفقنا على أن الثقافة هي أساس الحضارة الراسخ، واللغة هي قلب الثقافة النابض، والشعر هو عصب اللغة النافر، وجب أن نقدر علم العروض قدره؛ فإن العروض هو دم الشعر الدافق؛ من ثم ينبغي أن يُفسح له من مقررات المراحل التأسيسية والتكميلية والعليا، على درجات، حتى إذا ما استوى الطالب على الدراسات العليا كانت المسائل العروضية فيما يعرض له من مسائل علمية؛ فلا يَدْرَؤُها عنه إذا دُعي إليها، بأنه لم يَدْرُس علم العروض أصلاً، أو لم يدرسه دراسة واضحة بحيث يتخذه مجال بحث عال!

- درَّستم مقررات النحو والصرف والعروض في العديد من الكليات، ودائمًا نجد من ينفر من دراسة النحو. برأيكم ما الصعوبات التي تعترض تدريس النحو العربي؟ وهل المشكلة ترجع إلى طريقة التدريس ذاتها؟ أم إلى ضعف المتلقِّين أنفسهم؟

- تنوء بمصاعب النحو العربي، أطراف العمل كلها: الكِتَاب والمدرس والطالب والإدارة، التي تتحرك جماعةً؛ فتنجح معا وتفشل معًا؛ فلا يجوز لأي منها أن يفرح بنفسه إذا كان المُحْسِنَ دون غيره. وقد وضعت في مشكلات تدريس علوم العربية كتابًا مستقلاًّ، متاحًا على موقعي: http://mogasaqr.com/?p=1834، أكتفي هنا بالإحالة عليه، ولا أخلي المقام من إيجاز رؤوس أفكار مشكلات تدريس علم النحو: (مشكلات الكتاب):١-عدم استلهام واقع الحياة. ٢-عدم توظيف مصادر الأدب. ٣-إهمال السياقات النصية الشارحة. ٤-الاستهانة بالإملاء والتشكيل والترقيم. ٥-عدم الجمع بين مركبات المجال اللفظي الواحد. ٦-عدم الجمع بين مركبات المجال المعنوي الواحد. ٧-عدم التنبيه على المتشابهات والمشتبهات. (مشكلات المدرس): ١-عدم التفريق بين النحو وعلم النحو. ٢-عدم التفريق بين علم النحو والتأليف والإعراب. ٣-الاشتغال بتعديد الوجوه

الإعرابية عن تآلف المعاني. ٤-عدم مزج اللفحات العلمية بالنفحات الأسلوبية. ٥-إهمال الاستطراد إلى أمثلة الوقت المشهورة. ٦-إهمال التدريب والاختبار المناسبين. ٧-إهمال التعليق على نتائج التدريب والاختبار. (مشكلات الطالب): ١-الاستهانة بالانضباط اللغوي استماعًا وتحدثًا وقراءة وكتابة. ٢-الغفلة عن تأصل النحو في كل عمل لغوي. ٣-المبالغة في تقدير العلامة الإعرابية دون غيرها من المعالم النحوية. ٤-الاستغناء بحفظ القواعد عن تطبيقاتها النصية. ٥-إهمال فوارق ما بين المركبات الملتبسة. ٦-إهمال جوامع ما بين التراكيب المختلفة. ٧-إهمال حفظ الأمثلة المختلفة المتكاملة. (مشكلات الإدارة): ١-عدم البحث عن ذوي المهارات التدريسية. ٢-قبول انتقال الطلاب غير المؤهلين. ٣-حصر المدرس والطلاب في التجهيز للاختبار. ٤-عدم تجهيز مكتبات الفصول وشبكاتها. ٥-عدم تواصل المدرسين. ٦-عدم تواصل الطلاب. ٧-عدم تواصل المدرسين والطلاب. ولقد ينبغي أن يؤمن مؤلفو الكتب العلمية والمدرسون والطلاب ومديرو المؤسسات التدريسية (أطراف المشكلات التدريسية الأربعة)، أنهم كيان واحد، يقدر قدرة واحدة أو يعجز عجزًا واحدًا، وينشط أو يكسل، وينجح أو يفشل، وأنه لا خير في انفراد أحدهم دون

غيره بالقدرة والنشاط والنجاح؛ فإن السيارة إذا فسدت إحدى عجلاتها الأربع لم تنتفع بصلاح الثلاث الباقيات؛ فمن ثم ينبغي أن يحمل كل طرف من أطراف المشكلات التدريسية الهَمَّ كله، ويجتهد في الإصلاح الاجتهاد كله، ويأبى أن يتصف بالصلاح إذا كان أحد شركائه فاسدًا، بل يتهم نفسه وكأنه المَعْنِيُّ بقول أبي العتاهية في ذات أمثاله الباذخة:

لَنْ تُصْلِحَ النَّاسَ وَأَنْتَ فَاسِدُ هَيْهَاتَ مَا أَبْعَدَ مَا تُكَابِدُ!

- المتابع لنشاطكم في الآونة الأخيرة يجد اهتمامًا واضحًا منكم بنشر اللغة والمعرفة من خلال شبكة الإنترنت. إلى أي مدى ترون ضرورة التواصل المعرفي من خلال هذه الشبكة؟

– تبدو شبكة الإنترنت من جدواها الكبيرة، كأنها وُجِدَتْ لخدمتي أنا وأمثالي من القراء والكُتّاب المشتغلين عن السياحة في الأرض؛ فكأنما ارتحلوا بها عُذَافِرَةً كَمِطْرَقَةِ الْقُيُونِ (ركوبة قوية)؛ فاحتملتهم، وطوَّفت بهم كل فج! نعم؛ فإنهم إذا اشتكوا من قبلُ انقطاعهم من أشباههم وعن أصحابهم واستعصاء المناشر المريبة عليهم، فقد حظوا من الشبكة ما شاؤوا، بمواصلة الأشباه، وصار لهم أصحاب من كل مكان، واستبدلوا بتلك المناشر الجائرة مناشر أخرى أكثر إنصافًا

واستيعابًا وانتشارًا. ولقد تجاوز الأمر سريعًا خيال المتخيلين؛ فجاءتنا الهواتف الذكية من ذلك بما يضاعف جدوى الشبكة، ويؤلف الأعمال المختلفة، مثلما أفعل الآن آويًا بهاتفي إلى ركن من مجلسي، أكتب وأقرأ جميعًا معًا، ثم أستودعه ما قرأت وما كتبت! لقد وُلدنا بالشبكة ولاسيما على الهواتف الذكية، ولادة أخرى، ولم نعد نقبل أن نُحرم منها، على أننا نتناصح ونتواصى بالمحافظة على أصول التعلم والتواصل الأولية، لكيلا يفجأنا ما يعوقنا ويعطلنا.

- "نَظَرِيَّة النَّصِّيَّة الْعَروضِيَّة" عنوان أحد كتبكم التي بين يدي النشر. ما الرسالة التي سيحاول الكتاب توصيلها للقارئ؟

- هذا الكتاب قسمان: تنظيري ثم تطبيقي، تقدمت أعمال قسمه التطبيقي وجودًا، وتأخرت أعمال قسمه التنظيري، ولكن اقتضت طبيعة تيسير الكتاب للقراء عكس ذلك الترتيب. أما أعماله التطبيقية فتحليلات نصية عروضية لقصائد مختلفة، تأتلف بينها وجوه من التوارد على رسائلها ووسائلها، تتيح الموازنة بينها، تنبيهًا على جوامعها وفوارقها، وتحصيلاً لمعالمها الوجودية. وأما أعماله التنظيرية فاستنباطات لتسع قوانين متفاصلة متواصلة، تضبط طبيعة تضافر العناصر العروضية واللغوية في تفكير الشاعر تحديدًا وترتيبًا وتهذيبًا. وغاية الكتاب دلالة

طلاب الشعر وعلمائه، على مدخل نقدي أكثر توفيقًا إلى فهم طبيعة وجود القصائد العروضي اللغوي.

- يهتم الكثير من الآباء بتعليم الأبناء منذ الصغر وسائل التقنية الحديثة من حاسوب وإنترنت ويغفلون دور وقيمة القراءة في التنشئة وبناء العقول. فما رأيكم في ذلك؟

- مثل هؤلاء مثل من يشتغلون بتحسين خطوط أبنائهم -وهو عمل طيب في نفسه -عن تفهيمهم معنى ما يخطون، ليصدق فيهم بعدئذ قول الحق سبحانه وتعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا * بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ* وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"؛ صدق الله العظيم! (سورة الجمعة: ٥). لابد للآباء من تثقيف أبنائهم في مراحلهم الأولى، تثقيفًا أصيلاً لا زائفًا، يقفون منه على أرض صلبة ثابتة، لينطلقوا بعد ذلك بالحاسوب والشبكة، فلا تحدهم حدود، ولا تشغلهم مظاهر. بل ينبغي للآباء أنفسهم ألا يستغرقهم الحاسوب والشبكة؛ فإنَّ أعلق الأعمال بأذهان أبنائهم وأحفزها لهم، ما يرونهم عليها دائمًا.

- يتهم الكثير من المتابعين أساتذة الجامعات بالتساهل الواضح في منح رسائل الماجستير والدكتوراه لطلاب ضعاف المستوى، وكذا

رسائلهم. بوصفكم أحد المشاركين في العملية البحثية هل أصبح هذا الأمر ظاهرة؟ وما سبل مقاومة ذلك؟

- نعم، هو الآن ظاهرة بشعة فاشية، أو كما قال أحد أساتذة كلية العلوم بجامعة القاهرة: "صرنا نزحلق الطلاب من الروضة إلى الدكتوراه"! قيل: كيف؟ فقال: "يهمل معلم الروضة؛ فيهمل معلم الابتدائي؛ فيهمل معلم الثانوي؛ فيهمل معلم الجامعي؛ فيهمل معلم الماجستير؛ فيهمل معلم الدكتوراه"! أما من معلم يتقي الله فيقطع دابر هذه السلسلة الصدئة ويعطِّل مسيرة هذه السنة السيئة! والله إنه لمن أجل الأعمال، أن يُجنِّب المعلم كل من يجده دون المرحلة التي صار فيها، فيعالج ضعفه بكل علاج، ليعود إلى مرحلته، ويتمكن فيها من موضعه، ولا تتعطل مسيرة زملائه.

- تفتقر المكتبة العربية لمعاجم وكتب حديثة بتقنيات حاسوبية تواكب عصر الإنترنت، كمعجم للطفل العربي، ومعاجم متخصصة في مصطلحات البلاغة والنحو والصرف، ومعاجم للحرف والمهن، ومعاجم للناطقين بغير العربية... إلخ. برأيكم ما الرسائل التي يمكن أن توجهها لرجال الأعمال/ المسئولين/ المجامع/ متخصصي الصناعة المعجمية؟

- ينبغي أولاً لرجال الأعمال والمسؤولين والمجمعيين والمعجميين جميعًا، ألا يغفلوا أبدًا عن مكانة المعجم من اللغة والثقافة والحضارة؛ فلا يهملوه من برامجهم، ولا تفتر عنه هممهم؛ كيف وهو مفتاح كنوزها، ومصباح شداتها! ومن شجون ذلك أنني حضرت أوائل تسعينيات القرن الميلادي العشرين مجلس أستاذنا أستاذ الدنيا محمود محمد شاكر -رحمه الله، وطيب ثراه!- وقد ضافه أيام معرض الكتاب القاهري الدولي، الأستاذ الحبيب اللمسي صاحب دار الغرب الإسلامي، والأستاذ رضوان دعبول صاحب مؤسسة الرسالة، الكُتْبِيَّان الكبيران، وفي المجلس رواده المعروفون من مثل الأستاذ عبد الحميد البسيوني والدكتور محمود محمد الطناحي والأستاذ عبد الرحمن شاكر وغيرهم- فسأله الأستاذ رضوان: بماذا ترى لنا أن نبدأ، يا أستاذنا؟ فقال: بلسان العرب. ثم أفاض في شرح مكانة المعجم من اللغة والثقافة والحضارة، التي لا يحسن أحد شرحها مثل شرحه. ولقد تكاثرت المعارف وتنوعت -وستظل تتكاثر وتتنوع ما بقيت الحياة- حتى صار من ألطف ما تخدم به اللغة والثقافة والحضارة، أن تُميز طوائف هذه المعارف بعضها من بعض، وتخص كل طائفة بمعجم يقصده طالبها قصدًا؛ فلا تتنازعه السبل. وما أكثر ما طلبتُ المعلومة، ولم أجد لها معجمًا خاصًّا؛

فاستهلكتُ في تحصيلها من الوقت والجهد، ما كان ينبغي أن أبذله فيما يُبنَى عليها من التأمل والاستنباط والرأي.

- جهود مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية ثرية وغنية. بوصفكم عضوًا في هذا المجمع. ما حجم الإنجازات التي استطاع المجمع تحقيقها؟ وما الذي يمكن أن يحققه خلال السنوات القادمة؟

– لقد فترت همم المجامع اللغوية الأرضية، وخضعت لسطوة اليأس والاكتئاب والإهمال، وهي مثل كثير غيرها من مؤسساتنا العلمية والتعليمية التي ينبغي الاستبدال بها شيئًا فشيئًا، لتتسلم الراية منها مؤسسات أخرى أحدث وأقدر وأكفى، مثل مجمعنا هذا الفضائي. لقد جدَّت أحوال لغوية رقمية، لها طبائعها ومشكلاتها الرقمية التي لم تعد تجاريها المجامع الأرضية؛ فمن ذلك طاقة الاستيعاب الهائلة المتنوعة، وتِقَانات الحفظ والبحث والإتاحة، ومعايشة التجارب المتجددة، وملاحقة التطور العام، وترويج الإعلان عن الأعمال، وحسن سياسة المتلقين، وتوجيههم، وإشراكهم. لقد استخفَّ بمجمعنا بعضُ من دعوناهم إليه، ظانًّا أنه لن يكون غير منتدى كغيره من المنتديات التي تملأ أرجاء الشبكة خاصة وعامة، حتى إذا ما وجد مقره المكي وروافده المادية والمعنوية وأنشطته المتنوعة وإصداراته النفيسة ومشاركاته

الدولية وخدمته الحقيقية، لم يملك غير الشكر والتقدير والتسليم، ولكن هيهات، "الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ"! وإنني لأرنو إلى مستقبل مجمعي مكي شبكي باهر، تأتلف فيه عقول اللغويين والأدباء العرب والمستعربين جميعًا، على جهود كبيرة كثيرة متصلة، يأخذ بعضها برقاب بعض إلى ذروة الإتقان والإبداع.

- شاركتم في العديد من المؤتمرات العلمية حول اللغة العربية والنحو ونحو النص وسيبويه والخليل. برأيكم هل تسفر هذه المؤتمرات بما تطرحه من رؤى وأفكار عن نتائج ملموسة على أرض الواقع؟

- لم يعد الناس يَجنون من هذه المؤتمرات شيئًا، إلا أن يتعارف المشاركون ويتآلفوا ويتواصلوا، وربما اجتمعوا على بعض الأعمال، وهذا منتهى ما يجديه المؤتمر، ثم يمر مثلما مر كثير غيره قبله، وكأن لم يكن! وكان ينبغي أن تتاح للناس جميعًا، أعمال المؤتمرات في أثنائها ثم بعقبها، بكل وسيلة ممكنة، ثم يتفرغ المؤتمريّون لتحويل توصيات مؤتمراتهم إلى برامج عمل فعالة، ليتعاون على إنجازها المعنيون بها كلهم جميعا. ولعل مجمعنا المكي الشبكي، أن يكون سعى في سبيل ذلك، بما جَمَع فنَشَر من تلك التوصيات.

- كيف نستطيع بناء جيل من النشء يتقن لغته العربية ويعتز بالانتماء إليها؟

- في أحد اجتماعاتنا معشر اللغويين، اشتغلنا بقضية "تنمية حضور اللغة العربية المجتمعي"، واتفقنا على إعداد حملة إعلامية متكاملة الأطراف (التلفاز، والمذياع، والصحيفة)، ذات برامج دورية محددة -مدة البرنامج الواحد منها أسبوع يتكرر كل ثلاثة أشهر-يراد بها ترسيخ الإيمان بالهوية اللغوية العربية (دواعيها، وعواديها، وآفاقها، ونتائجها)، نتقدم بها إلى معالي وزير الإعلام، ليصدر قرارًا يلزم الأطراف الإعلامية الثلاثة، بالتوجه الواضح، وينبهها على المتابعة والمراقبة. إن المقصود من تحديد هذا التصور: ١-سد باب التكاسل. ٢-وفتح باب العمل. ٣-والإقناع بالقدرة على الإنجاز؛ ومن ثم أعرضنا عن المشاغل والندوات والمؤتمرات، إلى تصوير حملة متشعبة مستمرة من الحوارات المتلفزة المذاعة الصحفية في وقت معًا، لا يتأخر أساتذة قسم اللغة العربية عن المشاركة فيها. وهذه إشارة إلى أهم ما ينبغي لتلك الحملة أن تدور عليه: ١-تداخل الوجود العربي والتفكير والتعبير باللغة العربية الفصحى: المولد، والمنشأ، والملهى، والمسعى، والمطمح....٢-تداخل التدين بالإسلام والتفكير والتعبير باللغة

العربية الفصحى: الإسلام، والإيمان، والإحسان....٣-تواصل الماضي والحاضر والمستقبل والمشرق والمغرب والشمال والجنوب، في التفكير والتعبير باللغة العربية الفصحى: الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة....٤-تكامل اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية، على رغم الاستقلال: الخلود، والعموم، والفاعلية، والخصوصية.... ولا غنى بتلك الأفكار عن قبول متلقيها لها ولا عن إضافته إليها.

- وأخيرًا هل تود سيادتكم إضافة شيء لم يتطرق الحوار إليه؟

- أود أن نتواصى بالحق، وأن نتواصى بالصبر: أن نتواصى بأن ليس الإتقان أن نعمل ما يعجب الناس، بل أن نعمل كل ما يمكننا عمله، وأن نتواصى بأن نتجنب صغار الأخطاء مثلما نتجنب كبارها؛ فإن التفريط في الصغير أول التفريط في الكبير. جعلنا الله وإياكم عند حسن الظن بنا، هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، ولا ظالمين ولا مظلومين، آمين آمين آمين!

شعر الاستسماع

عرفنا شعر المديح والرثاء والهجاء والفخر والنسيب والوصف والأدب وغيرها، وما تصالح عليه شعراء العرب في كل منها، تفكيرا وتعبيرا.

أما أن ينظم الشعر ليسمح لناظمه بالاستماع، فغرض طريف يجوز أن نسميه شعر الاستسماع!

نعم؛ فقد جاءني اليوم الثلاثاء ٨/ ٣/ ٢٠١٦، الأستاذ يوسف البادي منسق قسمنا الهمام، فأعطاني مبتسما هذه الرسالة:

الفاضل الدكتور/ محمد جمال صقر المحترم،،.

السلام عليكم

هتفت باسمي من المكان المرتفع

ورقاء أذكت فالحشا نار الوجع

فأجبتها قد كان حبك آسري

واليوم لا أسر الفؤاد ولا نفع

إني فديتك قاصد علم العلا

كالغيث يهمي نافعا أنى وقع

يا أيها الدكتور أعني شخصكم

إن كنت تأذن لي وعندك متسع

كي أحضر الدرس العروضي الذي

شغف المسامع والقلوب ولم يدع

شيئا من الجرس الموسيق لأنه

سلسال عذب بالسلاسة يندفع

اسبح بحور الشعر مع ربانها

كي يستقيم الوزن عندي ولا أقع

يكفي القريض بأن تكون قصيده

ولدرسكم يكفيني أني مستمع

أحمد الحبسي

٨/ ٣/ ٢٠١٦م".

فاستفهمته ظانا أنها قصيدة أحد من يعرضون علي شعرهم من الطلاب، فلم يذكر لي غير أن صاحبها بمكتبه، وإذا هي في طلب السماح له بحضور محاضرة علم العروض!

أعجبني ما صنع الناظم على عِلَّاته، ومن مكتبي لِصْقَ مكتب المنسق ناديتُه ضاحكا، فحضر متوجسا، فرحبت به، وارتحت إليه؛ فارتاح إلي، وذكر لي أنه درس الطب بهذه الجامعة (جامعة السلطان قابوس)، ثم التربية

الرياضية، ثم كذا وكذا -فقلت له ما شاء الله لا قوة إلا بالله! رحالة!- وأنه مولع منذ أوليته باللغة ولاسيما العروض والأدب ولاسيما الشعر، وأنه استطاع أن يقنع القائمين على الدراسات العليا بجامعة نزوى (جامعة إقليمية خاصة)، فقبلوه في برنامج الماجستير، وكلفوه دراسة بعض المواد التكميلية.

وقد تبين لي من التصاق ورقة قصيدته بورقة أخرى فارغة، أنه كتبها من وقته على هاتفه عند المنسق، ثم أخذ منه ما نقلها إليه؛ فلم أعبأ كثيرا بهفواته إلى جلواته!

فحياه الله، وأحيانا به!

شهوة

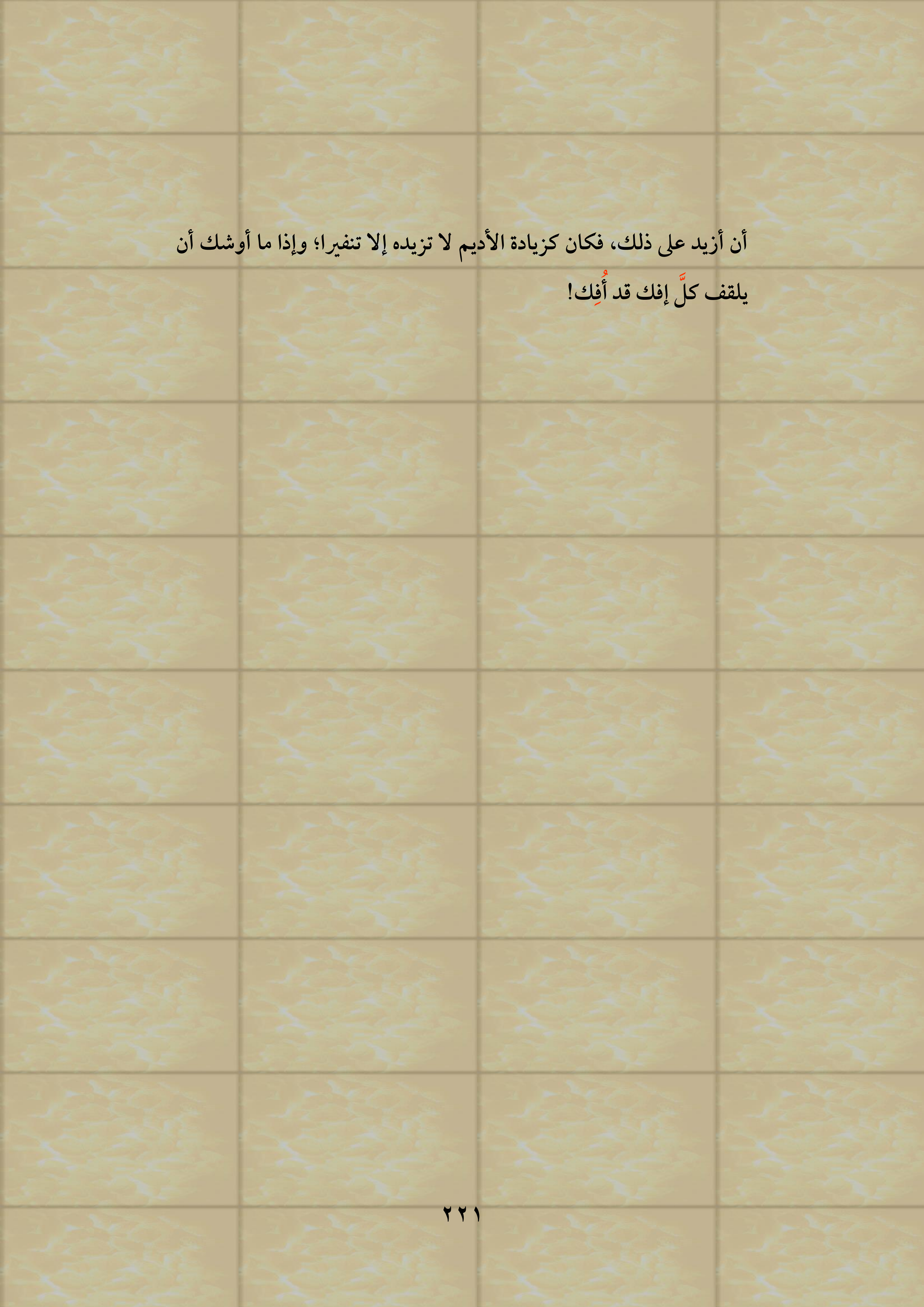
أوائل التسعينيات الميلادية دعتنا جماعة الشعر بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة إلى أصبوحة بمدرج علي مبارك باشا يشارك فيها الدكتور حسن طلب أخو مجلة "إبداع"، والأستاذ حلمي سالم أخو مجلة "أدب ونقد"، وبعض أصحابهما.

وقد دُعي الضيوف قبلئذ إلى مكتب وكيل الكلية، ورغب بعض مضيّفيهم أن يؤنسهم بقول الحق -سبحانه، وتعالى!- في مثل الكلمة الطيبة: "أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء"؛ فتساخر به أحد أصحابهما أولئك قائلا: في السقف يعني!

ثم انتقلنا إلى المدرج واعتلى منصته الضَّيْفان، وجلسنا إليهما أنا وبعض أساتذة الكلية وطلابها، فألقى كل منهما ما شاء، ثم ألقيت "من تكاذيب الأعراب:

http://mogasaqr.com/?p=1045"،

وهي شعر ملفوف بنثر على منهج يتيح للمستمع المشاركة فيه، تحمس له الطلاب كثيرا، وشاركوا، حتى عجبنا جميعا، وكان عملا ناجحا جدا لولا استبداد شهوة الكلام التي عرفتُها يومئذ وكرهتها ثم عفتها؛ فقد حملتني على



أن أزيد على ذلك، فكان كزيادة الأديم لا تزيده إلا تنفيرا؛ وإذا ما أوشك أن يلقف كلَّ إفك قد أُفِك!

الشيخ مبروك
الطالب الدرعمي الكفيف

أواخر خمسينيات القرن الميلادي العشرين وأوائل ستينياته، سكنَتْ أحدَ أحياء القاهرة القديمة طائفةٌ فذةٌ من نبهاء طلاب كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، مضطرةً بقلة المال والوحشة من الأهل، فأما هذه فلأنها من الريف قدمت، وأما تلك فلأنها على الريف اعتمدت؛ فلم تكن في القاهرة أحسن حالا منها في الريف، ولم تكن لترضى أن تكون!

طائفة من طوائف، كل طائفة في غرفة واحدة أو شقة كغرفة، فمن ضافها جهز نفسه لغرف الطوائف، ومن أضافه جهز نفسه لطوائف الغرف، ومضطرا أضاف أحد تلك الطائفة الفذة أحد بلديّيه القادمين؛ فلم يكن أَحْيَرَ منه بالغداء أحدٌ!

نعم؛ ومن أدوية مثل هذه الحيرة بكلية دار العلوم، قولُ من سُئل عن حكمة قومه: "نحن ألف رجل، وفينا حكيم واحد، ونحن نطيعه؛ فنحن ألف حكيم"؛ فأسرع المضيف الحيران إلى الجزار، فابتاع نصف كيلو من لحم الكبد الشهي، وثلاثة كيلوات من ثمار البطاطس الطازجة، وكثيرا من أرغفة الخبز

البلدي الساخنة، وقليلا من لوازم الطهو، ثم آب قبل اجتماع الجوعى، فقطع ثمار البطاطس ولحم الكبد قطعا متساوية، وطهاها طهوا واحدا حتى تشابهت، ثم طهاها حتى اشتبهت، ثم أذن لهم، فهرولوا!

تحلقوا على الطبق وقد أحاطت به صفوف أرغفة الخبز البلدي في زمان بهائه وأبهته -لعلها تحوطه- وفيهم أخوهم مبروك الطالب الكفيف متقنعا بنظارته السوداء الدهماء، وأقبلوا يصطادون باللقم القطع؛ فكان الواحد منهم ربما صادف قطعة كبد واحدة من سبع قطع بطاطس، إلا الشيخ مبروكا؛ فلم تخب رميته قط، كل مرة بقطعة كبد، حتى أسخط عليه صاحب الدعوة -قال الدكتور محمود محمد الطناحي، رحمه الله، وطيب ثراه!- فصرخ فيه متمازحا:

- "جرى إيه يا شيخ مبروك، إنت لابس نضّارة الكبدة والا إيه"!

الصلاة الوسطى

من أسلوب القرآن الكريم في التنبيه على فضل الشيء أن يعطفه خاصا على جنسه عاما، كما في قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "فيها فاكهة ونخل ورمان".

نعم، ومنه "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى".

ولكن في تَخميس الصلوات ما يجعل كلا منها وُسطى بين اثنتين من قبلها واثنتين من بعدها!

فليس منه إذن؟

بل منه، ولكنه بعيد الغور!

كيف؟

من حيث تختلف وُسطويّة الصلاة باختلاف أحوال المسلمين.

فلكل منهم إذن صلاته الوسطى؟

نعم؛ إذ كيف تجعل صلاة الفجر عند من ينام بُعيدها مثلها عند من ينام قُبيلها! ولم يكن أثقل على المسلم القديم من صلاة العشاء ولا أسهل من صلاة الفجر!

نعم، وليس أسهل على المسلم الحديث من صلاة العشاء ولا أصعب من صلاة الفجر!

فمن ثم ينبغي مع كون الصلاة المفضلة وسطى حتما بين اثنتين من قبلها واثنتين من بعدها، أن تكون يقظة بين غفلتين: تَعَبَيْنِ، أو رَاحَتَيْنِ، أو تعب وراحة، أو راحة وتعب؛ فعندئذ تتفضل عند العبد فيتفضل عند المعبود، سبحانه، وتعالى!

صِلٌّ أَصْلَالٍ

من أجل اختبار القبول بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة أواخر خمسينيّات القرن الميلادي العشرين، وفد محمود محمد الطناحي الطالب الأزهري النجيب، على عبد العليم إبراهيم الأستاذ الدرعمي الأصيل كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم، فلم يكد يستقر في مقعده حتى قال له: اكتب حرف الصاد!

فكتبه، فقال له: ألصق به حرف اللام!

فألصقه، فقال له: اقرأ!

فقال: صِلْ.

فقال له: أمر بالوَصْل؛ فهل غيره؟

فقال: صُلْ.

فقال له: أمر بالصَّوْل؛ فهل غيره؟

فقال: صَلِّ.

فقال له: أمر بالصلاة؛ فهل غيره؟

فقال: وهل غيره!

فقال له: نعم؛ صِلٌّ أي ثُعبان، ومنه مثَلهم للداهي المنكَر: "صِلُّ أَصْلَالٍ"!

ثم أجازه، ليكون فيما بعد أحد علماء المخطوطات العربية ومتقني المحققين المثقفين؛ فكأنما أراد تنبيهه على الطريق، باختبار أول باهر، تمكَّن من قلبه الخليّ؛ فاتجه به كل متجه!

صوت محمود درويش

لا يكون الصوت كبيرًا حتى يكون قويَّ البُنيان رَحيبَه، ولا حسنًا حتى يكون عذبَ الأنغام خَصيبَها، ولا كبيرًا حسنًا معًا حتى يكون سَلِسَ الحركة دافقَها، مثلَ صوت محمود درويش!

يخرج من محمود درويش صوتُه أصيلا دائما، لا يعرف الصوت الزائف الذي يسميه الملحِّنون "مُسْتَعَارًا"، مثلما أعرفه أنا مثلا: أكلم الناس بصوتي الأصيل، وأنشدهم بصوتي الزائف؛ فأما بالزائف فأفتح غرف جهازي النطقي كلها حتى السرية، وأما بالأصيل فلا أفتح إلا العلَنية- ومثلما عرفته نجاة الصغيرة المطربة المعروفة، التي تغني الناس بصوت زائف غير الذي تكلمهم به!

لقد كان محمود درويش ينشد الناس بالصوت الذي يكلمهم به!

ولأنه الشاعر والمنشد والمؤلف والممثل والموسيقي والعازف والملحن والمغني جميعا معا، يختار للأداء ما يناسبه، ويتصرف فيه؛ فيحذف ويضيف، ويقدم ويؤخر، ويخلط ويُخلي، ولا يبالي حين يرقى منصته، أطال الوقت أم قصر، ولا يبالي المتلقون، ولا يدرون أنهم لا يبالون! وقد أغناه ذلك زمانا طويلا، عن إشراك فنون أخرى في أدائه مثلما فعل نزار قباني وغيره، ثم بدا له؛

ففعله هو نفسه، أو فعله بعض من أشركوا في أعمالهم بعض أداءاته؛ فكانت طريقهم إلى التوفيق والتأثير الكبير!

يعود صوت محمود درويش بالإنشاد إلى أصل دلالته "رَفْع الصوت"، من قبل أن تخالطه عناصر الغناء؛ فهو لا يفعل أكثر من ذلك، ثم يترك لعاداته النطقية أن تعمل عملها؛ فنجده يقطّع أداءه وكأنه يهيئه لمتكلمين مختلفين، ويخالف بين إيقاعاته تعبيرا عن مشاعره المختلفة، ويتلبّث قليلا عند أطرافه دون أن يقطع بعضها من بعض، ليتيح للمتلقين أن يستوعبوا وأن يطربوا.

وقد كان أمثاله فيما مضى قليلا، فصاروا أقل من القليل، بعدما ازدادتْ فسادًا حياتُنا الصحيةُ والرياضيةُ والأدبيةُ والثقافيةُ والفنيةُ والعلميةُ! ولكن ينبغي ألا يضطرنا ذلك إلى التسليم لمحمود درويش بالتوفيق دائما، ويحرجنا عن أن ننبه على ما أخفق فيه أحيانا، وهذا حديث آخر!

ضَرَائِرُ الشِّعْرِ الْقَبِيحَةُ

مِثْلُ عَكَاكِيزِ الْعَجَائِزِ

شُغِفْتُ قديما عند تعليم العربية باصطناع أمثلة مدهشة مشتملة على المسائل التعليمية المقررة، تتيح لي أن أخوض فيما يستهويني من شؤون الفن والعلم المطلقة. ولقد كنت أعاني من أمرها مثل معاناة الشعراء من أمر شعرهم، وكأنما أخوض مخاضا أخشى أن يتمخض عن الفأر المعروف المخوف!

وما عنوان هذه الكلمة (ضَرَائِرُ الشِّعْرِ الْقَبِيحَةُ مِثْلُ عَكَاكِيزِ الْعَجَائِزِ)، إلا أحد تلك الأمثلة التي أقبلت أُعَلِّمُ بها بعضَ مسائل الإعلال تلامذةً عمانيين نجباء منهم خميس قلم وعلي الرواحي الشاعران الموهوبان وعثمان السعدي طالب العلم المجتهد ورفيعة الطالعية الكاتبة الأديبة -بارك الله فيهم، وأحسن إليهم، وزادهم برا وإحسانا!- لم يكن يجوز في حقهم ولا في حقي عندهم أن ألوك لهم كلاما فارغا مكرورا؛ فلم تزدهم أمثلتي إلا تطلعا واستشكالا واستطرادا!

ضيافة علمية

ضَافَنِي صباح اليوم (الأربعاء ٢٩/ ٧/ ١٤٣٨= ٢٦/ ٤/ ٢٠١٧)، بمكتبي من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية من جامعة السلطان قابوس- زميلي فيه البروفيسور محمد الهادي الطرابلسي اللغوي الأسلوبي المعروف -ومكتبانا على طَرَفَيْ ممر القسم- مستنكرا عليّ أن لم نعد نلتقي كثيرا وهو عندي بمنزلة الأستاذ؛ فأكبرتُ منه ذلك!

آنسته بما ينبغي له، ثم أشعرته انتظار ما عنده، فسألني تعريف المقطع الصوتي الذي سمعه مني بأحد اجتماعات لجنتنا للدراسات العليا؛ فقد استحسنه أكثر مما لديه، وتَحَبَّبَ إليَّ بأنه على شهرته بالنقد، لغوي من أصله محترف.

أجبته: لعلك تقصد "مجموعة الأصوات الخارجة في زفرة هواء واحدة"؟

قال: نعم؛ فهو أحسن من تعريفنا الذي نعتمده.

قلت: وما تعريفكم الذي تعتمدونه؟

قال: "الصوت المسموع بين انغلاقين للجهاز الصوتي"؛ فبين كل مقطعين ينغلق الجهاز، فيتميز ما بعد انغلاقه مما قبله. وعلى غموض كلمة "زفرة" غير العلمية، يظل تعريفك أدق من تعريفنا.

قلت: وما غموضها؟

قال: ليست مصطلحا معتمدا!

ثم بادرني إلى الكفكفة من شأو توقفه في عدم اصطلاحيتها، بأنها لا يمتنع تحديدها واعتمادها مصطلحا كافيا!

رأيت أن أكتفي بما تكرم به عليّ، فنقلت الحديث إلى بهجتي بتلميذتينا غير العربيتين المتقدمتين الأحد القادم لتسجيل رسالتيهما للدكتوراة، تلميذته آيتكين توفيق قوجاييفا الآذربيجانية المتسمية بالعربية قمر -وعنوان أطروحتها "شعراء العربية من أصول آذريّة وأعمالهم: أبرز شعراء البدايات في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي"- وتلميذتي لينغ لي وانغ الصينية المتسمية بالعربية أنيقة -وعنوان أطروحتها "إيقاع الشعر بين المتنبي ولي باي: دراسة تقابلية"- فكلتا رسالتيهما في الموازنة بين العربية وغيرها، المهمة لنا كثيرا!

ارتاح ضيفي الكبير لهذا الحديث، وأضاف إلى بهجتي بهجة مثلها أو أكبر منها، وزاد الأمر أهمية بأنه مجال بكر لم يُطرق بعد في عمان، واعترف لتلميذتي بزيادة قدرتها ودقتها وإتقانها، ولكنه خاف عليها باتساع مصطلح

"إيقاع"، ألا تكون قد عرفت فرق ما بينه وبين مصطلح "عروض"، فطمأنته على فهمها، وأنها إنما تعمدت ذلك لتتمكن من الإحاطة بالتجربة الفنية الشعرية بين اللغتين من خلال شعر أكبر شعرائهما.

طَرَقَاتُ لُهْفَانَ

من وراء "حفيف الصمت"، لطارق سليمان النعناعي

"اتَّقُوا دَعْوَةَ اللَّهْفَانِ"؛

صدق رسول الله، صلى الله عليه، وسلم!

في هذا الكتاب غضب قديم عارم، وفيه أرق، وفيه قلق. مشاعر حولت حال صاحبها، وبلبلت باله؛ فذهب وجاء، وثار وهدأ، وصخب وصمت!

مشاعر عاشها وعاش بها وعاش لها؛ فاشتغل عن أن ينظر فيها، حتى ارتاح إلى حال حسنة جديدة طرأت عليه وتفيأ ظلالها الوارفة؛ فاستنفرها من مكامنها هناك بمسارب روحه، واستعاد عنفوانها؛ فكأنما عرفت له أخيرا ما عرفه لها أولا، فكافأته إخلاصا بإخلاص وصدقا بصدق؛ فنفرت ونشطت وقامت تنصره على خصوم ذكرياته.

وأكثر تلك المشاعر أزواج متضادة بينه وبين غيره حقيقة أو حُكما؛ إذ يستولي عليه أحيانا شعور لا يجد متنفسا، أو يعترضه أحيانا شعور لا يجد منفذا.

نعم؛ فمن الصنف الأول مطامح مثالية نفسية واجتماعية، يرجوها لنفسه وأهله وأمته، ولا يساعده عليها أحد. ومن الصنف الثاني دعوات خبيثة دنيئة، يُغرَى بها، ولا تجد منه قبولا ولا ارتياحا.

وبين هذه المشاعر وتلك نشأت معاناة صاحب هذا الكتاب، ونمت، وترددت، واستمرت؛ حتى تعقدت منها في وعيه الباطن عقد ثخينة، مثلما تَتجلَّط في مجرى دم المكروب جُلُطاته؛ فأقبل يحل كلا منها بقصيدة، مثلما يذيب الطبيب جُلُطات دم المكروب؛ فتحولت عنه إلى كتابه، حتى صار كحبل متسلق الجبل المرتب العُقد، كل قصيدة من ذاك ككل عقدة من هذا. وكما يعتمد متسلق الجبل على عُقد حبله صعودا إلى القمة البعيدة، اعتمد صاحب هذا الكتاب على قصائده صعودا إلى الغاية السنية!

نعم؛ وهل أسنى من أن يعرف الإنسان نفسه فيعرف كل شيء!



طَلَبُ الْعِلْمِ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ

لَا عِلْمَ إِلَّا بِتَعَلُّمٍ وَتَعْلِيمٍ،

وَلَا تَعَلُّمَ وَلَا تَعْلِيمَ إِلَّا بِاسْتِمَاعٍ وَتَحَدُّثٍ وَقِرَاءَةٍ وَكِتَابَةٍ.

وَلَكِنَّ التَّحَدُّثَ وَالْكِتَابَةَ أَهْوَنُ عَمَلًا مِنَ الِاسْتِمَاعِ وَالْقِرَاءَةِ،

ثُمَّ هُمَا أَظْهَرُ دَلَالَةً عَلَى الْعِلْمِ مِنَ الِاسْتِمَاعِ وَالْقِرَاءَةِ؛

فَمِنْ ثَمَّ نَسْتَمِعُ أَوْ نَقْرَأُ يَوْمًا فَنَصْبِرُ،

وَنَتَحَدَّثُ أَوْ نَكْتُبُ يَوْمًا فَنَشْكُرُ!

طماطم

بعد محاضرتي صباح الاثنين ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٧، بقسم اللغة العربية من كلية اللغات الأجنبية بجامعة بيكين الصينية "صفات العلاقات النحوية"، دعاني إلى مأدبته العامرة بغرفةِ الخاصة من مطعم الجامعة، الدكتور أمين (فو تشي مينغ)، الأستاذ بالقسم ونائب عميد الكلية وأستاذ كرسي السلطان قابوس بالجامعة للدراسات العربية والإسلامية- فإذا طعام كثير فاخر، قد حرص مُعدوه على أن يَسر المسلمين ولا يسوءهم، فأكلت من كل صنف حتى حِرت، ثم جاءت الفاكهة، وإذا فيها الطماطم، فازددت حيرة، فتفاخر الدكتور أمين بأنهم الذين يعرفون للطماطم قدرها؛ فقلت:

- كيف وهي عندكم من عموم الفاكهة، فأما عندنا فهي سيدة الخضراوات!

ظاهرة التخطيء اللغوي

أكلم العمانيين بالمصرية ويكلمونني بالعمانية؛ فلا أخطئهم -وإن أغربوا فأرابوا- ولا يخطئونني -وإن أغربت فأربت- ثم أكلمهم بالعمانية ويكلمونني بالمصرية؛ فأخطئهم -وإن قاربوا وآنسوا- ويخطئونني، وإن قاربت وآنست! على حسب المراد يكون الوصف بالصواب أو الخطأ؛ فهما ضدان: فأما الصواب فإدراك المراد، وأما الخطأ فعدم إدراكه (ابن منظور: خ، ط، ء).

لقد تبين للعمانيين حين أكلمهم بالمصرية أنني أريدها وأنها لهجتي وأنني فيها المصدر، وتبين لي حين يكلمونني بالعمانية أنهم يريدونها وأنها لهجتهم وأنهم فيها المصدر؛ فلم أخطئهم ولم يخطئوني، وهو مبدأ علمي عام؛ إذ "يتفق اللغويون اليوم على أن كل اللهجات متساوية، بمعنى أنه ليس لواحدة منها قواعد "أصح" من قواعد الأخرى"، (أونج: الشفاهية والكتابية، ٢٠٣).

لقد تبين للعمانيين حين أكلمهم بالعمانية فأشوبها بالمصرية، أني لم أرد المصرية، وأن ليست العمانية لهجتي، وأن لست فيها المصدر، وتبين لي حين يكلمونني بالمصرية فيشوبونها بالعمانية، أنهم لم يريدوا العمانية، وأن ليست المصرية لهجتهم وأن ليسوا فيها المصدر؛ فخطأتهم، وخطؤوني، وهو مبدأ

مهمل على رغم أنه من العلمية بحيث يبدو عند التحقيق صياغة أخرى للمبدأ السابق.

ولو كتبت المصرية أو العمانية، وعمت المكتوبة مصر وعمان جميعا، لظهرت على غير المكتوبة، "وحينما توجد اللهجات المكتوبة، يفسر النحو والاستخدام [الصحيح] تفسيرا عاما بوصفهما نحوا للهجة المكتوبة نفسها ولاستخدامها، مع إقصاء النحو والاستخدام في اللهجات الأخرى. والأسس الحسية لمفهوم النظام نفسه هي إلى حد كبير أسس بصرية، ويشجع كون اللهجة مكتوبة أو بالأحرى مطبوعة، على خلع قوة معيارية خاصة عليها، تعمل على حفظ اللغة وفقا للنظام. ولكن عندما تظهر لهجات أخرى للغة ما بجانب اللهجة المكتوبة، متميزة في نحوها عن نحو هذه اللهجة المكتوبة، فلا يعني هذا أنها [تلحن]، بل يعني أنها تستخدم نحوا مختلفا؛ ذلك أن اللغة بنية، ومن المحال استخدام لغة دون قواعد" (أونج: الشفاهية والكتابية، ٢٠٢-٢٠٣).

إن هذا ما كان من أمر اللهجات العربية القديمة، التي حظيت بالكتابة بعضها دون بعض، وبقيت غير مكتوبة في أهلها على حالها، ثم مر الزمان، وعملت سنَّته عملها؛ فنشأت بالمكتوبة اللغة المشتركة، ونشأت بغير المكتوبة اللهجات المختلفة (رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ٧٣، ٨٤).

وإنه إذا لم يكن لِحجازيٍّ في الزمان الأول أن يخطِّئ تميميا ولا لتميمي أن يخطئ حجازيا؛ إذ كانا بمنزلة المصري والعماني في الزمان الآخِر- فقد صار لمن يتعلمون اللغة المشتركة ولا يلهجون بها، أن يخطِّئ بعضهم بعضا أو يصوِّبه، على حسب إدراكها أو عدمه؛ فقد صار تعلمها فيهم أشبه شيء بتعلم لغة أجنبية، "وهذا هو ما كان عليه الحال بفرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال أيام أن كانت لغة الكتابة هي اللاتينية وكانت لهجاتها المحلية مقصورة على شؤون المحادثة، وما عليه الحال الآن تقريبا في مصر والسودان وبلاد العرب وشمال إفريقيا بصدد العلاقة بين لهجات المحادثة واللغة العربية الفصحى المتخذة لغة كتابة هذه البلاد. على أن ظاهرة كهذه لا تكاد تبدو إلا حيث تكون لغة المحادثة غير تامة التكون ولا كاملة النمو، ولا تبقى إلا ما بقيت لغة المحادثة على هذه الحال. فإذا ما بلغت هذه اللغة أشُدها تم تكوُّنها، واكتمل نموها، واتسع متنها، ووضحت دلالات مفرداتها ووجوه استخدامها، وتشعبت فيها فنون القول، ودقت مناحي التعبير، وقويت على تأدية حقائق الآداب والعلوم- أخذت تطارد لغة الكتابة وتسلبها وظائفها وظيفةً وظيفةً، حتى تجردها منها جميعا؛ فتصبح هي لغة الكتابة، وتقذف بلغة الكتابة القديمة في زوايا اللغات الميتة. وهذا هو ما انتهى إليه أمر اللاتينية مع

لغات المحادثة بفرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال" (وافي: علم اللغة، ٢٥١-٢٥٢).

وهذه لغتنا العربية لغة حياتنا العقلية غير العادية، ولهجاتنا العربية لغة حياتنا اليومية العادية، لم تؤولا إلى مثل مآل تلك اللغة اللاتينية ولهجاتها، بل تكاملتا تكاملا طبيعيا لا اضطراب فيه، يستحق دون غيره التأمل والبحث.

عاجل إلى وزير الإعلام

في أحد اجتماعاتنا معشر اللغويين، اشتغلنا بقضية "تنمية حضور اللغة العربية المجتمعي"، واتفقنا على إعداد حملة إعلامية متكاملة الأطراف (التلفاز، والمذياع، والصحيفة)، ذات برامج دورية محددة -مدة البرنامج الواحد منها أسبوع يتكرر كل ثلاثة أشهر- يراد بها ترسيخ الإيمان بالهوية اللغوية العربية (دواعيها، وعواديها، وآفاقها، ونتائجها)، نتقدم بها إلى معالي وزير الإعلام، ليصدر قرارا يلزم الأطراف الإعلامية الثلاثة، بالتوجه الواضح، وينبهها على المتابعة والمراقبة.

إن المقصود من تحديد هذا التصور :

١ سد باب التكاسل،

٢ وفتح باب العمل،

٣ والإقناع بالقدرة على الإنجاز؛

ومن ثم أعرضنا عن المشاغل والندوات والمؤتمرات، إلى تصوير حملة متشعبة مستمرة من الحوارات المتلفزة المذاعة الصحفية في وقت معا، لا يتأخر أساتذة قسم اللغة العربية عن المشاركة فيها.

وهذه إشارة إلى أهم ما ينبغي لتلك الحملة أن تدور عليه:

١ تداخل الوجود العربي والتفكير والتعبير باللغة العربية الفصحى:

-المولد، والمنشأ، والملهى، والمسعى، والمطمح...

٢ تداخل التدين بالإسلام والتفكير والتعبير باللغة العربية الفصحى:

- الإسلام، والإيمان، والإحسان...

٣ تواصل الماضي والحاضر والمستقبل والمشرق والمغرب والشمال والجنوب، في التفكير والتعبير باللغة العربية الفصحى:

- الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة...

٤ تكامل اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية، على رغم الاستقلال:

- الخلود، والعموم، والفاعلية، والخصوصية...

ولا غنى بتلك الأفكار عن قبول متلقيها لها ولا عن إضافته إليها.

العربُ المُتَعارِبة

بلسان عربي مبين كان القرآن الكريم مثلما كان شعر العرب النفيس ونثرهم الشريف، وهم الذين قدّر لهم الحق -سبحانه، وتعالى!- أن يتدرجوا في مدارج التذوق اللغوي إلى أن يتدينوا به ويحتكموا إليه فيما يَشجُر بينهم، حتى إذا ما استمعوا إلى القرآن الكريم وأنصتوا، تحولوا إليه عما كانوا فيه.

ولقد بعدت بالعرب الآن الشُّقة حتى احتبس عنهم ذلك البيان الذي ذلّلهم من قبل للقرآن الكريم وعبّدهم لقائله -سبحانه، وتعالى!- بأنه كلام من ينبغي ألا يُعبد سواه- فأفضوا إلى يَهماء تكذب فيها العينُ والأذنُ:

تَحبو الرَّواسمُ من بعد الرَّسيم بها وتَسألُ الأرضَ عن أخفافها الثَّفِنُ

ومن لهم بتمييز لغة القرآن الكريم من لغة الشعر النفيس والنثر الشريف، ولم يعودوا يميزونها من غيرهما، ولا بعضهما من بعض، وجثمت على ملَكتهم جواثمُ الجهل والمرض والفقر؛ فزهّدتهم في أنفسهم إلى غيرهم، حتى فرّطوا في أصول وجودهم واحدا واحدا، ولم يبالوا على أي جنب كان في عدوّهم مصرعُهم!

ولن يكونوا أعز على الزوال من العرب العاربة؛ لعل الحق -سبحانه، وتعالى!- يستبدل بهم مِن غيرهم من يعرفون للبيان العربي حقه، فتنشأ بهم في

أمريكة أو أوربة أو آسية أو أسترالية، أمةٌ ثالثة تَتعارب حتى تُعرِب وتتسمى المتعاربة، تُوَكَّل من تلك المستعربة بمن ظُلم، فتُرسل من يحمله إليها، وتجعله منها بمنزلة النجم من الساري، تهتدي به، وتهدي غيرها؛ "إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا" -النساء: ١٣٣- صدق الله العظيم!

عيد التحرير

اليوم الأربعاء (٢٥/ ١/ ٢٠١٢)، هادئ تماما فيما دون ميدان التحرير من مناطق القاهرة .عجب السائق بي إليه من بقاء الناس في بيوتهم: كيف لا يخرجون ولو ليعرفوا ماذا يحدث! ونسي أنه ذكر لي منذ قليل أنه لم ينقل اليوم أحدا إلا إلى ميدان التحرير؛ فشاب إخلاصه الوطني شوبا ما!

ثم ظهر التحرير غصان بالمحتشدين، ولاسيما أنني دخلت إليه عفوا من جهة منصة الإخوان بقلب الميدان، وعليها أهازيج النصر وأعاجيبه، حتى شهدت عقد قران شابين عقدا وافيا بعبارات الإيجاب والقبول، والدعاء الجماعي بالبركة يزلزل الميدان!

ثم انصرفت إلى منصة الليبراليين بجهة المجمع، فإذا شيخ أزهري يصخب على شيخ الأزهر بما يخلعه من منصبه، ثم أم أحد الشهداء تكرر إصرارها على دم ابنها، ثم أحد شعراء الثوار الذين أشعلوا الميدان حماسة في أثناء الثورة، يهتف بشعارات مرتبة، يبدؤها بقوله: "كَبَّرْ وَانَا اكَبَّرْ"، ناظرا بطرف عينه إلى منصة الإخوان، ثم يوجه كلامه إلى الكتاتني، ليقول العبارة من الوعيد بمثل أن مجلس الشعب هو مجلس هؤلاء المحتشدين، فإما وإما، ويترك

للمستمعين بعد كل عبارة من عباراته أن يقولوا عبارة "يا كتاتني"، وهو معروف بهذا النوع من الهتافات المقسمة بينه وبينهم.

ثم انصرفت إلى منصة الاشتراكيين والوفديين أمام كنتاكي، فإذا هتاف بالمجلس العسكري والمشير طنطاوي أن ارحلوا، ربما وصل إلى إعدام المشير، وفي الساحة صورة كبيرة لمبارك بين العادلي والمشير وكل منهم قد أحاطت برأسه مشنقته! ومن أعجب ما سمعت شاب يذكر أنه منسق بعض الائتلافات يشكو إلى الناس الشيخ حازم أبو إسماعيل الذي آذاه أنصاره يوم اشتعال شارع محمد محمود.

ثم انصرفت إلى ركن السلفيين الهادئ، فإذا الخيام ومن فيها، وإذا خلفهم لافتة كبيرة بما اجتمع عليه الإسلاميون جميعا يوم ٢٢/ ١/ ٢٠١٢، من المشاركة في عيد التحرير.

العين نفسها

قديما خرجت أمي -رحمها الله، وطيب ثراها!- إلى سوق المُكَسّحين (الكسالى) -وهذا اسمها عند أهلها، بتأخر زمانها عن غيرها مبتدأ ومنتهى، وقرب مكانها!- وجالت بين الفلاحات البائعات تفتش عما بقي مما تريد، فإذا بإحداهن -وكانت شابة قد حضرت أول مرة بعد عرسها- تكشف عِقدها من حُليّ عُرسها لإحدى زميلاتها، فلا تكاد تراه حتى ينقطع؛ فتُلبّبها (تخنقها):

- قطعته، يا أم عين مدورة!

أو كما حدثتني أمي متعجبة، فلم أفتأ أتخيل احتكام البائعة في ذلك إلى القاضي، وتلمسها ما تحتج به؛ أتراها -لو عرفت مقاييس الأشعة الحديثة- تدعو القاضي إلى كشف أشعة هذه العين المدورة!

وقريبا من ذلك حدثني الدكتور السيد أحمد علي أستاذي النحوي الدرعمي، أنه زاره زوار، فآنسهم وهو الصعيدي الأصيل، بأخبار ابنه المقبل على الزواج، حتى طلب لهم علبة الحليّ التي اشتراها له من المدينة المنورة -وكان قد عمل بها زمانا طويلا- ليقدمه في مهر خطيبته، ففتحها لهم وفيها قطعها كاملة عقدا وقرطين وسوارا وخاتما، سعيدا بذلك، حريصا على مسرتهم حتى ذهبوا، وأعيدت العلبة إلى مكمنها حتى يوم تقديمها لصاحبتها، وعندئذ

فتحت لها، فإذا العقد المستولي على المكان قد تقطع ثلاث قطع! فلم يدروا أمن ذلك يعجبون أم بوجوب إصلاحه سريعا يلهثون!

وبعيدا من ذلك هاتفني في غمرة أشغالي التي لا تنتهي أحد أصدقائي القادمين من سفر، فدعوته إلى بيتي بروضة مصر العتيقة، فذكر لي أنه مع أحد زملائه، لا يدري كيف ينسلّ منه إليّ، فدعوته معه، وتركت أشغالي، وأسرعت أجهّز لهما ما يليق بضيافتهما قبل أن يصلا -وكنت وحيدا من أهلي- فعجلت إلى محل مترو الفخم عن يسار البيت أشتري ما أستحسن، ولم أكد أصل حتى وجدتهما عند الباب، وقد ظهر الفرح على زميله بوَشك اطلاعه على بيت الأساطير الذي سارت بأخباره الركبان -ولصديقي ببيتي عهد قديم مستمر- وفرحتُ بهما، وتقدمتهما إلى مكتبي بعدما جُزتُ بهما باحة البيت الواسعة؛ فلم يدر زميله مم يعجب، وخضنا في أحاديث لم أرتبها -علم الله!- تبين لي منها أن زميله أحد من آذَوني على علم غير متحرج مع ذلك من المجيء والإقرار، ولم أملك له في بيتي إلا تمام الضيافة، ولكنه طلب أحد الحمامات وأقربها حمام الباحة، فأخذته إليه، ثم رجعت إلى صديقي أجالسه وأؤانسه، ولكننا استأخرناه؛ فخرجت أتفقده؛ فإذا هو قد فرغ من الحمام -وربما لم يُرده- وخرج منه إلى الباحة يتأملها؛ فأحرجته إلى الرجوع معي حتى انفض المجلس، وأوصلتهما إلى حيث ركبا وذهبا. ثم لم نلبث أن أحسسنا لبعض سيراميك

الباحة الفاخر تطبيلا خفيفا، ظل يزداد على الأيام حتى تكسر وكأنه على بركان ثائر، ذكر بعض الباحثين عن سره أنه أثر تسرب رطوبة تفجرت لها بعض قطع الجبس المتخلفة عن إهمال العمال!

غُسْلُ الجامعةِ

في ١٩/ ١/ ٢٠١٥

وإلى من تلجأ الأرض إذا اغبرت! هل أقدر على غسلها من السماء؟

وهو مشهد يُعظّمه العمانيون، ويتركون لشهوده كل شيء! ومن عَمَّنَ تَعَمَّنَ!

فلم يلهني عن صلاة العصر في شهود الغسل، لا رعد، ولا برق! بل

صعدت بعد الصلاة بسيارتي إلى أعلى ما تبلغه، وتطرَّفتُ بها حتى أضبط المنظر،

ولم أعبأ حين دُست الأرض بغَرَق ولا شَرَق، تَشوُّفا إلى صورة المسجد الجامع

ومباني التدريس جناحاه، إلى مباني عمادة القبول والتسجيل وكلية الآداب

والعلوم الاجتماعية عن يمين القادم منه إلى المصور، ومبنى كلية التجارة

والاقتصاد عن يساره، والقلبُ حدائقُ إثرَ حَدائقَ إثرَ حدائقَ!

فاروق شوشة

المثقف الكبير والوجيه الباهر والشاعر الوسط

ما زلت أذكر أنني كنت أنتبه أواخر سبعينيات القرن الميلادي العشرين، إلى براعة فاروق شوشة في محاورة ضيوف أمسيته الثقافية حتى ليكاد يستولي دونهم أحيانا على البيان، وإلى قول أمي -رحمها الله، وطيب ثراها!-: "الراجل دا ما بيسيبش حد يتكلم"! فأما برنامجه الإذاعي "لغتنا الجميلة" الذي صار اسمه على كل لسان وفي كل مكان، فقد كان باب مغارة "علي بابا" المسحور الذي ينفتح بصوته الضخم الرخيم الفخم؛ فتنثال انثيالا جواهر الأدب العربي المبين!

لم أكن أظن أنني سأتحول عن طريق العلوم الطبيعية إلى طريق العلوم الإنسانية بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة، التي تخرج فيها فاروق شوشة قبلي بثلاثين عاما تقريبا، لأحضر في الطلاب المحتشدين بمدرج علي مبارك، محاضرة توجيهية عارضة، حفزنا فيها محاضرها إلى محبة الكلية والاجتهاد فيها والصبر عليها، بتعليقنا بصورة فاروق شوشة أشهر خريجيها وأبهرهم -وكان هو عرفة عبد المقصود المعيد بقسم النحو والصرف والعروض، رحمه الله،

وطيب ثراه!- لأجد قصيدته "يقول الدم العربي" ب"قراءة الشعر" كتاب أستاذنا الدكتور محمود الربيعي، الذي درسناه عليه في السنة الثالثة!

ثم رأيته مرارا في الأمسيات الشعرية، ولاسيما بمعرض القاهرة الدولي للكتاب مع رفيقي أمسيته الدائمين فاروق جويدة الصحفي المصري وسعاد الصباح الأميرة الكويتية. وما زلت أذكره في إحداها يقدم قصيدته "مهرجان العبير"، بقوله: دُعيت إلى مهرجان شعري كويتي؛ فاهتممت له، ثم لما حضرت وجدتني الرجل الوحيد في جمع من الحسان المشاركات؛ فقلت من وقتي هذه القصيدة!

ثم لقيته بمكتب الدكتور عبد الفتاح عثمان وكيل كلية دار العلوم مدعوا إلى أمسية شعرية، والطلاب بمدرج علي مبارك محتشدون صاخبون، والدكتور عبد الفتاح يسأله أن يذهب إليهم ليهدئهم؛ فيقول له: لا، بل لو ذهبت لازداد هياجهم؛ فيبتسم الدكتور عبد الفتاح معترفا للنجم بوهج سطوعه!

ثم لقيته بمكتب عميد كلية دار العلوم أستاذنا الدكتور محمد بلتاجي حسن -رحمه الله، وطيب ثراه!- أوائل تسعينيات القرن الميلادي العشرين، مدعوا بعقب أحد اجتماعات مجلس الكلية الذي كان أحد أعضائه الدائمين، إلى حلويات منمنمات، أبى أن يصيب منها قائلا على بديهته الحاضرة: لا صغيرة

مع إصرار! ويسأله الدكتور محمد بلتاجي: أصحيح أن نزار قباني يكتب لسعاد الصباح شعرها؛ فلا ينكر، ولكنه يذكر بعمل ذلك صالح جودت -رحمه الله!- ثم يستطرد إلى أمثلة عجيبة من سرقة القصائد والتقدم بها إلى الجوائز! ثم جرى ذكر أحمد عبد المعطي حجازي الذي استضافه بأمسيته كثيرا بعد رجوعه من فرنسا؛ فقال: إنه يشعرك بأنه هو المثقف، وأنك يجب أن تسمع له وتتعلم منه!

ثم لما احتفلنا عام ١٩٩٣، بعلي مبارك باشا مؤسس كلية دار العلوم احتفالنا الكبير، وقدمتُ أمسيتنا التاريخية- رتبتُ الشعراء ألفبيًّا، واصطنعت لكل منهم بيتين من مشطَّر الرجز، أدعوه بأحدهما، وأحييه بالآخر، فقلت في فاروق شوشة:

سابقت بين صوته وشعرهْ

فسبقا فنحن طوع أمرهْ

هاءتْ لك استمع حنين الدارِ

فإنها في العشق لا تداري

(http://mogasaqr.com/?p=3243)، أشيرُ إلى ديوانه الصادر عندئذ "هِئْتُ لكِ"!

ثم لقيته أواخر التسعينيات بأحد مواسم جامعة السلطان قابوس الثقافية محاضرا بقاعة مؤتمراتها، يذكر أن حياة العربية من حياة العرب، ويمثل بكلمة "انتفاضة" التي بدماء الفلسطينيين دخلت لغات العالم كما هي!

رأيته في تلك المواقف وغيرها، فلم أر إعلاميا يَفري فريَّه!

نعم؛ لقد احترف فاروق شوشة العمل الإعلامي، ولكنه احتمى من سخافاته ومهازله بالتثقف المنهوم، ولاسيما أنه كان مضطرا إلى تحصيل ما يبثه ببرنامجه الإذاعي وما يحاور به ضيوف برنامجه المتلفز، حتى لقد تطلع إلى استضافة محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا -رحمه الله، وطيب ثراه!- فأبى عليه بأن فاروقا لا يعرفه، ودعاه على كرمه إلى بيته، فكأنما كان في هذا اللقاء ما أغنى كلا منهما عن اللقاء المتلفز!

لقد سطع نجم فاروق شوشة مبكرا بما أوتي من وسامة وأناقة وأبهة وثقافة وطلاقة ولباقة وفخامة، حتى كان لقاؤه أمنية المتمنين أيا كانوا! وانفتحت له المنابر العلمية والتعليمية والفنية والتثقيفية طوال عمره، حتى سخط عليه بعض المتطلعين ممن لا ذكر لهم معه! وحظي شعره بذلك كله عند متلقيه متثقفين ومثقفين وعلماء؛ فلم يستطع أحد أن يرد شفاعة مواهبه المختلفة في شعره!

نعم؛ فشعره على وجه العموم وسط لا رديء ولا جيد، لم ينبع عنده من فذاذة أهواء ولا تجارب ولا تعبيرات، ولاسيما إذا وُوزِن بشعر أمل دنقل مجايله الذي فضَّله فاروق على نفسه وهو أسبق منه إلى مجموعته الشعرية الأولى. ومن تأمل اللقاء المتلفز الفريد الذي اجتمعا فيه هما وعبد الرحمن الأبنودي، وقف على فرق ما بين الشاعر الكبير الآسر والشاعر الوسط الأسير !

لقد أصاب الدكتور عرفة عبد المقصود –رحمه الله، وطيب ثراه!– حين علقنا بمثال فاروق شوشة في أوليتنا بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة؛ فقد ظل طوال حياته كبيرا نزيها كريما رفيعا، يتشرف به الدراعمة وسائر المشتغلين باللغة العربية في كل مكان.

وفي عزائه اجتمع المفترقون على حسن ذكره؛ فكأنما انتظم بهم في مماته من الشعر الجيد ما لم ينتظم له في حياته!

فخامة الرئيس البلطجي

الرؤساء في البلطجة أربعة:

١ فرئيس بلطجي ولا يدري أنه بلطجي، وهذا عما قريب يتبتل مرؤوسوه بتنبيهه على بلطجته!

٢ ورئيس بلطجي ويدري أنه بلطجي، وهذا إمام مذهب سيُمذهب عليه مرؤوسيه!

٣ ورئيس غير بلطجي ويريد أن يكون بلطجيا، وهذا كان أحد مرؤوسي البلطجي السابق، ثم خلَفه.

٤ ورئيس بلطجي ولا يريد أن يكون بلطجيا، وهذا في المشمش ممكن، إن شاء الله!

فأما البلطجة نفسها -رحمها الله، وطيب ثراها!- فقد نَسِيتْ إذْ لم تكن غير تقدم بعض الرجال الأشداء أمام الجيش بفؤوسهم، ليزيلوا عن طريقه ما يعوق مسيرته!

فراسة

أن تعرف الإنسان من وجهه أو من قَدِّه أمرٌ مفهوم، وأن تعرفه من قفاه من حيث هو ضد وجهه -وبضدها تتميز الأشياء- أمر ربما فُهم! أما أن تعرفه من إصبع إبهام قدمه فهذا أمر غير مفهوم!

نعم؛ أنا أدعي أنني أعرف الإنسان من إصبع إبهام قدمه، ولي من أبي حفص عمر بن الخطاب أمير المؤمنين سلف صالح؛ إذ لم يثبت نسب الطفل الذي حار فيه الناس، إلا بقدمه!

قاتل الله شيطاني، كلما ركعت في صلاة جماعة شغلني بإصبع إبهام قدم من عن يميني وشمالي: لا ريب في أن هذا إنسان قوي أما هذا فضعيف، وأن هذا إنسان صالح أما هذا ففاسد، وأن هذا إنسان منعم أما هذا فمعذب...!

من حجم إصبع الإبهام إلى سائر الأصابع، ومن التفافتها عليها أو عنها، ومن ظفرها في نفسه وفي علاقته بلحمها...، أستطيع أن أعرف أي إنسان هو في الناس، وأن أتخيل سيرته، فإما أن يستتر مني بجوربه، أو أن تضيع عليَّ صلاتي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

فرسان الثقافة

(حوار الموقع)

في ١٢/ ٥/ ٢٠١٥

http://omferas.com/vb/t58274/#post224219

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ضيف كبير نحترمه ونرحب به، ونتمناه دوما معنا في الموقع:

الدكتور كثير العطاء: جمال صقر

حفظه الله وأكرمه.

- أسئلة نبدؤها ويكملها الأعضاء فهيا بنا وشكرا لتلبية دعوتنا المتواضعة:

من هو الدكتور " محمد جمال صقر " وكيف تحدثوننا عن مشواره في الحياة المدنية والعلمية؟ كيف ترون حال الجامعيين في عصرنا؟ هل بات النت من المصادر الهامة لطلاب الجامعة؟ ما ملاحظاتكم على العملية التعلبمية عموما وكيف تراها؟ موقع الفرسان كيف تروه الان باختصار؟ كيف تختصر فكر الأستاذ محمود شاكر؟ أستاذكم الكبير؟ هذا أول الغيث وللحديث بقية!

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مرحبا بكتيبة الفرسان تثقفا وتثقيفا حياكم الله وأحيانا بكم وشكر لكم حسن ظنكم وجعلني عنده مستحقا له أخوكم محمد جمال صقر كاتب أديب لغوي أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة المصرية وكلية الآداب من جامعة السلطان قابوس العمانية شيخ (في الخمسين تقريبا) مسلم عربي مصري عروبي إسلامي يسرني في هذا المقام أن أشرك في التعرف إليكم -وإن لم يغنكم كثيرا- كتابي هذا الصغير "في الطريق إلى الأستاذية":

- كيف ترون حال الجامعيين في عصرنا؟

- حال الجامعيين في عصرنا حائلة يقادون في غمار الناس إلى ما يضرهم بدلا من أن يقودوهم إلى ما ينفعهم قد تكالب عليهم رجال الأعمال فمنهم من صار منهم ومنهم من صار لهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا يمنعني من قول ذلك أن أجد صلاح بعض أفرادهم فإن الأفراد لا يسدون خلل الأمة ولا يرأبون صدعها حتى يتصدروا ويقودوا ويطاعوا. وربما انتفعت هنا بالتنبيه على مقالي هذا تكامل الفنون والعلوم والمهارات اللغوية وغير اللغوية:

http://mogasaqr.com/?p=4443

- هل بات النت من المصادر الهامة لطلاب الجامعة؟

  - نعم لم يعد عن شبكة المعلومات ببرامجها المختلفة غنى لا بالطالب ولا بالأستاذ ولولاها لم نلتق الآن ولم نأتنس بكم وقد جدت فيها برامج من النشر الإلكتروني تساعد على ما صار يسمى التعليم عن بعد وتأسست في أماكن مختلفة من العالم مؤسسات تعليمية معتمدة يتعلم من خلالها من شاء ما شاء ويحصل في ذلك على شهاداتها التي تتزايد كل يوم قوتها ومكانتها.

- ماملاحظاتكم على العملية التعلبمية عموما وكيف تراها؟

  - تجبر بعض المؤسسات التعليمية الناس على احترامها عالية كانت أو متوسطة أو ابتدائية بما تجري عليه في مقرراتها وطلابها وأساتذتها وإداراتها ولكنها محدودة معدودة لن نتغير بها من حال إلى حال حتى تكثر وتنتشر وتغلب على غيرها أما ملاحظاتي الدقيقة فربما أغناني هنا عن لهوجتها إحالتكم على كتابي هذا الصغير رحلة البريمي في مشكلات تدريس علوم اللغة العربية:

http://mogasaqr.com/?p=1834

- موقع الفرسان كيف تروه الان باختصار؟

- أرى أنه موقع طيب يحتاج إلى متابعة ومشاركة لكيلا يقتصر أمره على تطوع بعض حملته فإن خير الأعمال أدومها وكل عمل ثقيل يتحمله بعض من ينبغي أن يتعاونوا عليه يوشك أن يتعثر فيتوقف لا قدر الله شيئا من ذلك

- كيف تختصر فكر الأستاذ محمود شاكر؟ أستاذكم الكبير؟

- رحم الله أستاذنا أستاذ الدنيا محمود محمد شاكر وطيب ثراه أنصع ما يعبر عنه أنه إمام تقدم أدباء العربية في زمانه ليوثقهم بأنفسهم العربية الإسلامية وبتراثهم العربي الإسلامي من قبل أن يفتنهم عنهما خبث الخبثاء ومكر الماكرين.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرصة رائعة للحوار معكم دكتور نبث آلامنا عن اللغة العربية وتراجع الاهتمام بها، هل هي الظروف العصرية؟ هل هو ضعف التدريس؟ ام العيب في المنج؟ ام التسويق للغة الأقوى عالميا هو المقياس؟ أخشى اننا فرطنا من حيث لا ندري أهلا بأهل مصر كلها. أسامة.

- بارك الله فيك يا أستاذ أسامة ونفع بك واستعمَلَنَا جميعا في خدمة العلم وأهله آمين!

- دكتور برأيك كيف نستطيع جعل الجيل يحب ويفضل تقوية لغته العربية؟

رغد قصاب.

- أهلا -أستاذة رغد- وسهلا مرحبا! لا سبيل إلى هذه الغاية الكريمة إلا بالممارسة السليمة الجميلة الباهرة؛ فلن يتعلق بالعربية أحد منهم ولا من غيرهم، حتى يجدها سيالة على ألسنتنا وأقلامنا. أذكر أنني كنت أجلس أنا وأولادي لمسلسلات وليد سيف وحاتم العلي التاريخية الطيبة، وأننا كنت نستمتع بها كثيرا، وأن ابنتي وهي الآن أستاذة بجامعة بيكين، بهرتني بقولها عندئذ: أنا عايزة أتكلم زيهم!

- الحديث حول اللغة العربية ذو شجون دوما، أشرح لنا دكتورنا كريم، ووضح لنا مامررت به، فانا احب هذا الحديث القيم ومنكم نستفيد.

ويهمني ردكم على مقالتي مع التقدير:

http://omferas.com/vb/t58317/#post224349

- أخي الكريم حديث ذو شجون وليس ألذع مما نقلته للأستاذية جازية ولا مما علقته عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله وكلنا جمال ضو كلنا غريب الوجه في وطنه العربي واليد واللسان لا في مزاره الأجنبي كما كان المتنبي لا بل في وطنه أذكر أنني دعيت إلى تدريس مقرر لغوي عربي عام طلاب كلية الإعلام بجامعة القاهرة فذهبت أكلمهم العربية التي بيتها

على عيني طوال عمري فإذا القوم مغفورو الأفواه جاحظو العيون عجبا من هذا الكائن العربي الفصيح ثم لم ألبث أن سايستهم عطفا عليها يحتاج مكلم الناس بالعربية العالية في وطننا العربي هذه السنوات إلى أن يصطنع لهم حيل السحرة وألاعيب البهلوانيين!

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من جديد: ما دمنا دخلنا موضوع العربية بقوة دعونا نتساءل أساتذتنا الكرام عن قضية نتجه لها عربيا وثقافيا عاما: سمعت عند زيارتي لدبي العزيزة عن مذهب فكري حديث بسبب انخفاض معدل القراءة يقول: -لنشجع على القراءة علينا النزول بلغتنا للعامة والجماهير فنبسطها، ثم نرتفع بهم للأعلى ولعمقها. ماذا تقول عن هذا دكتور وماذا تقترح حلا للقضية هذه؟ د.ريمة الخاني.

- وعليكم السلام دكتورة ريمة ورحمة الله وبركاته نعم صدقت ينبغي أن نراعي إفهام الناس عامة لا الإغماض عليهم وتقريبهم لا تغريبهم وتبشيرهم لا تنفيرهم ولكن ينبغي كذلك ألا نضيعهم ولا نخدعهم بالباطل ومن الباطل خلط الفصحى بالعامية بل نصطنع لهم لغة عربية فصيحة قريبة كالتي تجري بها نشرات الأخبار مثلا ثم ينبغي للشعراء منا أن يصطنعوا لهم كذلك لغة عربية فصيحة جميلة كالتي اصطنعها لهم نزار قباني وأحمد مطر فأما خاصتهم فلهم حديث آخر ومن شجون

هذا الحديث أنني كنت أدرس علم العروض بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة في حياة أستاذنا أستاذ الدنيا محمود محمد شاكر رحمه الله وكنت في أثناء ذلك معجبا برباعيات صلاح جاهين شاعر العامية المصرية وكانت من بحر السريع فذكرت لأستاذنا رغبتي في الإنشاد منها عطفا لهم على ما أدرس فزجرني عن ذلك زجرا شديدا قائلا هذا جهل جهل جهل رحمه الله وعفا عني لكأنه كان يرى بعين العارف ما أفضى إليه بالناس مثل هذا التفريط ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

- وكيف ترون طريقة التدريس حاليا في الجامعات؟ ولماذا لا يملك كل من حمل شهادة الدكتوراه الأهلية للتدريس؟ راما

- سؤال لطيف ست راما هانم له عندنا سياق يستحق الرواية لعلك اطلعت من كتابي الصغير في الطريق إلى الأستاذية على أنني قبلت في وظيف أستاذ مساعد بجامعة السلطان قابوس دون خبرة تدريسية بعد الدكتوراة وإن كنت عملت قبلها أكثر من ست سنوات بتدريب الطلاب في مجموعاتهم المصغرة لقد عانيت من أمر المحاضرات وسياسة الطلاب وتقاليد العمل ما جعلني أقدر اشتراط الخبرة الجامعية كثيرا واليوم بعد زمان طويل من تلك التجربة أطلع على شكوى

الطلاب ممن يستعين بهم القسم من خارجه من حملة الماجستير والدكتوراة الذين ليس لهم من تلك شيء فأعيد الحاضر على الماضي وأحمد الله على كل حال ينبغي في التدريس الجامعي أن يبني وعي الطالب بناء جديدا ربما اضطر معه المدرس إلى هدم وعيه القديم وما أكثر الغافلين أصلا عن هذه الغاية الجليلة ثم ما أكثر الواقفين عند الهدم العاجزين عن البناء ولو ألف بان خلفهم هادم كفى فكيف ببان خلفه ألف هادم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

- اهلا وسهلا بك دكتور بيننا ويا مرحبا: سؤال سريع لو سمحت لنا: ما رأيك باللغات الإضافية التي تقرر وتخير للطلاب في الكليات الأدبية، ماهي اللغة الأهم برأيك لدراستها مثلا؟ مع الشكر. أوس

- أهلا بك أ.أوس وسهلا ومرحبا لاشك في غلبة الإنجليزية الآن على وسائل التواصل ولاسيما العالمية فأمر تحصيلها مفروغ منه إذ بها تطلع على ما يجري في العالم مباشرة دون وساطة من لا تعرف أمانته أما غيرها من اللغات فعلى حسب الحال أما دارسو اللغة العربية فينفعهم تحصيل العبرية والحبشية وأما دارسو الحضارة العربية فينفعهم تحصيل الفارسية والتركية والإسبانية وهكذا...

- دكتور جمال حفظه الله نعم ماتفضلت به قول حق، ولكن ماذا ترى من امر الادب والادباء؟ هل مازال هناك من لاتطاله عين الإعلام او التسويق؟ لأن العمل بلا تسويق خنق للجهد وتوقيف لهم، واعني انكم مثال الأخلاق والرفعة، ومانراه في سوق الأدب لايعكس صفاء هذا الطريق، فماذا ترون؟ د.ريمة

- بارك الله فيك يا د.ريمة وشكر لك وجعلني عند حسن ظنك كذلك كانوا يقولون في محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا إنه مهمل غير معروف ثم إذا المثقفون من كل مكان يعرفونه ويجلونه عن أية شهرة تكلمينني عن الشهرة التي يظهرها الإعلاميون الفاسدون المفسدون بئست والله شهرة أما أنا فأكلمك عن الشهرة التي يضمرها المثقفون الصالحون المصلحون نعم يضمرونها حفظا وحرصا وكلما جد الجد وقام مقام الأدب البناء أظهروها كأنها الحق الذي حصحص على رغم امرأة العزيز ولو بعد حين على أن يوصل الأديب صوته القوي الفذ ولا يكتمه مهما تكن وسيلة يصاله ولا يستعجل فعما قريب يذهب الزبد جفاء ولا يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

- برأيك دكتور جمال هل خدمت مواقع التواصل الأديب؟ فماذا عن المواقع الالكترونية والمدونات والمنتديات؟ يهمنا رأيكم رغد قصاب

– أهلا ست رغد هانم ينبغي أن نصنف الأدباء تجاه بحور التواصل الاجتماعي على ثلاثة أصناف الأول استفاد منها أكثر مما خسر والثاني خسر أكثر مما استفاد والثالث استفاد وخسر على سواء أما الصنف الأول فهو الذي سبح فيها حتى امتلكها ولم تمتلكه وأما الصنف الثاني فهو الذي غرق فيها حتى امتلكته ولم يمتلكها وأما الصنف الثالث فهو الذي توجس منها فوقف على شطها يغرف ويجري فمرة ومرة وأما أنا فدائما أدعي أنني من الصنف الأول وأخشى أن أكون من الثالث ولا أرضى أن أكون من الثاني

- اهلا وسهلا بك دكتور جمال، هل يمكنك التحدث عن أهم خواص مدرسة العلامة محمود شاكر؟ من وجهة نظر حضرتك طبعا. ولك الفضل. محمد عيد خربوطلي

– أهلا بك يا أ.محمد وسهلا ومرحبا إن مدرسة شاكر هي مدرسة البيان العربي والبيان عنده هو الإبانة والاستبانة كلتاهما فهي مدرسة الحرص على أصول العروبة وفروعها عن إفهام الناس وعن الفهم عنهم جميعا فلا انحراف عن ذلك ولا اعتبار لغيره ما دام المقام للثقافة العربية

فأما إذا كان لغيره فلكل مقام مقال واللغة عند هذه المدرسة هي قلب الثقافة النابض والشعر هو عصب اللغة المشدود والعروض (موسيقى الشعر) هو روح الشعر الأصيل

- أهلا بزميل التدريس بجامعة طيبة وبعد سرني حضورك هنا جدا: ما رأيك في علم العروض الخليلي؟ ما رأيك في علم النحو العربي؟ هل يجب أن نبقى معتمدين على هذا العلم في معرفة أوزان الشعر؟ وهل هناك علم آخر يا حبذا لو يكون بديلاً له؟ ما رأيك في تعليم العروض لطلاب المدارس الثانوية؟ ما رأيك في تجديد علم العروض أو الثورة عليه؟ د. جاسم جاسم

- أهلا سعادة أخي الكريم أ.د.جاسم، أهلا أهلا وسهلا ومرحبا، وشوقا إلى وجهك الكريم، وملتقانا الحميم، بمعمل الحواسيب من جامعة طيبة! أدام الله علي نعمته بوجودك في نعمته! ما رأيك في علم العروض الخليلي؟ علم العروض الخليلي علم عربي أصيل، متمكن من أرض الثقافة العربية الإسلامية الغالبة على القرن الهجري الثاني. وأؤخر بقية الكلام إلى ما يأتي! ما رأيك في علم النحو العربي؟ أما علم النحو العربي الذي لم تحدده بأحد من العلماء مثلما حددت علم العروض، فكيان متنام من التفكير في طبيعة وجود نحو اللغة العربية توصلا إلى ضوابط وافية

كافية نافعة، اختلطت فيه مقالات العلماء بمقالات المعلمين. هل يجب أن نبقى معتمدين على هذا العلم في معرفة أوزان الشعر؟ لعلك أوردت سؤال علم النحو بين أسئلة علم العروض، على جهة التخفيف والتلطيف! ولا بأس علي -إن شاء الله- ولا عليك! فلا يخفى عليك أن علومنا القدامية سلسلة واحدة متداخلة الحلقات، يكمل بعضها بعضا أحيانا، ويغني عنه أحيانا؛ ومن ثم لا تستطيع أن تستغني عن علم العروض الخليلي ما بقيت على علم النحو الخليلي. ولا خير للحداثيين في اطراح ذلك النتاج بمرة، الحداثيين الشارطين للحداثة الانقطاع من القديم؛ فما بالك بمن لا يرون الحداثة كذلك! وهل هناك علم آخر يا حبذا لو يكون بديلاً له؟ أفضل ما يمكن أن يبدل من علم العروض الخليلي، هو كيان متداخل العناصر، يتشارك فيه العروض والموسيقى والأصوات والبديع، على أن تنهض سائر العلوم مثل هذه النهضة؛ فلا يختل الميزان؛ فيعرج البنيان! ولعل ما اجتهدت فيه من الجمع بين ذلك ونتاج النصيين فيما سميته "نظرية النصية العروضية"، أن يسد طرفا مما رجوته! ما رأيك في تعليم العروض لطلاب المدارس الثانوية؟ إن اللغة هي قلب الثقافة النابض، وإن الشعر هو عصب اللغة المشدود، وإن العروض هو روح الشعر الأصيل. وإن إهمال العروض

تماما من المرحلة التأسيسية التي يتفرق بعدها الطلاب، وربما لم يدرسوا اللغة مرة أخرى- لإخلال بمعالم الصورة الكاملة؛ فمن ثم أرى أن يدرس فيها عروض الشعر، وأدعي أنه إذا تيسر كان أحب من غيره إلى الطلاب، وأعون على تعليقهم بعلوم العربية وآدابها. ما رأيك في تجديد علم العروض أو الثورة عليه؟ ينبغي لنا دائما أن نثور على أنفسنا ونثور ما في أيدينا، وقديما قال ابن مسعود: "ثوروا القرآن" تثويرا، أي فجروه تفجيرا، وهي كلمة لم أجد في الإمكان أبدع منها! نعم، ينبغي ألا نكف عن الأسئلة التي لن يصمد لها علم جامد، وأن نشجع عليها تلامذتنا، وأن نجتهد في إجابتها، وأن نسلك إلى ذلك كل سبيل. ولا ريب في أثر المثاقفة في ذلك. ولكن ينبغي ألا ننسى ما ذكرته من قبل، من حاجتنا إلى النهضة الشاملة التي لا تتركنا عرجانا، نطول برجل، ونعجز بأخرى -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فعندئذ سنهدم هنا ما نبني هناك، ونناقض أنفسنا. والله أعلم وأعلم! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

- لو سألنا الدكتور جمال عن أسباب ضعف اللغة العربية، وكيف نعيدها لمجدها فما عساه يقول؟ رغد قصاب

- أهلا بك -ست رغد هانم- وسهلا ومرحبا! بارك الله فيك، وحياك، وأحيانا بك! فعلى أساس اليقين باختلاط اللغة العربية بأصول التفكير نشأة ونموا ونضجا، وتجذرها في قلب الثقافة العربية الإسلامية، وضمانها لوجودنا ولتواصلنا- نبني حياتنا وحركتنا ومشاركتنا لغيرنا في عمران الأرض، ونحرص على إصلاح شؤون أركان التدريس الأربعة (المقرر، والأستاذ، والطالب، والإدارة)، التي لا يستغني فيها ركن بنفسه عن غيره؛ فلن يتحقق لنا ما نريد بصلاح أحدها، ولا يعقل أن يتحقق. وقد سبق لي هنا أن أحلت على كتابي هذا الصغير:"رحلة البريمي **http://mogasaqr.com/?p=1834**، راجيا أن تتضح بتفصيلاته جوانب اضطراب كل ركن من هذه الأركان الأربعة السابقة؛ فلاريب في أهميتها لإصلاح واقع اللغة العربية، إضافة إلى ما تقدم من أن نحيا بها حياتنا الطبيعية، ونتعاون على صلاحها، من حيث نتفاوت في تحصيلها استعدادا وقدرة ومهارة؛ فلا يغنى أينا عن الانتصاح بنصيحة من يفوقه.

فساد أستاذ الجامعة

[على ذكر غضب المجتمع الجامعي المصري،

على إحدى أستاذات الجامعة المُتبذِّلات]!

وهل أستاذ الجامعة إلا ابن مجتمعه، مثلما كان الطبيب والنائب والقاضي والمحامي...

أفإن صار أستاذ جامعة انخلع من أصله وتحول!

لا، بل تظل فيه أصوله التي تتبدى كلما وجدت منفذا. فالكلام إنما ينبغي أن يكون في عموم التربية والتعليم والتدريب وتخطيط ذلك ومتابعته ومراقبته.

يذكرون أن السمكة تفسد من رأسها، يتوهمون أنهم إذا قطعوا رأسها سلم لأكلهم جذعها، وهيهات؛ فلو لم تتحول إلى الفساد السمكة كلها جذعا ورأسا ما فسد منها شيء؛ فمن ثم ينبغي أن تطهر لها بيئتها، ويصلح لها برنامجها كله.

زعموا أن سمكة أبًا أقبل يعلم ابنه كيف يتقي صنارة الصياد، قائلا: سيتدلى خيط دقيق فيه خطاف حديد فيه دودة مشقوقة فإياك أن تتشهاها فتلتقمها وإلا علقت بالخطاف وانجذبت إلى بر الإنسان وصرت إلى بطنه اللعين!

قالوا: وفي أثناء ذلك الشرح الصادق الحميم الوافي، هبطت عليهما شبكة لا صنارة، فأحاطت بهما، وضمتهما إلى غيرهما، وانجذب بها إلى بر الإنسان قليلا قليلا سمك كثير؛ قال السمكة الابن للسمكة الأب:

- أهذه هي الصنارة التي وصفت لي -يا أبي- وحذرتني؟

قال:

- "دي المصيبة اللي هتشيلك انت واللي خلفوك"،

قالها بالعامية المصرية!

في جنازة كريمة مختار،

رحمها الله!

إلى مسجد سيدنا عمرو بن العاص -رضي الله عنه!- الجامع نمشي من قديم كل جمعة أنا وأولادي؛ فنتنسم ذكرى الصديقين والشهداء والصالحين، وننتسب إلى سيد النبيين -صلى الله عليه، وسلم!- حتى صارت لنا به حال وفيه مقام ومقال.

واليوم (١٥/٤/١٤٣٨=١٣/١/٢٠١٧)، ركبنا إليه سيارتنا مضطرين بما نحمله، لعملٍ بعد الصلاة نعمله. وارتحنا إلى صاحب الرصيف الذي أوقفنا على رغم الزحام قبالة الباب الأكبر، فزحمتنا حشود مألوفة وحشود منكورة، ووجدنا بعضهم يستغرب بعضا، وإذا سر ذلك وفاة "كريمة مختار" الممثلة المصرية المشهورة، المأتيّ بها إلى هذا المسجد الجامع لتصلي عليها هذه الحشود التي لا يتسع لها غيره ولا يحظى بها.

أعرضنا عن المشتغلين بتفرس وجوه المشهورين، وتقدمنا إلى حيث تعودنا أن نصلي، ثم جلسنا نستمع إلى قارئ السورة الذي فاجأنا بقطعها وقراءة آيات النفس المطمئنة (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) [الفجر:

٢٧-٣٠])، طمأنة لأهل الراحلة وفيهم معتز الدمرداش ابنها الإعلامي المعروف، وأشرف زكي نقيب المهن التمثيلية- ثم نستمع إلى الدكتور أشرف مكاوي خطيب الجمعة، وكنا قد ميزناه بفطانة التفكير وفصاحة التعبير وعذوبة التنغيم.

اختار الخطيب أن يكلمنا في السعادة وسبلها؛ فمهد لذلك بأوهامها في خيالات متوهميها، وزيّفها، ثم ذكر أن السلوك إليها إنما يكون من سبيل الإسلام والإيمان والإحسان والرضا، واستطرد إلى مشاهداته بأوروبا، وثوّر ذلك كله بشواهده من قصص السابقين وحكمهم، وازددنا اعترافا له بتلك الفطانة والفصاحة والعذوبة!

صلينا الجمعة، وختمناها بما يتيسر من قبل صلاة الجنازة التي لم تنقطع عن هذا المسجد الجامع قط، لنتأخر بصفوفنا قليلا وتُقدم جنازات ثلاث نساء ورجل، متجاورة متجهة الرؤوس إلى يمين القبلة، ثم صلينا عليها جميعا بعد أن نبه الإمامُ الذي كان الخطيب نفسه، المصلين على ما ينبغي أن يعملوه، ورفع صوته في الصلاة هونا ما، ثم فرغنا، فتسنّنّا، وبادرنا الحشود قبل أن تغلبنا على الأبواب، وإذا هي قد تلبثت قليلا لمن آثر الراحلة المشهورة بدعاء يُتَلفز؛ وخلت لنا إلا قليلا بعض الأبواب الجانبية!

ولقد ندمنا على ما ركبنا، ولو كنا نعلم الغيب ما آثرنا على أقدامنا ركوبة مهما كانت؛ فقد سال بسيارتنا السيل، وماج بها موجه؛ فخفنا كل حركة، ويئسنا من الخلوص بأنفسنا، وجعل الناس يتفرّسون وجه هذا الجالس عن يمين السائق، اللابس ملابس سوداء مريبة، يبحثون فيه عن ملامح المشهورين، حتى تضجّر السائق؛ فنهره الراكب عن يمينه:

- ما لك، أنفَستَ عليَّ الشهرة، أم خفتَ أن أحظى دونك بأحد العقود الفنية!

قِرَب

كان الدكتور محمود محمد الطناحي أستاذنا وصديقنا عالم المخطوطات المحقق الجليل، في مجلسه من دار الكتب مشغولا بأحد المخطوطات، فإذا سرب فتيات قد أقبلن عليه:

- من فضلك والله ما تعرفش فين نهاية الإِرَب للنويري؟

-وهي "الأَرَب" أي الحاجة المهمة!-

فقال وهو الدرعمي الأصيل:

- نهاية الإِرَب! تبقوا جايين من عند السقا!

والسقا هذا هو الأستاذ المحقق الآدابيّ المعروف مصطفى السقا - وتنافس الدراعمة والآدابيين قديم مشهور- وقد استعمل الطناحي ما بين جناس التحريف اللهجي المصري للقِرب (أوعية المياه) إلى الإِرَب، وعمل السقاء الذي في اسم الأستاذ الآدابي، رحمهما الله جميعا، وطيب ثراهما!

قَصَصِيَّة البحث العلمي

حيلة من لا حيلة له الصبر؛ وما أكثر ما صبرت على الأبحاث العلمية الأفقية، التي تتجاور الفصول فيها ولا تتراكب؛ فلا يكون أعظم لديها من أن يستقل كل فصل من فصولها بقصد من قصودها، ثم لا شيء غير ذلك!

ألم يأن لهؤلاء الباحثين أن يعلموا أن قصودهم هذه الكثيرة التي يفرحون ببلوغها، يكاد بعضها يلغي بعضها، حتى إذا فرغ من قراءة أبحاثهم متلقوها، ونظروا في أيديهم لم يجدوا غير القصد الأخير من الفصل الأخير!

ألا فليعلم هؤلاء الباحثون أنهم مبتلون بجزئية منهجٍ لا علاج لها إلا توريد الأوراد اليومية من الأعمال القصصية، التي تشتمل على سلاسل متآخذة متكاملة من الأحداث المتنامية، التي تبدأ على نشأتها ثم تتصاعد إلى أزمتها ثم تتهابط إلى انفراجتها؛ فإذا فرغ منها متلقوها بقُوا في دوامتها وكأنما اتصلت بهم شحنتها الكهربية؛ فلا تدعهم حتى يتمغنطوا!

نعم؛ وما ألطف عجب أستاذنا الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف - رحمه الله، وطيب ثراه!- لأبحاث أحد تلامذته في غيرها من الأبحاث، كيف أزاله عنها بأنه يصطنع لها مثلما يصطنع الأفلاميون السينمائيون، يعدها مثلما

يعد الأفلام مؤلفوها، ثم يعالجها مثلما يعالجها سينارستوها وحِواريُّوها وممثلوها، ثم يراجعها مثلما يعيشها مشاهدوها!

قطة بنت كلب

كلب+قطة= قطة بنت كلب،

قط+كلبة= كلب مقطقط!

وراء اختلاف الأسلوبين رغبة المازح في توظيف ما في "بنت كلب" من سبّ، وما في "مقطقط" من تدليل، ولاسيما أنهما متناقضان؛ إذ القطة أحق بالتدليل من الكلب، والكلب أحق بالسبّ من القطة، بهذا جرت العادة، حتى إن الناس يدلّلون بقطة ويسبّون بكلب -وإن دخل رجلٌ الجنةَ في كلب، ودخلت امرأةٌ النارَ في قطة- ولكنهم قدموا حكم المُلْحة على حكم العادة!

قمر الصباح

– السلام عليكم، أخي المفضال الدكتور جمال صقر! لقاؤنا اليوم في قاعة المؤتمرات، هل توقيته الساعة ١٧، أو الساعة ١٩ ونصف مساء؟

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!

يا صباح النور،

على البنور،

على العصفور،

على الشجرة!

الافتتاح من ٧ إلى ٩ مساء،

بقاعة المؤتمرات،

التي كان فيها مؤتمرنا!

– شكرا على هذه المعلومات التي بالتقسيط المريح.

– حكم السن، يا أخي؛

قَدْ هَرِمنا،

واصلعَعْنا!

- أما الهرم فهو من قبيل هرم الحفناوي التونسي الذي أذاع خبر فرار زين العابدين حاكم تونس الأسبق. وأما الصلع فيُقرأ على أنه أمارة النبوغ. وبذلك تكون قد جمعت بين الحسنيين! وإن تزيدوا نزد.

- شَهادةُ الأحبابِ مجروحةٌ أحتاجُ أن يشهد أعداءُ

وليس أعداءٌ فما حيلتي يا ربِّ فليحيَ الأحبَّاءُ

وهذا شعر على الصبح؛

مرزوق، يا أخي، والله!

- طبيعة الشاعر غلابة، وسليقة اللغوي القح وضاحة!

ولا أزيد!

كبار منشدي الشعر العربي

حدثنا أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين -وقد كان عمل أول حياته بالتثقيف الإذاعي الإلقائي- عن الأستاذ عبد الوارث عسر، أنه كان يدعي بكتابه "فن الإلقاء"، ما لا يستحق، وكأنه ضجر به -وربما أحرجه وهو النجم الساطع، عن بعض تلك الأعمال- وللدكتور شاهين نفسه صوت أكبر من صوت الأستاذ عسر وأحسن، ولكن هيهات أن يقوم لأدائه!

لم يوهب الأستاذ عسر صوتا كبيرا حسنا، بل مهارة كبيرة حسنة بسياسة ما أوتي، وهو من الممثلين في هذا مثل عبد الحليم حافظ من المغنين، الذي ذكر عن نفسه في إحدى صَدقاته المعدودات، أنه صغير الصوت إلى قرينه محرم فؤاد الكبير الصوت الحسنه، فأشار -ونصدقه- أنه أمهر بسياسة صوته من محرم!

وقرين عسر من الممثلين حمدي غيث الكبير الصوت الحسنه، الذي شاركه في الأمسية المحمدية، ولكنه على عكس ما كان بين عبد الحليم ومحرم، فلج في الأمسية على عسر وغيره؛ فعجبت أن لم يتفرغ لإنشاد الشعر؛ فقد حيز له بحذافيره، ثم كفكفت من عجبي؛ فهو من مخضرمي المسرحيّين، الذين ملؤوا الدنيا بما لم ندرك من الأداءات الكبيرة!

وأعجب ما في حمدي غيث أنه بقي له صوته كبيرا حسنا طوال حياته، على حين أنكرنا أصوات غيره ممن ذاع لهم صيت، كالشيخ مصطفى إسماعيل من قراء القرآن، وعبد المطلب من المغنين، اللذَين كنت أعجب لتقدير الناس لهما تقديرا كبيرا، من حيث "أسمع صوتا، ولا أرى فوتا"، حتى طلع علينا "اليوتيوب" -أطال الله في النعمة بقاءه!- فإذا صوتاهما في شبابهما يتدفقان حين ينطلقان، من خلايا جسميهما كلها جميعا معا، وكأن الكائنات كلها تشاركهما في صوتيهما عندئذ من كل حدب وصوب، جميعا معا!

كذلك كان لمحمود ياسين صوت كبير حسن، أنطق به أعمالا كثيرة، ولكنني لم أقدره قدره حتى أعاد التلفاز المصري عرض مسرحية "ليلى والمجنون"، لصلاح عبد الصبور، وكذلك قدره زملاؤه، حتى سمعت بعضهم يذكر أنه أزال عنه التباس القاف بالكاف، بكلمة كأنها من حكم الأوائل: "الْكَافُ مِنَ الْفَكِّ، وَالْقَافُ مِنَ الْحُلْقِ"!

وقد استطاع الأستاذ فاروق شوشة صاحب البرامج الثقافية الشهيرة الخالدة، أن يقتحم على ذوي الأصوات الكبيرة الحسنة، حتى صار الإعلاميون يتبرَّكون بصوته، يأخذ هذا من أداءاته، ويستعمله ذاك في أداءاته؛ فملأ الدنيا وشغل الناس، وبجواره صوت أكبر منه وأحسن، طويل الصمت بمكتبه من قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة، لا يطلب حظا ولا

يرضى عن حظ، ولا يعرفه غير الصادقين من زملائه والنابهين من تلامذته والباحثين من غيرهم، صوت أستاذنا الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم، الذي أراد في صباه أن يقرأ للناس به القرآن، فلما لم يتيسر له زهد فيه!

وفي أثناء ذلك كله نشأ محمود درويش كما شاء، جسما رشيقا ووجها وسيما وقولا بليغا وصوتا كبيرا حسنا وثوبا أنيقا -تلك خمسة كاملة- فظلمهم، وعفّى على آثارهم، حتى صار هو المسرحية والممثلين، والمعزوفة والموسيقيين، والأغنية والمغنين؛ فوجب أن يُفرد بالنظر!

كبير حسن ولكن العربية أكبر وأحسن

خطر لي أَنْ لو سمعتُ مِنْ صاحبها قصيدةَ "جِداريَّة محمود درويش"، التي أقرؤها الآن (١٢/ ٧/ ٢٠١٨)، لازددت لها تحقيقا ومنها تمكنا، وإذا اليوتيوب -أطال الله في النعمة بقاءه!- قد اتسع قبل خمس سنوات (٢٠١٣)، لساعة وتسع عشرة دقيقة وثمان وعشرين ثانية (١,١٩,٢٨)، مرفوعٍ مسجَّل أمسية تونسية قديمة، أنشد فيها محمود درويش جداريته كلها؛ فقابلتُ المكتوبة بالمنطوقة، حفيًّا بما لم أعمله من قبل!

لقد وجدت المكتوبةَ حذفت إحدى وأربعين كلمة "سَأَصِيرُ يَوْمًا شَاعِرًا (...) سَأَصِيرُ يَوْمًا مَا أُرِيدُ"، من أوائل القصيدة، أضافتها المنطوقة- والمنطوقةَ حذفت ثماني وعشرين "مِنْ أَيِّ رِيحٍ جِئْتِ (...) وَيُوجِعُنِي الْوَرِيدُ"، من أوائلها، وأربعا وعشرين "يَا مَوْتُ يَا ظِلِّي (...) يَا مَرَضَ الْخَيَالِ"، ثم ثلاثا وأربعين "يَا مَوْتُ هَلْ هَذَا هُوَ التَّارِيخُ (...) وَتَذْرِفُ الْمَطَرَ الْمُقَدَّسَ"، من أواسطها، أضافتها المكتوبة- فعرفتُ هذه الخصلة الحيوية الكريمة المعروفة، أَلَّا يكُفَّ الشاعر ما دام حَيًّا، عن تكرار النظر في قصيدته، ولا عن تنقيحها وتهذيبها، ليكون أشدَّ الناس حيرةً بها، القائمون بعدَه على نشرها!

ووجدت المنطوقة عيَّتْ بخمس وتسعين ومئة كلمة "بَكَى الْوَلَدُ الَّذِي ضَيَّعْتُهُ (...) وَكَانَ الْحَالِمُونَ يُرَبِّتُونَ الْقُبَّرَاتِ النَّائِمَاتِ وَيَحْلُمُونَ وَقُلْتُ"، هي حوار السجين الفلسطيني العائد من منفاه والسجّان الصهيوني الخالف على السجن أباه- من أواخر القصيدة، سَكَتَ فيها مسجِّلُ المنطوقة، وهي في المكتوبة؛ فارتبتُ في تحرُّج الناشرين من المنطوقات الجريئة، أكثرَ من تحرجهم من المكتوبات!

ووجدت المنطوقة كذلك حذفت الفاء من "فَأَيُّنَا" في المكتوبة، والواو من "وَكُلَّمَا"، وكلمة "وَالْعَرَائِسِ"، وكلمتي "عَلَى مَهَلٍ"، وكلمتي "بَلْ لِتعَمْلَ"، وكلمة "الصَّغِيرِ"، وتكرار كلمة "فَوْقَ"، وكلمتي "والْبَكَارَةَ بِالْمُهَارَةِ"- فعرفتُ قصد إغماض الإيقاع عَمْدًا، الذي يلتبس بكسره ويبقي المتلقي منه على قلق! ومن ذلك نفسه إضافة الفاء إلى "فَاجْلِسْ"، و"يَا" إلى "وَيَا أَيُّهَا الْمَوْتُ"، وإلى "يَا أَيُّهَا الْمَوْتُ"- والوقفُ كثيرًا حيث لا وقفَ والاضطرارُ إلى قطع ما يلي الوقف من همزات الوصل!

ووجدت المنطوقة كذلك غَيَّرَتْ "يَصْنَعُنِي وَيَصْرَعُنِي" في المكتوبة إلى "يَصْرَعُنِي وَيَصْنَعُنِي"، و"الصَّحِيحِ" إلى "الْفَصِيحِ"، و"عَمَّا قَلِيلٍ" إلى "بَعْدَ قَلِيلٍ"، و"الْأُخْرَى" إلى "الْأُولَى"، و"الشَّفَقِ" إلى "الشَّبَقِ"، و"فَعَلَتْ لَنَا" إلى "فَعَلَتْ بِنَا"، و"عَنِّي" إلى "مِنِّي"، و"فَرَسًا" إلى

"فَرَسِي"، و"الْبَيْضاءِ" إلى "السَّوْدَاءِ"، و"أُوزِيرِيسُ" إلى "أُوزُورِيسُ"، و"أَعْرِفُ" إلى "يَعْرِفُ"، و"فاصْمُدْ" إلى "فَاصْعَدْ"، و"هَذَا الِاسْمُ" إلى "هَذَا الْإِسْمُ"، و"الرَّحِيلِ" إلى "الْغِيَابِ"- فعرفتُ جَذْبة الإيقاع، التي يغيب بها عن المؤدِّي الطَّروب أحيانا وجهُ التدقيق! ومن ذلك نفسه تغيير "هَوْدَجِك" إلى "هَوْدَجَك"، و"الْآنَ" إلى "الْآنِ"، و"أَمْ إِنَّ" إلى "أَمْ أَنَّ"، و"لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ" إلى "لَمْ يَعُدْ أَحدًا"، و"نُقْطَةَ الضَّعْفِ الْأَخِيرَةَ" إلى "نُقْطَةَ الضَّعْفِ الْأَخِيرَةِ"، و"جَلْجَامِشَ" إلى "جَلْجَامِشِ".

ووجدت المنطوقة كذلك حرفت "وَاسِفِكْ" في المكتوبة إلى "وَاسْفُكْ"، و"تَخَطَّفَ" إلى "تَخْطُفُ"، و"زَهَقْتَ" إلى "زَهِقْتَ"، و"مَلِلْتِنِي" إلى "مَلَلْتِنِي"، و"أَمْلِكُ" إلى "أَمْلُكُ"، و"نَكْبَرْ" إلى "نَكْبُرْ"، و"الذَّهَابُ" إلى "الذِّهَابُ"، و"الزِّفَافُ" إلى "الزَّفَافُ"، و"تَكْرَار" إلى "تِكْرَار"، و"شَهَادَة" إلى "شِهَادَة"، و"الْعَلَاقَة" إلى "الْعُلَاقَة"، و"عَلَاقَتنا" إلى "عِلَاقَتنا"، و"وَحدَة" إلى "وِحدَة"، و"الْمُنَاخ" إلى "الْمَنَاخ"، و"مَقْعَدِي" إلى "مِقْعَدِي"، و"رَعْوِيَّة" إلى "رَعَوِيَّة"، و"الشَّمَال" إلى "الشِّمَال"، و"شَمَالِيَّة" إلى "شِمَالِيَّة"، و"النُّعْمَان" إلى "النِّعْمَان"، و"جُمَّيْزَة" إلى "جِمِّيزَة"، و"الْكَتَّان" إلى "الْكِتَّان"، و"جُغْرَافِيَا" إلى "جِغْرَافِيَا"، و"هِيرُوشِيمَا" إلى "هَيْرُوشِيمَا"،

وهربت من فصيح نطق الأعداد "١٤٠٠ مَرْكَبَةً وَ١٢٠٠ فَرَسٍ"، و"٧٥ سَنْتِيمِتْرًا"- فعرفتُ سَطْوة الأخطاء المشهورة، التي فضَّلها بعضُ اللغويين مُخطئًا، على الأَصْوِبة المهجورة؛ فجعلت تفضيله هذا من الفسوق اللغوي الذي ينبغي أن يستتاب عنه! ومن ذلك نفسه ترقيقُ بعض الأصوات المفخمة، كخاء "الخَاسِرين".

كيف اتخذت قرار الذهاب للتحرير؟

ينبغي أولا أن أشكر السائلة على عنايتها بأخبار مصر والمصريين، ولاسيما أننا جميعا نعيش الآن في مجتمع دولي صغير وثيق التواصل ينفعنا فيه ما ينفع غيرنا ويضرنا ما يضرهم ما دامت ميولنا إنسانية أخوية طبيعية لا حيوانية عدوانية شاذة.

ثم ينبغي ثانيا أن أصرح لها بأن ما أذكره لها هنا يعرفه الكبير والصغير في مصر وجامعاتها لا يخفى على أحد ولا يخفيه أحد.

ثمت ينبغي ثالثا أن أصرح لها بأننا لا نرفض مبادرة غيرنا إلى الاقتراح علينا ما ينفعنا في حركتنا الثورية الإصلاحية، ولا نعده من تدخله فيما لا يعنيه الذي يجعلنا نسمعه ما لا يرضيه كما يفعل الخبثاء المتخلفون بل نعده من معالم تلك الميول الإنسانية الأخوية الطبيعية.

ثمت ينبغي رابعا أن تعلم أننا لا نقبل أن تتجاوز تلك المبادرة الإصلاحية حدود الاقتراح إلى المشاركة في أعمال التغيير الحقيقي؛ إذ نحن جميعا نؤمن بأن التغيير الخالص الصادق إنما يكون من الثوار أنفسهم لا من غيرهم وإنما ذكرت الثوار لأنه ينبغي أن يتبنى المصريون جميعا مبادئ الثورة الإصلاحية ويعملوا بها ولها.

- تسألينني: كيف اتخذت قرار الذهاب للتحرير؟ هل أنت راض عن وضع مصر؟ ما مدى تأثير الثورة فيك؟

- كنت أغري الشباب بالخروج على النظام وأنا في مكتبي حتى لقد كتبت في ذلك قصيدة دعوت فيها إلى قتل الحاكم الغاصب الذي لم يحظ بقبول محكوميه ثم أحسست بتقصيري عنهم وأن حضوري تعبير مهم عن إيماني ومشاركتي. لم أكن راضيا عن وضع مصر قبل الثورة، وأعرف أن وضعها بعد الثورة لن يستقر سريعا؛ فما زال أمامنا عمل كثير، يحتاج إلى تعميم مبادئ الثورة، وإشراك المصريين جميعا. ابتهجت بحدوث الثورة ثم باستمرارها ثم بما أنجزته من نجاحات وأطمح إلى تغيير نفسي وما حولي ومن حولي بما يناسب مبادئها، لتصل إلى مطامحها؛ فأنا مؤمن بأن "الله لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم"، صدق الله العظيم!

- تسألينني: ما أحسن العصور التي مرت بها مصر من وجهة نظرك؟ صفه.

- عصر ولاية عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما!- فقد كان عصر تغيير ثوري كامل، تحولت به مصر من ظلام الظلم إلى ضياء العدل.

- تسألينني: هل أنت راض عن آخر عشر سنوات؟

– لا لست راضيا وليس في مصر الآن شخص واحد يمكن أن يكون راضيا عن هذه السنوات العشر الأخيرة المتدهورة إلى غياهب قاع الزمان بل يختلفون فيما سواها أما هي فلا اختلاف على أنها كانت من الفساد والضياع والانهيار بحيث انهار بها النظام الفاسد البائد.

- تسألينني: ما سبب اشتراكك في المظاهرات رغم حسن حالتك المعيشية؟

– ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط! ثم حسن حالتي المعيشية حسن نسبي وغير شامل! فأنا أطمح إلى حياة جديدة باسمها أتنسم فيها نسيم الحرية والعدل والإبداع العام الشامل المستمر ولم تكن بعد.

- تسألينني: هل أنت راض عن وظيفتك في جامعة القاهرة؟ ما المشاكل التي تواجهك في الجامعة؟ ما مطالبك لها؟

– أنا مغرم بعملي، عن موهبة حقيقية، وعن اجتهاد فردي منظم قوي مستمر. ولكن نظام التعليم المصري العام بمستوياته كلها العادية والعالية نظام فاسد كغيره؛ ولم يكن يمكن أن يكون في ظل النظام البائد إلا كذلك! ولو لم يكن كذلك لم يخرج خريجين جهلة يرضون بالظلم والفساد ويشاركون فيهما. ومن ذلك ما أواجهه بجامعة القاهرة نفسها

من فساد الإدارات الباقية من العهد البائد التي تفكر بعقل ذلك العهد فلا تخلص النية ولا تجتهد في سبيل الإصلاح ولا تقبل المخلصين المجتهدين المبدعين بل تراهم خطرا عليها. وأطالب المجلس العسكري ورئاسة الوزراء في شأن الجامعات بخمسة المطالب الأولية الآتية: إقالة إدارات الجامعات والكليات الباقية من العهد البائد -ولو كانت صالحة- ومنعها من توليها لأول مرة بعد التغيير، وإتاحة توليها بعد ذلك. استحداث إدارات مشهود لها بالكفاية والخبرة والنزاهة والأمانة وسعة الأفق. إحاطة الإدارات المستحدثة من إجراءات التخطيط والمتابعة والرقابة، بما يعينها على عملها، ويحميها من الفساد والإفساد. إشراك جميع أعضاء هيئات التدريس والهيئات المعاونة التي تدير أمورها هذه الإدارات، في أعمال التخطيط والمتابعة والرقابة. منع استمرار الإدارات مدة أخرى متصلة بالمدة المنقضية، وإتاحة توليها بعد تولي غيرها، استثمارا لما يكشفه اختلاف الإدارات. وأوصي نفسي وزملائي، برفض كل إجراء يعطل تلك المطالب، بكل وسيلة رفض ممكنة لكل واحد منا، من الرفض الاعتقادي، إلى الرفض القولي، إلى الرفض العملي.

- تسألينني: كنتم تذهبون كل جمعة إلى التحرير ما حالة نقاشك مع زملائك هناك في هذا اليوم؟ كنا مجتمعين على كلمة واحد: الشعب يريد إسقاط النظام!

- وكنا نتقوى بالخطب والأشعار والقصص التي تذكرنا معاني الحرية والعدل والتغيير أو تمثل لنا فساد النظام الحاكم رجالا وأعمالا.

- تسألينني :لم أنجبت كثيرا؟ هل تستطيع الإنفاق على عائلتك مقارنة بالصينيين؟

- لدي خمسة أبناء أحس أنهم عدد طبيعي لا قليل ولا كثير وقد وفقت إلى تربيتهم بحمد الله وشكره إلى الآن ماديا ومعنويا وأسأل الله أن يتم علي نعمته بهم. وأرى أن عدد الصينيين الكبير هو نعمة الله الكبرى التي ينبغي أن تتقبلها الصين بقبول حسن فتحسن رعايتها وتوجيهها لتظل على مكانتها وتستمر إلى مستويات أعلى وليس الصينيون بأقل من اليابانيين الذي يفتخرون في كل مكان بأن اليابانيين هم ثروة اليابان الحقيقية فالصينيون هم ثروة الصين الحقيقية والمصريون هم ثروة مصر الحقيقية ومن فساد النظام المصري البائد جهله بقيمة هذه النعمة واشتغاله بالصراخ من تزايد العدد عن رعايته وتوجيهه إلى العمران.

لحن العمل

دُعيت اليوم إلى نظم أغنية أطفالية تربوية، فنَظمتُ من فوري هذه الأبيات؛ فأُنكر عليّ أن يفهمها الأطفال، فزعمتُ أنهم إنما يتعلقون بلحنها – إذا جادَ– أولَ ما يتعلقون، ثم بعدئذ يكون ما يكون!

إذا ما الفجر نبهني وأنهضني وأنعشني

ونوَّرني الوضوء العذب مثل الشمس للوطن

سجدت على بساط الله ملءَ الروح والبدن

سعيدا من رضا أبويّ محظوظا من المِنَنِ

ورحت أحاسب الدنيا على ما كان من فتنِ

أصون منابع الطاعات أَردِم حفرة الأَسَنِ

لَوْعَةُ الْفَقْدِ

(نثر الشعر شعر النثر)

أَغارُ عَلَيْك مِنْ شَوْقِ الطَّرِيقِ وَمِنْ حَنَانِ الْبَيْتْ

مِنَ الصَّوْتِ الَّذِي أَشْجَاكِ وَالْأُذْنِ الَّتِي أَشْجَيْتْ

مِنَ الْحُزْنِ الَّذِي أَبْكَاكِ وَالْعَيْنِ الَّتِي أَبْكَيْتْ

أحمد بخيت

رُبَّما ظَنَّتِ الْحَبِيبَةُ بِحَبِيبِهَا الظُّنُونَ؛ فَقَدْ تَقَلَّبَتْ بِهَا أَحْوَالُ الْحَيَاةِ شَوْقًا وَحَنَانًا وَشَجْوًا وَشَجًى وَحُزْنًا وَحَزْنًا، وَلَمْ تَجِدْهُ عِنْدَهَا يُؤَلِّفُ لَهَا بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَيُقَرِّبُ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، وَيَقِفُهَا عَلَى الْحِكْمَةِ الْوَاحِدَةِ الْكَامِنَةِ فِي أَعْمَاقِهَا.

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَمَّلْ فِكْرَةَ أَنَّهَا شَخْصٌ آخَرُ غَيْرُهُ؛ وَتَعَلَّقَ بِأَنْ يَحُلَّ فِيهَا وَيُمَازِجَهَا، حَتَّى يَكُونَ رُوحَهَا الَّتِي تُؤْمِنُ، وَجِسْمَهَا الَّذِي يَعْمَلُ، وَنَفْسَهَا الَّتِي تَتَرَدَّدُ بَيْنَ رُوحِهَا وَجِسْمِهَا صُعُودًا وَهُبُوطًا؛ عَسَى أَنْ يَتَعَاوَنَا مَعًا عَلَى الْحُبِّ، وَيَسْتَقِرَّا فِي جَنَّتِهِ.

لَوْم

لأمر ما تجافى الدكتوران عبد الواحد علام وأبو همام عبد اللطيف عبد الحليم -رحمهما الله، وطيب ثراهما!- فلما طال ذلك واستثقله أبو همام سبق إلى صاحبه يلومه:

- أترانا مخلدين، ألن نموت، أليست حياتنا أقصر من أن يستهلكها خصامنا!

قال أبو همام متعجبا:

- فاضطرب لكلامي اضطرابا شديدا، وعاد إلى صحبتي أكرمَ ما كان قط وأَحبَّه!

مجمعية

بمكتبي من قسم العربية بآداب جامعة السلطان قابوس كلمني في شهر أكتوبر من عام ٢٠١٢، الدكتور عبد العزيز الحربي أستاذ البلاغة القرآنية بكلية اللغة العربية من جامعة أم القرى، يدعوني إلى مشاركته في إقامة موقع "مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: http://www.m-a-arabia.com"، وإلى النيابة عنه في رئاسته، ذاكرا أنه طلب من يسدُّ هذا المسدَّ، فدُلَّ عليّ.

قبلتُ الأولى دون الثانية اعتذارا بأعمال تفنى دونها الأعمار. ثم هجمت بمقالاتي ونصوصي حتى ذكر لي الدكتور الحربي نفسه أنهم صاروا يسمونه مجمع الدكتور صقر! ولم أخفف من هجومي ذاك حتى خافوا ألا يستمر؛ فطلبوا إليّ؛ فتخففت!

ثم صارت للمجمع مجلة علمية محكمة، شاركت فيها، وتفضل علي الدكتور الحربي بأن نص على غلافها أنني محررها، ولم أكن غير مشارك فيها؛ فاستعفيته من ذاك، فأعفاني.

ثم ها المجمع ذا قد بلغ زواره عشرات الملايين، وها مجلته المحكمة ذي قد بلغت أعدادها الستة عشر، إلى عشرات الإصدارات المختلفة التي ينشئها

أو يتبناها ويرعاها لتصل إلى متلقيها ورقية ورقمية، ثم ها أنا ذا قد صار لي موقعي الخاص المورود: **http://mogasaqr.com**.

ولكنني مهما وجدت من توفيقه لم أستغن به عن موقع المجمع العام الغني الهادر السخي الهامر؛ فلله الحمد عليهما والشكر!

مَحَبَّةٌ

في رحلته إلى عُمان عام ٢٠٠٤، أستاذا مشاركا بقسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس- احتاج أخي الجزائري الحبيب البروفيسور حواس مسعودي، إلى السفر عن طريق القاهرة، ثم اتسع له بها وقت استحسن أن يزور فيه حي الأزهر والحسين.

قصد الحي بأسرته في سيارة أجرة يقودها شاب صَموت، سأله عن مقصده، ولولا حاجة في نفسه ما سأله عن بلده؛ فلما عرف أنه جزائري سأله عما يريد بزيارة الحي، وماذا يريد غيرها؛ فارتاب فيه أخي -وليس أسوأ من سُمعة سائقي سيارات الأجرة- واستكفاه بإيصاله إلى ساحة الحي.

عندئذ قال له السائق الشاب: أستطيع أن أحملك وأسرتك إلى كل مكان تريدونه من الآن إلى الثانية عشرة مساء، مجانا!

فدهش له أخي قائلا: كيف هذا! إن وراءك لسرا!

فقال السائق الشاب: رحم الله أبي؛ قال لي -وكان قد عمل بالجزائر مدة-: كل ما نحن فيه من خير فمن الجزائر؛ فإذا صادفت منها أحدا فاخدمه مجانا، فهذه وصيته، وأنا أنفذها!

فقال له أخي: رحم الله أباك، وبارك فيك! يكفيني كلامك هذا، ولابد أن أوفيك حقك!

ثم قال لي: لو يعلم المصريون ما لمصر في قلوب الجزائريين لقدّسوهم!

محمد مكين

لا ينسى أساتذة اللغة العربية الصينيون بجامعة بكين، أن أستاذهم الصيني المسلم الأجل الأكبر كان خريج كليتنا دار العلوم بجامعة القاهرة لسنة ١٩٣٩م!

ولما لقيتهم هناك أهديتهم تقويم كليتنا، وفي مجلده الأول القيم صورة أستاذهم وكلمة عنه، واستمهلتهم قليلا حتى أفاجئهم بذلك، ولكنني لم أكد أقارب الصفحة حتى سبقني الدكتور فو جي مينغ (أمين المذكور في المقال الملحق: تبحث عن محمد مكين؟ وضيع علي المفاجأة المتوهمة!

رحم الله الدكتور محمد مكين مترجم معاني القرآن الكريم إلى الصينية، ومؤسس قسم اللغة العربية بجامعة بكين، ومترجم الرئيس ماو تسي تونج الزعيم الصيني الخالد! كم كانت بهجته بتلامذته هؤلاء ستكون، وهو يراهم أحرص على اللغة العربية من العرب!

المستشارة غير المؤتمنة

لا عجب أن تنطلق الْمُسْتَشَارَة غَيْر الْمُؤْتَمَنَة بثقتها المطمئنة التي لم يملك معها مذيع البرنامج العام في الثانية من ظهر ١٩/ ٦/ ٢٠١٢م، إلا أن يوافقها ويُخْلِي لها كلامه مما كان فيه من آثار مخالفتها، ويثني على وَثَاقة وطنيتها وثَقَابة رؤيتها!

- لقد ادعت الْمُسْتَشَارَة غَيْر الْمُؤْتَمَنَة أنه ينبغي قبول الإعلان الدستوري المكمل -صرنا نسميه الإعلان غير الدستوري المكبِّل- من غير استفتاء، لسبق قبولنا مثله، وليس لمجلس الشعب نفسه أن ينظر في الشؤون الدستورية؛ فما هذا الإعلان (غير الدستوري المكبِّل)، إلا دستور صغير.

- ولا أدري كيف يُحتج لإقناع شخص بالضرر، بأنه قَبِلَه مِنْ قَبْل! أهكذا يحتج المستشارون والمستشارات! قد خاب إذن من استشار! ولقد ينبغي أن يُذكر هنا أن قبول ما سبق إنما كان على رغمنا، لاختلافنا، وانخداعا بدعوى حماية العسكري للثورة!

- ادعت أن الثورة إنما قامت لتغيير النظام لا لهدم الدولة المتمكنة من عهد محمد علي، وأن هذا الإعلان (غير الدستوري المكبِّل)، يحمي بناء الدولة ممن يريد هدمه ليبنيه على أساس آخر مريب!

– وكذلك لم تقم الثورة ليحصل العسكري دون الشعب مكاسبها –ولا أدري كيف تستبيح لنفسها التحدث باسم الثورة!– ثم ماذا بعد تغيير النظام من معاني الهدم، تمهيدا لما في النظام الجديد من معاني البناء! ثُمَّتَ إلامَ تستعبدنا المزاعم البائدة عن دولة محمد علي الحديثة! أية حداثة في الاستعباد والخضوع والاتباع الأعمى!

- ادعت أن تحديد صلاحيات الرئيس القادم تَصَرُّفٌ قانوني منطقي مطلوب؛ فلم يعد مقبولا أن تكتمل الصلاحيات في يد الرئيس، ولا سيما قرار الحرب!

– وماذا عن اختصاص العسكري نفسه في غيبة الجهات المعنية، بالميزانية والتشريع والتنفيذ...إلى آخر ما يخطر ببالنا من صلاحيات الرئيس المنتظرة إصلاحاته الفورية، أتراها كانت ترضى للمخلوع وأسرته مثل هذه الرئاسة المرؤوسة!

- ادعت المُسْتَشَارَة غَيْر المُؤْتَمَنَة أن ما اجترأ عليه بعض القانونيين المنخدعين أو المغرضين، من نقد هذا الإعلان (غير الدستوري المكبِّل)،

ما هو إلا انقلاب على القضاء لأغراض سياسية خبيثة، ما كان ينبغي لهم أن يورطوا فيه أنفسهم؛ فإن وراءهم تاريخا لن يرحمهم، ولن يعمى عن مشاركتهم في هدم بناء الدولة.

- وهذه عَثَرات لسان العهد البائد، قد أبت إلا أن تتسرب من خلال شقوق كلام الْمُسْتَشَارَة غَيْر الْمُؤْتَمَنَة على رغمها! أترهبنا بعدما أطحنا بعهدها البائد! لا ريب في أن التاريخ الذي تقصده هو رجوع العسكري إلى صباه! ولكن كيف!

"وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ"!

المسجد الأردني العالي

أمس (٢٠/٨/٢٠١٦)، قال لي أبو عمر سائق فندق عمّان إنتركنتننتال الأردني، في أواخر حديثه عن كل ما مررنا به في طريقنا إليه، من مطار الملكة علياء الجديد البديع إلى حي تلاع العلي الجبلي العجيب:

- وهذا مسجد آل العساف على مرقبة قريبا من الفندق، يمكنك أن تأتيه صابرا وتذهب عنه شاكرا!

ثم فرغنا اليوم من أعمال دورة مراجعتنا المعجمية الدولية بين العصر والمغرب، فأُبتُ إلى غرفتي، فتَحمّمتُ، وارتحت قليلا، ثم لبست ملابسي الرياضية، وتوكلت على الله!

ما لرجليّ السريعتي السعي قد اثّاقلَتا إلى الأرض، كأنهما لخصم عنيد ينازعني إياهما وأنازعه!

لا بأس، لا بأس!

لا بأس، ولا يأس!

رِجليّ هذا المسجدُ المستعِلي

هيّا اسعيا من أجله لا أجلي

قد حثّتِ المغربُ من يصلِّي

إن تَبلُغاه تدخلاه قبلي

لا بأس بالمكر لِعطف الأهلِ

أدركت المغرب من الركعة الثانية، ثم تمهلت أتأمل المسجد ومن فيه، ثم ذهبت عنه.

ما لرجليّ اللاصقتين بالأرض من قبل، قد أوشكتا أن تتدحرجا عليها، حتى لربما كان الصعود أسلم من الهبوط!

رجليّ هذي حكمة المُجلِّي

لا تكرها ما يَبتلي من شُغلِ

فرب خِفٍّ مُثقِل وثِقْلِ

والمجدُ في قِمة جهْدِ الوعلِ

والهَدم أَوْحى من خداع السَّيْلِ

مشروع

ارتحنا صباح اليوم الثلاثاء (١٠/٤/٢٠١٨)، لمناقشة نتائج بحث تلميذنا العماني النجيب أحمد الراشدي في أدب الطفل. وبعد أن أثنيت عليه بما أعلم أقبل يثني عليه كذلك البروفيسور أحمد يوسف بن غدور أخي الجزائري النبيه الحبيب، بما يحمله من...،

وتلبَّث هُنيهة؛ فقلت:

- ...مشروع؛

فتلبَّث أخرى؛ فقلت:

- ...هَمّ؛

فرجع يعيب عليّ كلمة "مشروع"، بأنه إذا ذُكرت كلمة "مشروع" خطر لنا المدعون الدجالون!

فابتسمت قائلا:

- حظّك أن لم تلق من أصحاب المشاريع إلا المدّعين الدجّالين، أما أنا فقد لقيت أصحاب المشاريع العظيمة والهمم الكبيرة!

فاشتعل الحاضرون ضحكا!

مُظْهِرُ الخُافِي

حوار سالم الجابري

http://2015.omandaily.om/?p=234896

الدكتورُ محمد جمال صقر كاتب وأديب ولغوي، أستاذ بجامعتي القاهرة والسلطان قابوس، تلميذ الأستاذ محمود محمد شاكر شيخ العربية - رحمه الله، وطيب ثراه!- صاحبُ نظرية النصية العروضية، ذو النشاط الملحوظ على صفحات شبكة المعلومات، ولا سيما موقعه:

www.mogasaqr.com،

هو ضيف حوارنا هذا في جانب من نشاطه العلمي.

- من خلال أحدث أعمالك أرجو إطلاع القراء على أشغالك أستاذًا في الجامعة؟

- الإشارة إلى أحدث الأعمال توحي بأن يكون الأستاذ دائم العمل، تنقسم أعماله على أقدم وقديم وحديث وأحدث. معنى هذا أنه في عمل مستمر، وهذا هو المأمول من أستاذ الجامعة. في هذا السؤال تنبيه على هذا المعنى – ولا شك – فإن الأستاذ ينبغي ألا يخيب فيه ظن القراء. وأنا لدي أعمال كثيرة، ولكنني سوف أشير إلى أحدثها أو إلى آخرها تمامًا؛ فأنا أعمل عن طيب خاطر وسعادة، وأشارك في الحياة الثقافة

العمانية، ولا أكتفي بأنني جئت إلى هنا للعمل وتحصيل المال والعودة إلى بلادي، لا، أنا أرى أنها فترة لا تعوض، من عمر الإنسان، أنا أتيت إلى هنا في عنفوان شبابي، وفي غمرة قوتي وفتوتي؛ فكيف أضيع هذا الوقت! لا يمكن. لهذا أشارك في الحياة الثقافية العمانية؛ فهذا العمل من اهتماماتي، وهو تحقيق إحدى المخطوطات العمانية لأحد أهم علماء عمان، وهو كتاب «مظهر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي» لسعيد بن خلفان الخليلي، الذي ولد سنة ١٨١١م وتوفي سنة ١٨٧١م.

- أظن أن توضيح مفردات عنوان الكتاب سيدل القراء على مفردات مضمونه؟

- هذا صحيح فعنوان الكتاب عنوانه طريف: «مظهر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي»! ما معنى أن تنظم الكتاب؟ أن تحول الكتاب إلى شعر حتى يسهل على الطلاب حفظ معلوماته، وهذه طريقة ما زال العمانيون مفتونين بها إلى الآن على اختلاف تخصصاتهم. تجد الطالب أو الأستاذ إذا أراد حفظ بعض المعلومات نظمها في شعر؛ فتحويل المعلومات إلى عبارات منظومة تحفظ، ظاهرة معروفة، ولا سيما في عمان، وما زالت. و«الخافي» تعني الغامض؛ فالعنوان كأنه

يقول: أنا مظهر الغموض؛ فهذا تفسير العنوان الذي يدل فعلاً على مجال الكتاب؛ فالكتاب في علم العروض الذي ابتكره الخليل بن أحمد العالم العماني الرباني القديم الجليل.

- ما موضوعات هذا الكتاب؟

- صحيح أن السؤال السابق يشير إلى المجال، ولكن المجال شيء والموضوعات شيء آخر؛ فالموضوعات فيها تفصيل، وهي موضوعات علم العروض الذي يتكلم في أوزان الشعر وقوافيه وقضاياهما. والمطلوب من هذه الموضوعات أن يفهم متعلمه عمل الآخرين حين يقدمون له الشعر، وأن يستطيع أن يقول مثل ما يقولون، لماذا؟ لكي يستطيع محبو علم الشعر أن يميزوا صحيح الشعر من خطئه، ويستطيع محبو فن الشعر أن ينظموا ويسيروا على منواله وينجحوا، كما في أي مجال. والأوزان هي بحور الشعر الستة عشر المعروفة، ولها مقدمات نظرية قبلها، ينتقل بعدها إلى البحور بحرًا بحرًا، حتى إذا ما انتهى انتقل الى علم القافية.

والقوافي مسائل خاصة بأواخر الأبيات، وهي أهم أجزاء الأبيات؛ فلها إيقاع خاص وعناية خاصة، يجنّبها علماء العروض

جانبًا، ويعتنون بها عناية خاصة، وفيها قضايا متعددة مختلفة: أجزاء القوافي وألقابها ومحاسنها ومساويها....

- ما طبيعة عملك بهذا الكتاب؟

- عملي التحقيق، ولست محققًا محترفًا -وإن سبق لي هنا في عمان خاصة، أن حققت بعض الأعمال؛ إذ حققت ديوان الكحالي من صحار- ولكن لي تجارب في نقد التحقيق، وقرأت في صنعة التحقيق كثيرًا، وما ينبغي للمحقق أن يلم به من الثقافة العربية والإسلامية؛ فالتحقيق هو تقديم الكتاب القديم الذي لم يخرج من قبل إلى الناس، في طباعة حديثة، على ما أراد صاحبه، بالإمكانيات الحديثة التي تفيد القارئ المعاصر. وهذا العمل مركب: تدقيق وتصحيح وتوثيق وفهرسة...، وغيرها.

- ما أهمية هذا الكتاب في سياقه العلمي؟

- أهمية هذا الكتاب من أهمية صاحبه الخليلي نفسه عند العمانيين وغير العمانيين والتراث العماني الأصيل والتراث العربي والعرب أجمع؛ لأنه كتاب عربي، وتراثنا العربي هو الدم الذي يتدفق في عروقنا، كيان متصل تزيده الأيام تمكنا وضخامة وجلالة. ومن هذه الجهة تعتني به وزارة التراث والثقافة، ولاسيما قطاع التراث منها.

فأهمية الكتاب من أهمية الفائدة التي يقدمها، ومن حرص المتلقين على هذه الفائدة؛ فهو ينتمي إلى علم العروض، وأهميته من أهمية علم العروض؛ فأهم شيء في الشعر عروضه، والشعر هو عصب اللغة العربية؛ فالعناية بالشعر أهم مظاهر العناية باللغة العربية، والعناية بالعروض أهم مظاهر العناية بالشعر.

- من المستفيدون من هذا الكتاب؟

- هذا الكتاب متخصص؛ فالمستفيدون هم طلاب علم عروض الشعر المبتدئون، وطلاب فن نظم الشعر، وهم من عموم المثقفين؛ وهنا ثلاث مراحل معروفة من مراحل الطلب: مرحلة المبتدئين، و مرحلة المتوسطين و مرحلة المتقدمين. لقد كان كتابنا من كتب المبتدئين، ولكن بعد الإضافات التي أضيفت إليه يمكن أن يكون لمرحلة المتوسطين؛ إذ ارتفعت قليلا درجته. والعروض روح الشعر، والعمانيون معنيون بالشعر كثيرا؛ ولا غنى لأحد عن أن يعرف حكاية العروض؛ فالاستفادة نوعان: التأهيل لفهم أعمال الآخرين، أو التأهيل لعمل مثل أعمالهم.

- بماذا تنصح من يقرأ هذا الكتاب؟

- عندي نصيحة قديمة محفوظة لمن يريد أن يتعلم العروض، تقول: ينبغي لدارس علم العروض أن يكون قد تعلم شيئًا من علوم العربية، لينجح بناء علم العروض على ضبط النطق وعلى ضبط اللحن؛ فلا جمال عروضًا لحنيًا إلا على أساس لغوي صوابي.

كذلك أنصحه بأن يستفيد من فهارسه؛ فمفتاح كل كتاب فهرس جامع كما كان محمود محمد شاكر -رحمه الله- يقول ويكتب على وجوه أغلفة كتبه؛ فقد جزّأت الأفكار وعنونتها بين يدي فَهْرَسَتِها للقراء، جمعًا واستيعابًا وتيسيرًا.

مع الأستاذ محمود محمد شاكر

في نعيه وجنازته وعزائه

من عرب مطير بأسيوط من صعيد مصر، زارني بمنوف من محافظة المنوفية بشمال مصر مساء الخميس ٤/ ٤/ ١٤١٨= ٧/ ٨/ ١٩٩٧- أخي الحبيب الأستاذ الدكتور فرحان المطيري؛ فابتهجت به مثلما أبتهج بالعيد السعيد، وبما قدرت أن نشتغل به معا من شجون الفن والعلم والأخبار والأحلام والأوهام.

تجالسنا بمكتبتي الناهضة المتكاثرة التي أنشأتها سنة ١٩٩٠، وأقبلت أبثه ما عندي من ذلك متشوفا إلى ما عنده، ولكنه صمت متثاقلا كالضائق المتحرج، ثم لم يملك لعجزه عن مشاركتي إلا أن يعتذر إليّ بخبر سيئ عرفه وهو على مدخل منوف وعجز عن أن يكتمه عني حتى يفرغ من زيارتي، وإذا هو وفاة محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا -رحمه الله، وطيب ثراه!- وأنه سيُصلَّى عليه من الغد، ويُعزَّى فيه مما بعد الغد.

هاتفت أم فهر -رحمها الله، وطيب ثراها!- واستوثقت من ذلك كله، ثم بقيت ليلتي مع أخي أتلدَّد على أستاذي، حتى إذا أصبحنا خرجنا من البيت

معا ولم نكد نتجالس على بعد المقام وتعلق القلب وطول الفراق وتطلع النفس، فآب هو مضطرا إلى أسيوط، وسافرت أنا إلى القاهرة.

أدركت أواخر الصلاة على أستاذنا، وعجبت للمحتشدين في المسجد كيف يقومون ويذهبون ويجيئون وأمامهم نعش محمود محمد شاكر؛ سبحان الذي أخفاه عنهم واستأثر به! ثم أقبلت أحمله في الحاملين الذين عرفت منهم: فهر محمود محمد شاكر، ومحمود الربيعي، ومحمد أبو موسى، ومحمود محمد الطناحي، وأبا همام عبد اللطيف عبد الحليم...

جعلنا النعش بسيارة المسجد لتتقدمنا إلى مقابر آل شاكر من القاهرة، وتبعناها بسياراتنا، وكنت مع الدكتور محمود محمد الطناحي بسيارته خلف الدكتور محمد أبو موسى الذي كان ابنه هو الذي يسوق به على مهل خوفا من إضلال الطريق ونحن وراءه على مهله.

أذكر أنني حين وصلنا لمحت اسم الشيخ عبد الحميد كشك -رحمه الله، وطيب ثراه!- على قرابة ثلاث مقابر دون مقبرة آل شاكر. ثم دخلنا فإذا فضاء مسوَّر خاوٍ إلا من شجرات على أطرافه؛ فعجبت: هل سنحفر له على السنة كما لم يعد أحد بمصر يفعل! وإذا الحراس يكنسون التراب عن شرائح من الإسمنت متجاورة ويرفعونها من أماكنها، وإذا سُلم هابط إلى غرفتين تحت الأرض إحداهما للرجال عن يسار الهابط ويمين الصاعد والأخرى للنساء عن

يمين الهابط ويسار الصاعد وبينهما ممر ضيق، وإذا الأيدي المنتحبة تَنتضِدُ للفارس إلى حيث يعرِّس!

بقيت في الممر على ضيقه بالمزدحمين أقرأ سورة يس حتى تم الأمر، وصعدنا، وعادت الشرائح، فأعجلَنا عن الدعاء بعضُ قراء المقابر المحترفين؛ فقرؤوا من أورادهم مثلما يتخلَّص طالبٌ جَهول ممّا حَفِظ في كراسة إجابة اختباره، وما دروا ما قرؤوا؛ فانتفض الدكتور محمود محمد الطناحي -رحمه الله، وطيب ثراه!- يزيل آثارهم بدمعات مُدمّاة من مهجة قلبه، توسل بها إلى الحق -سبحانه، وتعالى!- أن يعفو عن أستاذنا ويتقبله في الصالحين، بما بذل من نفسه في سبيل دينه ونبيه وأمته وحضارته- وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين. ثم أقبل يذكر أسماء من أخلص لهم وده واستفرغ في خدمتهم وسعه من رجال الحضارة العربية الإسلامية؛ فكان كأنما انتزعنا من أنفسنا وأسرى بنا وعرج!

أبت مع الدكتور محمود محمد الطناحي إلى بيت أستاذنا، فعزيت أم فهر، ورفهت عنها بما كان من قراءتي سورة يس على رأس أستاذنا. ثم أبت إلى منوف لأعود من مساء الغد إلى حيث يُعزّى آل شاكر عن مصيبتهم بمسجد عمر مكرم من القاهرة.

زلزلتني ورقة بيان العزاء الكبيرة المعلقة على مدخل دار المناسبات الملحقة بالمسجد -ولم يكن لي بمثلها عهد ولا بعادات دور العزاء المسجدية القاهرية- وصفُّ المصطفِّين من آل شاكر وكبار تلامذة أستاذنا يسلم عليهم الداخلون والخارجون! وإذا صفوف من الكراسي كثيرة منتظمة، أكبرها هناك قبالة الداخل متروكا للرئيس المصري نفسه أو من ينوب عنه على حسب درجات المجاملات الرسمية، وإذا الذي دخل فجلس عليه نائبًا عن الرئيس هو الدكتور محمد سيد طنطاوي الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر، الذي انحنى له عند الترحيب به كالراكع أحدُ المصطفِّين في المدخل؛ فأسخطَ عليه من معه!

عرفت في المعزين كثيرا من الفنانين والعلماء، حتى لقد رأيت فيهم طارق لطفي الممثل الشاب الذي لم يكن له عندئذ ذكر. ثم لم يكن أعجب عندي من مشهد دخول الدكتور محمد عمارة إلى حيث يجلس من العزاء؛ فقد تنازعه كبار الجالسين، كل يجذبه ليجالسه، وهو شديد الحرج من هذه الحال، لا يدري ما يقول لهؤلاء ولا لأولئك ولا لهاؤلائك- ثم قارئ القرآن الذي اشتغل عنه أكثر الحاضرين بأحاديثهم الخاصة إلا خمسة نفر، أَجلَسَهم أمامه مقياسا، لا يفتأ ينظر إليهم ويقيس أَداءاتِه عليهم!

مع الدكتور فتحي جمعة،

رحمه الله، وطيب ثراه!

مارس عام ١٩٨٦، بمدرج ثمانية (مدرج قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية)، من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، أواخر احتفال القسم بمنح بعض الطلاب جائزته، كانت هذه الصورة -وفيها من يمين إلى يسار، الدكتور فتحي جمعة، فالدكتور عبد الصبور شاهين، فالدكتور كمال بشر، وخلفهم أحد الضيوف، رحمهم الله وطيب ثراهم!- وقد اشتغل فيها عن الدنيا الدكتور فتحي جمعة، بالطالب القاعد أمامه إلى يمين، الذي ألقى كلمة المكرمين فاهتزَّ له، ثم بعقب الاحتفال أقبل عليه، وجذبه من يده مرتعشَ اليد، إلى حيث أهداه كتابه "من قضايا اللغة العربية"، الذي سيصير بعد عشرين عاما كتابه "اللغة الباسلة"، الذي بسط له في الناس من ذكره الحسن!

ثم لم يلبث الدكتور فتحي جمعة أن أسس بهذا الطالب وطائفة من أصحابه، جماعة لغوية رفيعة، احتفز بها الطالب إلى نسج ثلاث مقامات من الولع باللغة العربية، على مثال مقامات الهمذاني والحريري واليازجي، تركها للدكتور فتحي جمعة مكتفيا بثنائه على ما رآها "جوهرته"، لتصير بعد عشرين عاما كتابه "نديم النحوين"!

ثم كان بينهما بعدئذ ما لا ينكره مبغض ولا يكتمه محب، حتى رحل عنه الأربعاء الماضي2018/ 8/ 22 =1439/ 12/ 11))!

رحمك الله يا أستاذي، وطيب ثراك، وثبتك، ولقنك حجتك، ونور قبرك، وآنسك فيه برؤية مقامك من الجنة، وأبدلك خيرا مما خلفت، آمين! لقد بذلت في الحق حياتك؛ فبقي بعدك شعارا عليك! عوضنا الله منك من يظل لك أجره، ولم يفتنا بعدك، وجمعنا بك في مستقر رحمته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين و"حسن أولئك رفيقا"؛ صدق الله العظيم!

مع الدكتور محمد راتب النابلسي

في رمضان

أمس (١٦/ ٩/ ١٤٣٧=٢٢/ ٦/ ٢٠١٦)، نبهت أسرتي على ضرورة الإفطار بمسجد ابن عمير الهنائي في جوار جامعة السلطان قابوس العُمانية، حتى ندرك بعد صلاة التراويح الجلوس إلى الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الدمشقي الفاضل الموفق، لما أعلم من ازدياد محبة المسلمين له أخيرا، ولاسيما العمانيون. ولكننا اضطررنا إلى التأخر إلى ما بعد الإفطار، لإيصال إحدى بناتنا إلى موعد صديقاتها العمانيات الوَداعيّ، حرصًا على الذكرى الطيبة.

لم نتوصَّل إلى المسجد إلا في بحر سيارات متلاطم الأمواج، لم يدع موضعا من المنطقة المحيطة بالمسجد إلا بلغه وملأه، في مشهد خرافي، لا عهد لأحد هنا بمثله. لمحتُ فرجة صغيرة بين بعض السيارات المتعاكسة، خشي الناس منها على سياراتهم، برقابة نظام فضائي صارم، واجترأتُ باكتناز سيارتي الإنوفا وتنبيهات ابني فُرات، ثم قليلا قليلا نفذتُ بها في المضيق!

فاتتنا الجماعة الأولى، فأدركنا جماعة أخرى خارج المسجد -ولولا خفة الحر قليلا لافتتنا- ثم صلاة التراويح بأحد الأئمة الوَرْشِيّين المتقنين، وقليلا

قليلا تقدمنا إلى القسم الخارجي المفتوح من المسجد، الذي عجزت فيه المراوح النفاثة عن أن تخفف من عرق أيٍّ من المحتشدين، ولكنهم اختلفوا: فكان منهم من سال عرقه على كتفيه، ومن مال عرقه إلى أعلى ظهره، ومن تدفق عرقه إلى أسفل ظهره حتى حمّمه!

ذكرت صلاة التراويح بجامع عمرو بن العاص إبان خطابة أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين وإمامة الشيخ محمد جبريل، أنه كان يتنحى لأستاذنا في أثنائها بين نصفيها، فأما أمس فلم يتنح القارئ الوَرْشِيّ المتقن للدكتور راتب إلا بعدها، بل بعد دعائه الطويل اللاحق. وكانت قياما بثماني الركعات المعروفات، ثم وترا بالثلاث المتصلات بتشهدين. وفي مقام التراويح لا يجلس الإمام العماني بعد العشاء للدعاء مثلما يفعل في غير رمضان، فربما يظن الغريب أنه استغنى عنه، فإذا به يلتفت إلى المصلين من بعد ذلك الدعاء الطويل اللاحق، فيأتي بدعاء ختام العشاء وجيزا خفيفا!

على الشاشة الخارجية رأينا المصلين الداخليين يقومون ويتضامّون، فينضم إليهم شعبٌ من المصلين الخارجيين المحتشدين على أبواب الدخول، فأعذرهم باقيا في مكاني وعن يساري فُرات قلقا غاضبا. حتى إذا ما خف الاحتشاد جذبته لننضم فيمن انضم مرة أخرى.

لله عند الدكتور محمد راتب النابلسي وجه وصوت ولغة ورسالة: فأما الوجه فبحسبك أن تقول شامي، وأما الصوت فبحسبك أنْ شُبه بصوت نزار قباني، وأما اللغة فبحسبك أنه لغوي -فإن ترك الفصحى أحيانا للعامية فإن عامية الشوام أحب من فصحى غيرهم- وأما الرسالة فبحسبك أنها تربوية قرآنية منظمة.

لم يكد الدكتور راتب يمضي في كلمته حتى سكت، ثم تقدم أحد المنظمين يقرأ من ورقةٍ بياناتِ سياراتٍ ذكر أنها سدّت على الناس في المنطقة المحيطة بالمسجد مداخل بيوتهم؛ فيَخرج إليها أصحابها!

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

تُرى من كان لأهل بيوت المنطقة المحيطة بجامع عمرو بن العاص من القاهرة المحروسة، حين كانت جُسوم مئات ألوف المصلين الخارجين لا سياراتهم، تُسوِّرها مضطرةً على رغمهم؛ فلا يخرجون، ولا يدخلون!

مقام التمكن من اللغة العربية

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

أريد أن أكون متخصصًا ومتمكنًا من اللغة العربية؛ فلذلك من فضلكم اذكروا لي أهم الكتب التي لا بد منها في تعلم اللغة العربية لكي أكون متمكنًا من اللغة العربية.

وجزاكم الله خيرًا!

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته،

حيا الله السائل الكريم، وأحيانا به!

لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه.

إن مثل اللغة العربية -وكذلك غيرها من اللغات- مثل الإنسان، يجبهك بجسمه، ويخفي عنك روحه؛ فتتأمل جسمه، وتتخيل روحه!

أما جسم اللغة فأصواتها وكلماتها وتعبيراتها وجملها وفقرها ونصوصها وكتبها ودواوينها، وأما روحها فإحالاتها وإشاراتها وتنبيهاتها ومعانيها وأفكارها وقضاياها ورسائلها ورؤاها.

نعم؛ وإن روحها وجسمها لممتزجان بحيث إذا أفردت أحدهما أزهقت الآخر!

فأيقن بذلك، وأخلص للحق نيتك، واستنفر لتحصيله عزمك، واستجمع فيه قوتك، ثم أقبل، ولا تخف، ولا تمل، ولا تسأم؛ فإنه لا يمل حتى تمل، ولا يسأم حتى تسأم!

وليكن إِمامَك نصُّ القرآن الكريم والنثر الشريف والشعر النفيس، فائتمَّ به، تأمل جسمه، وتخيل روحه، حتى تستوعبه هو وما تولد منه وانبنى عليه ونشأ له، من علوم ومعارف وخبرات وأقوال وأفعال وإقرارات، من قديم إلى حديث!

ولتأتنس بما في هذه الروابط:

http://mogasaqr.com/?p=9608
http://mogasaqr.com/?p=1314
http://mogasaqr.com/?p=5036
http://mogasaqr.com/?p=1834
http://mogasaqr.com/?p=12606

ولا يَهولَنَّك ما ذكرتُ لك؛ فمن دَبَّ على الدَّرْب وَصَل، فإنك إن دَبَبْتَ عليه صرتَ من أهله، وتَكرَّمتَ بكرامته، وإن كرامته أن تُؤتى شِعارَ التَّمَكُّن منذ الدَّبَّة الأولى، وإن شعار التمكن ألا تصمت إلا عن حكمة، وألا تنطق إلا عن علم، وألا تكف إلا عن إعداد، وألا تكتفي إلا عن موت؛ فمن ظن أنه علم فقد جهل!

مقام التنغيم

لم يكن أبو الأسود الدؤلي الفنان العالم الحبر الجليل ليغفل عن نغمة التعجب في قول ابنته له: مَا أَشَدُّ الحَرْ -ولا ريب في وقوفها على آخره بالتسكين- بقوله: القَيْظ. لا، ولكنه أراد أن يهزها هزا عند تنبيهها على خطأ ضم "أَشَدّ". فلما استنكرت جوابه قائلة: إنما تعجّبْت!- قال: إذًا فقولي مَا أَشَدَّ الحَرْ، ولا يمتنع أن يكون أبقى لها على سكون الوقف.

كلتا الجملتين ("مَا أَشَدُّ الحَرْ"، و"مَا أَشَدَّ الحَرْ")، اسميتان، ولولا التنغيم لكانت "ما" المبتدأ فيهما، أداة استفهام في الأولى، وأداة تعجب في الآخرة، وكان "أَشَدّ" خبر المبتدأ في الأولى، وفعلا ماضيا في الآخرة مستترا فيه فاعله، وكان "الحَرْ" مضافا إليه في الأولى ومفعولا به في الآخرة- ولكن التنغيم يصدق ذلك ويكذبه!

لا ريب لدي في أن ابنة أبي الأسود قد نغَّمت جملتها تنغيم تعجب -وإن ضبطت إعرابها خطأ ضبط استفهام- فلم يعهد أحد من أحد أن يريد تنغيم التعجب فينغم تنغيم الاستفهام، بل أن يتظاهر بضبط الاستفهام فيفضحه تنغيم التعجب وكأنه لسان الحقيقة الذي لا يكذب!

نعم! ولكننا أفضينا الآن من مذيعي الفضائيات المتلفزة إلى عهد جديد يحرصون فيه على ضبط الإعراب دون ضبط التنغيم وكأنهم إذا صدّروا في الجملة أداة الأسلوب أنجزوا ما وعدوا!

عجبا لهم كيف ارتاحوا إلى هذا العهد البئيس والأدوات أنفسها ربما التبس بعضها ببعض كما سبق في خبر أبي الأسود وابنته؛ فضبط "ما" هذه هو ضبط "ما" تلك، ولولا تنغيم كل منهما بتركيبها لم يتميز تعجب من استفهام؛ فكيف إذا ذكرنا "ما" الشرطية والنافية،...! أم كيف إذا ذكرنا الأداة الواحدة المتفردة التي تخرج عند المجاز إلى غير أسلوبها المعهود، ك"هل" الاستفهامية الخارجة في قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "هل أنتم منتهون"، إلى الأمر- وفي قوله: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان"، إلى النفي- وفي قوله: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا"، إلى التحقيق !...

وإذا قمنا في مقام الذكر توقفنا في أكثر ما نسمع من تلاوات؛ إذ قد جرى أكثر القراء المعاصرين حتى مشاهيرهم على تجريد التلاوة من التنغيم، وكأنه وجه من التجريد الذي أوصى به كتابَ مصحفه سيدُنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه!- وكنت قد بقيت زمنا أظنه تجريد الحروف من النَّقْط وقد جردت فيه منه حقا، ثم صرت أراه تجريد القرآن مما سواه من إضافات القراء

التفسيرية، فأما النقط فقد كان في الكتابة العربية منذ نقلناها أول الزمان عن السوريانيين وأضفنا إليها الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين.

أترى رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- أحب سماع القرآن من غيره تلذذا باختلاف أجناس الأصوات، أو استحسن قراءة أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه!- محدورة مصمتة كأنما تتفجر من صخر، خالية من التنغيم الذي يبوح بوجده!

حاشا لله!

وهل تؤثر التلاوة تأثيرها المراد إلا إذا نغمت على حسب إحساس القارئ الواعي، مهما كان! أم هل أنسي ما حييت ذلك الشاب الذي عرض لنا عُروض الطَّيْف بمسجد المصطفى من مدينة منوف أواخر ثمانينيات القرن الميلادي العشرين، فبادرنا إلى الإمامة على غرابته فينا وثقله عندئذ علينا، ثم أقبل ينغم تلاوته تنغيما انخلعت له القلوب، ثم ذهب عنا، فلم نره منذئذ، ولكنه وطَّننا في مقام التنغيم!

مَكْرُوب

كنت طفلا متمردا مكروبا، لا يمر بي سالمًا مُعافًى صيفٌ؛ فمرةً تفاجئني على دراجتي سيارة فتطعنني بطرف مقودها الأيسر ليتمزق لحم فخذي اليمنى، ومرةً أقفز من على باب نادينا المغلق فتعلق بشبكته رجلي فأسقط على يسراي لتنكسر نصفين، ومرة أُغري بعصاي كلاب الشارع الضالة حتى يثور بي أحدها فينهشني لتدور عليّ دوائر الحقن الإحدى والعشرين...

نعم؛ حتى تواتر مني ذلك، وكانت أمي -عفا الله عنها في الصالحين!- تنتحب له انتحابا؛ فكانت صواحبها يُصبِّرنها وأنا أسمعهن:

- هوِّني عليهك؛ فمثل هذا الطفل المتمرد المكروب إذا كبر صار إلى ضد ما كان!

فكنت أحب ذلك منهن رأفةً بأمي -عفا الله عنها في الصالحين!- وأنتظره، وما زلت!

من بركات اللغة العربية

بمركز الفيزياء النظرية الدولي في إيطالية، اجتمع الدكتور ميراب الجيورجي والدكتور هشام صديقي السوداني الكريم الفاضل، وائتلفا، وتصادقا، حتى صارا يتزاوران. ومرة دعا الدكتور ميراب صديقه إلى الطعام ببيته، فذهب، وهناك كانت زوجه وابنه ذو خمسة الأعوام.

استأذنه داعيه ليعين زوجه على إعداد الطعام، وبقي معه ابنه.

بالإنجليزية كان الصديقان يتفاهمان، ولا يعرف هذه الطفل غير الجيورجية، وكان متوقِّدا متحمِّسا؛ فبقي يتكلم مبتهجا بصديق أبيه، وكأنه هدية الإنسانية الخفية، التي أرادت بها التكفير عن كبيرة قَطْعِهِ من أهله وبلده، والدكتور هشام لا يعرف من الجيورجية إلا مثلما يعرف هذا الطفل من السودانية، ولكنه ثقل عليه ألا يكافئ شيئا من تحمسه أو توقده!

أخرج الدكتور هشام من جيبه ورقة وقلما -وقد كانت بقيَتْ له من فن الرسم أثارة قديمة- وجعل يخطط والطفل كله عيون على الورقة، حتى إذا ما استوت له صورة قطة وميزها الطفل، طار بها إلى أبويه، وقال كلاما كثيرا ميز

منه الدكتور هشام كلمتَيْ "صُورَتِي" و"بِسَّة"، هكذا، مثلما ننطق الأولى بمعناها، وينطق بعضنا الثانية بمعنى قِطّة!

لما وجد الدكتور ميراب عجب الدكتور هشام الشديد قال له: إن في لغتنا الجيورجية كلمات عربية كثيرة، أدخلها فيها المماليك الذين تنقلوا بين جيورجية ومصر ذاهبين آيبين -قال- حتى اسمي أنا هذا "ميراب"، ما هو إلا كلمة "مِحْرَاب"، العربية!

مُنتَهى الفَذَاذة

صدقت فالدين حِبالة المتسلطين ينومون به الأفراد لينسلكوا في سلك الأمة التي تهون عليها فذاذة الفذ إلى جماعة لقطيع!

فتبا لكل ما يقيد الفرد، إلا أن يكون وظيفته التي يدوم في دوامها ويهيم في هيامها؛ ففي وظيفته يقيد نفسه حبا وكرامة ونعمة عين، لإيمانه بأنها وحدها المعنية من قديم بقول المتنبي:

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

ألا يتلقى عنها مرتبه كل شهر!

لعمر الله إنها للإحسان كله دقه وجله!

وكلما اجتهد في وظيفته ارتقى بدرجته جاها ومالا، حتى ينقلب رئيسا آمرا بعدما كان مرؤوسا مأمورا، ولاسيما إذا رتع من ذلك في مرتع عالمي ينسلك فيه الأفراد من كل فج عميق ليشهدوا دون غيرهم منافع دون غيرها!

إنه حقا لمنتهى الفذاذة!

الموت قهرا

لم أفعل العُرْف لا خوفًا ولا طمعًا لكنه اللهُ والأخلاقُ و"الدارُ"

ما كنتُ أبغى سوى حسْن الوِداد به وقد جُزيتُ كما يُجزى سنمارُ

يكفى جزائيَ أنى قد سعدتُ بما أتيتُ من عملٍ واللهَ أختارُ

محمد حماسة عبد اللطيف

"إنا لله وإنا إليه راجعون"؛ صدق الله العظيم!

لعلكم وقفتم على ما كافأْنا به هذا الرجل -رحمه الله!- قبيل وفاته أسوأ مكافأة:

بما ادَّعَيْنا عليه من الجمع بين وظيفتين،

ثم مُطالبتِه بِرَدِّ مئات آلاف الجنيهات المُرَتَّبيّة،

ثم وَقْفِه عن عمله أستاذا بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة!

نعم -والله!- قهرناه!

قهرناه، وتسامرنا بما اقترفناه، وهو الذي لم يُقهر قطُّ!

ولم يكن قاهروه غير من انتظر أن ينصروه!

نعم -والله!- قهرناه!

حتى قال ليلة وفاته، بعنوان "جَزَاءُ سِنِمَّار"، تلك المثلثة البديعة الحزينة!

عادة جرينا عليها -لا أبقاها الله، ولا من تمسك بها!- منذ قال المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لَمختلف جِدًّا

أراهمْ إلى نَصْري بِطاءً وإنْ همُ دعَوني إلى نَصْرٍ أتيتهمُ شَدًّا

فإنْ يأكلوا لَحمي وَفَرْتُ لُحومَهمْ وإنْ يَهْدِموا مَجْدِي بنيتُ لهمْ مَجْدَا...

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

نظارة شمسية وقبعة رياضية

احمرت عيني اليمنى؛ فخفت على اليسرى، ولم أدر: أهو حر مسقط الحرور، أم كهربة الحاسوب الغَرور! وراجعت بمستشفى جامعة السلطان قابوس، الدكتور عمران الطبيب الباكستاني الطيب، ومعي قطرة عين مصرية، فكلمته في ذلك، وأظهرت له القطرة، فأثنى عليها، ونصحني بعربيته الهجينة:

- لازمْ فيهْ شُوفْ نظّاراتْ شمسْ شِيخْ!

فاشتريت نظارة شمسية وسَطا لا وكْسًا ولا شطَطًا، وصرت أتقنع بها مع قبعة رياضية؛ فقلَّ رجلٌ يراني فيعرفني، وارتحت من وطأة الشهرة!

صرتُ لقبعتي أحبّ لوحة الشمس ولنظارتي أحب لفحة الحر، ولا أُفلتُ لهما فرصة! ثم صارت الفرصةُ هي التي تُفلتني؛ فإذا خرجتُ إلى سيارتي نسيتُهما في البيت، وإذا دخلت إلى بيتي نسيتُهما في السيارة، حتى نسيتهما أخيرا بمسجد الجامعة!

ونعم؛ كانت المساجد حراما كلها، يرتاح فيها الناس من الدنيا ما فيها ومن فيها، ويأمنون على أنفسهم وأموالهم. ثم نشأت ناشئة اتخذت مساجد الله مغانم؛ فهي لا تأتيها -إن أتتها- إلا ابتغاء الغنائم الباردة!

ذكر الجاحظ أن أحد المتنسكين اشتغل عن نعليه؛ فسُرقتا، فلما افتقدهما حيث وضعهما، وقيل له: قد سُرقتا- قال: سبحان الله! أيأخذ أحدٌ ما ليس له!

فكان عند الجاحظ مثال حمقى المتنسكين الذين انقطعوا من معرفة الدنيا!

وقريبا حين أقمتُ بحَيّ الكُرْديّ من داخل حرَم المدينة المنورة، على نصف ساعة مشيٍ من مسجد رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- كنتُ إذا تعجلتُ أو تثاقلتُ ركبتُ إليه، وانتفعتُ بمحاورة السائق. فكان مرة يَمَنيًّا؛ فجاملته بالأثر الشريف "الإيمانُ يَمانيّ، والحكمةُ يمانية"؛ فضحك؛ فعجبت؛ فاعتذر بأنه ذكر حكاية يتداولها اليمنيون، أن أفغانيا متنسكًا عمل باليمن، ثم عزم على الإياب، وجهز ما ادخره، وخاط عليه جَيْبَه، فإذا الصلاة قائمة، فذهب، فصلى، وغلبته في المسجد عينُه، فاتكأ قليلا، فما تَنَبَّه حتى وجد أنه قد سُرق، فلجأ إلى حيث الشرطة ثائرا متعجبا: أيُسرق في اليمن والإيمانُ يماني والحكمةُ يمانية! فهدأ من ثورته ضابطُ الشرطة، وخفف عنه: يا أخي، ليس الإيمان بيماني، ولكن الحكمة هي اليمانية، واصطنع بإصبعيه السَّبّابة والوُسطى مثلَ حركة المِقصّ، مشيرا إلى قص اللصِّ جيبَه، وقد صَرَف معنى الحكمة إلى ذكاء اللص المحتال!

أما نظارتي وقبعتي فقد تَناسيتُهما إلى صلاة تالية، لأجدهما كما توقعت حيث وضعتهما على ما وضعتهما، ولا غَرو؛ فالعمانيون العرب المسلمون

متأدبون بأدب الحرَم، لا يلتقطون شيئا ليس لهم إلا أن يطلبوا صاحبه، والدنيا عندهم كما قال فيهم أحد أساتذة الجامعة المصريين "لسّا -أي للساعة- بخيرها"!

نظام رمضان

سمعت قديما بعض من اضطُرِرْنا إلى التلمذة لهم يشكو اضطراب أحواله في رمضان؛ فلا يستقيم له فيه عمل، ولا تَهْنَؤُهُ راحة، ويخرج منه أَخْسَرَ مما دخل! ورأيت كذلك قديما بعض من لَجَأْنا إلى التلمذة لهم ينقطع للقرآن الكريم في رمضان؛ فلا يشغله عنه عمل، ولا تَخْدَعُه راحة، ويخرج منه أَرْبَحَ مما دخل!

وحياة المسلم منظمة بالصلوات في رمضان تنظيمها في غيره؛ فإذا كان في غيره يقوم لصلاة الفجر ثم يفطر ثم يعمل إلى صلاة الظهر ثم يتغدى ثم يرتاح إلى صلاة العصر ثم يعمل إلى صلاة المغرب ثم يتعشى ولا يكاد يرتاح حتى يصلي العشاء ثم ينام وهكذا دواليك، فإنه في رمضان يتسحر قبل صلاة الفجر ثم يصلي ثم يعمل إلى صلاة الظهر ثم يرتاح إلى صلاة العصر ثم يعمل إلى صلاة المغرب ثم يفطر ولا يكاد يرتاح حتى يصلي العشاء والتراويح ثم ينام.

ومن استطاع أن يجعل إجازته السنوية هي شهر رمضان حتى ينقطع للقرآن الكريم، فقد أحسن. وعندئذ يوزع الأعمال القرآنية على أوقات العمل العامة؛ فيقرأ ويتأمل ويستوعب ويعيد ويزيد كل مرة على ما كان قبلها، مثلما

حدثونا عمَّنْ قرأ القرآن في أسبوع ثم في شهر ثم في سنة ثم في سبع ثم مات قبل أن يختمه، لأنه كان في كل مرة يزيد على ما قبلها.

ولا ريب في أن الانقطاع برمضان للأعمال القرآنية أعون على تحصيل كثير من فوائد هذه القراءات المتزايدة.

ولقد ينبغي أن يذكر العربي المسلم دائما أن القرآن الكريم هو دستوره الحقيقي الذي يشتمل على ضوابط وجوده المعنوي والمادي جميعا معا، وأنه حبل الله المتين الذي تعتصم به الأمة كلها وتهتدي إلى الغاية مهما كان المسار.

ولهذا ينبغي للعربي المسلم ألا ينخدع عن حقيقة القرآن الكريم بزَيْف بعض حملته الذين لو انخدع بمثلهم سلفه ما بقي فيهم القرآن الكريم، وقد قضى الحق سبحانه وتعالى بتعهده بحفظ كتابه ألا يستقر الانخداع وألا يستمر.

وراثة الشعر

زعموا أن سيدنا أبا عبد الرحمن حسان بن ثابت شاعر رسول الله - صلى الله عليه، وسلم!- كان قال:

وقافية مثل السنان رزينة تناولت من جو السماء نزولها

وانقطع؛ فأجازته ابنته بقولها :

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

وبيتها عندي أحسن من بيته!

فإنه إذا كان أحسن تشبيه قافيته (قصيدته) بالسنان الوثيق النفوذ في الصدور، وكنى عن إعجازها بتلقي وحيها متلقى الأنبياء- فقد أربت على إحسانه بتمثيل إعجازها بقربها فهما وأثرا وطربا، وبعدها نسجا وعلاجا وإمكانا، على أبلغ ما تمنى فيما بعد بشر بن المعتمر، بما سماه إفهام العامة معاني الخاصة!

وهذه ابنته، وكذلك كان ابنه!

أفيورث الشعر؟

نعم يورث متى أحب وارثه!

وقد أحببت!

لقد كان أبي عفا الله عنه في الصالحين من علماء الأزهر، حافظا نديا، خطيبا، شاعرا لغة ولهجة، مزخرفا خطاطا، إلى علمه الواسع بشؤون كثيرة من شؤون الفلاحة والتجارة والاقتصاد. أدركته صغيرا يزوره صاحب بدوي مطروحي أو واحاتي بعوده، وقد لحن له قصيدته الساخرة:

سيارة فرج المحترمةْ   تمشي بفرامل منعدمةْ

يعرض عليه لحنها! ثم ضرب الدهر ضربانه فإذا أحد تلامذتي يأتيني بغناء قصيدتي "صولة البراء":

أيها الجند أشيروا دونهم باب وسور

http://mogasaqr.com/?p=2575

ومن أشبه أباه فما ظلم!

وصفة لهجية

تحبُّبًا إلى العمانيين الطيبين أُكلمهم بلهجتهم في غير مواقف المحاضرة، وهيهات؛ فكلما كلمت بها أحدا منهم قال لي: أَأُرْدُنِّيٌّ أنت!

ثم حللت عَمّان العاصمة الأردنية -ومادة عُمان وعَمَّان المعجمية واحدة (ع، م، ن)، وكلتاهما صيغة مبالغة- عضوا بفريق معجم الدوحة التاريخي الدولي، فحرصت على الإنصات إلى الأردنين أجمعين أكتعين أبصعين!

لقد وقفت على ما علق بالعربية في سفرها التاريخي المهيب، من وعثاء التغير أصواتا وصيغا ومفردات ومركبات صغرى ووسطى وكبرى، وأنها كلما أغربت أسرعت، وكلما أسرعت تضمنت، وكلما تضمنت استعجمت!

فأما لهجة الأردن فوسط بين شدة ما عن يمينها وخفة ما عن يسارها، ومن راودها عن نفسها فخلط قليلا من المصرية بقليل من العمانية خرجت له إن شاء الله صريحة واضحة غير متحرجة ولا متأثمة ولا مترددة!

ولَا غَسِيل البِرَك!

"سلام عليكم، طبتم"،

من مسقط،

في السبت: ٢٥/ ٤/ ١٤٢٣هـ= ٦/ ٧/ ٢٠٠٢م .

بسم الله – سبحانه، وتعالى!– وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم، إلى يوم الدين.

من قديم لم أكتب لكم؛ فقد كانت الأفكار تكثر تكثر حتى تمتنع عليّ، غير أنني صليت العشاء في مسجدنا الفاخر الذي احتميت به من رطوبة الحر، ثم أقبلت إلى كليتي من جهة الباب الذي معي مفتاحه؛ فقد عودني الهنود القائمون كالنحل على التنظيف، أن يغلقوا الباب القريب الذي أخرج منه وأحب أن أدخل منه– ثم لما استويت بمكتبي، وجهزت قدح الشاي الأخضر، وتفقدت حاسوبي المتروك على بحثٍ كنت أنسِّقُهُ، طرحتُ عني الكسل، وأقبلت.

أعمل الآن وحدي بمكان تُعرض عنه الغول، ويعجب لي فيه من يراني، أطرب مرة فيسهل علي أصعب الأعمال، وأغضب مرة فيصعب علي أسهلها؛ فأهرب إلى شبكة الاتصال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون"؛ فأطلع على العالم، حتى أرضى؛ فأعود إلى عملي!

منذ أسبوعين عدت من زيارة منى وشريف. لقد استأذن صاحب عمله في ألا يعود بعد العصر؛ فهم يعملون إلى المغرب، وجاءني بمنى إلى حدود الإمارات؛ فأخذاني بسيارتها الكابرس الفاخرة المعمورة بالطعام والشراب على عادة المسافرين؛ فالقوم مسافرون أبدا! ولم يكن يعنيني بعد البسبوسة شيء؛ فعببت فيها بالشاي وهما يحذرانني من أن أعجز عما بعدئذ، وهل بعد البسبوسة بعد !

لكن كان بعدها طعام فاخر في مطعم بديع على بحيرة خالد بالشارقة.

ثم ذهبت إلى شقتهما الصغيرة اللطيفة، فتمتعت بصحبتهما حتى إذا ما كان صباح الجمعة ذهبا بي كعادتهما إلى شاطئ الجميرة؛ فعبثت بعجزي عن السباحة، وكدت أغرق أنا وشريف في (شبر مية)؛ إذ كنا على الشاطئ ولكن خدعنا منقطع الرمال، بل خَدَعَ منى حتى لم تصدق أننا على شفا غرق؛ فلما دعاها شريف إلى الاستغاثة صرخت؛ فلم يهتم أحد، ولما كنتُ مهتما صرختُ بشاميٍّ كان قريبا؛ فجاء مشيا فجذبني، فأما شريف فاحتاج إلى آخر فجذبه، ولم يكن يصدق ضعفه، ولكن هكذا يفعل الإرهاق، وربما كان أكثر الغرقى من أبطال السباحة. مكث شريف وقتا طويلا حتى صدق أنه لم يغرق، ثم عدنا إلى البيت آخذين معنا كيس طعمية وخبزا مصريا من منطقة ملأها المنوفيّون؛

فأكلنا وارتحنا، لنسافر بعدئذ إلى أبي ظبي حيث صديق عزيز لشريف دعانا إلى غداء سمك !

وفي السمك نوع اسمه فريدة؛ فأحرجتهم عن أن يأكلوا بأنه اسم زوجتي؛ فكدت أنفرد بها قُدم منه! اجتهد شريف أن يحتفي بي، وأن يشعرني أنه رجل سهل الطبع رحب الصدر، وبالغ في تدليل مُنى ساترًا مبالغته بغلالة من السخرية الخفيفة اللطيفة؛ فكنت أقول له: ذكرتني عمي ياسين وابنه ياسرا! وربما قلت له: تدوم "الأونطة"! فأما منى فتقول في غيبته: أُحسُّ أنه "جَدَع".

هناك زرت مكتبة مهمة وعالما كبيرا، وسجلت مع شريف حلقتين من أحد برامجه، ثم لما تيسر لي السفر أوصلاني إلى حيث أخذاني؛ فتبين لي أنهما قطعا مسافة طويلة. ولكنهما على أية حال عُبْرا أسفارٍ كما كان يقال، ولو أمكنه لزارني في مسقط كل أسبوع !

كلما رأيت شيئا لأولادي به علاقة، ذكرتهم، حتى إنني إذا ما رأيت صغار العصافير تذكرت سرى! أما رهام فالله حسيبها أسأله ألا تعود كما ذهبت، عنيفة مخيفة وإن كانت ظريفة؛ فما انتفاعي بظرفها مع عنفها، على أنني أربي أولادي عليه لكيلا تفاجئهم الدنيا بشيء من لفحاتها! ثم إنني كلما جنيت نخلتي تذكرت براء، بل تذكرت نفسي قبله؛ فقد كنت مع أصحابي الشياطين، أرتقي النخل وإن طال؛ فأجتنيه وإن كان أخضر، لكن نخلة "الفرض"

نخلتي هنا بديعة، تسمح لك بنضيجها دون نواه؛ فتخرج التمرة أطيب من الشيكولاتة، حتى إنني أجمع ساقطه؛ فآكله وإن صبغه التراب، سعيدا "بطينه ولا غسيل البرك"، بل أشعر أنه سر الحياة. أم هل حدثتكم عن شجر الليمون؟ آه منه، ذكرني شجرة نينا نعمات، رحمها الله! كيف أشتريه وهو كالبلح مبذول هنا لمن أراد !

أين براء يصعد كما صعدت ويقطع كما قطعت ويُجرح كما جرحت ويقع كما وقعت ويتعفر كما تعفرت ويفرح كما فرحت !

ولِمَ أستبعدُهُ وربما جاءني آخر هذا الشهر !

أجل، لقد عجزت موظفة طيران الإمارات نفسه عن أن تجد لأسرتي المتعِبة، أماكن إلا في ١٣/ ٩ أو ٣١/ ٧؛ فاضطررت أن أختار هذا الأخير حرصا على انتظام دراسة الأولاد كما تريد فريدة؛ فهو احتمال سبق وروده، وربما وجدنا أماكن بعده إذا اعتذر أحد، ولكنه أمر صعب.

هذه ٢٥٠ $ مئتان وخمسون دولارا أمريكيا -لعنة الله على الأمريكيين الظالمين!- لوالدنا الجليل منها مئة عن الأضحية السابقة، ولفريدة مئة وخمسون عما تريد للأولاد من ملابس، وقد خطر لي أننا نحتاج إلى "كوفرتة" وأنني أريد عشر نسخ من "براء".

سأتصل فيما بعد-إن شاء الله– لأؤكد الموعد، وربما أرسلتُ ما يخص التأكيد، أو عجزتُ فراجعتْهم فريدة في طيران الإمارات، ولو اتصلتْ فتأكدتْ مما فعلوا الآن كان حسنا.

لكم سلام أبي براء.

واللهَ أختارُ

بعبارة "اللهَ أَخْتَارُ" الإلهامية الربانية، التي اقترح الأستاذ مصطفى يوسف أن تؤخذ من آخر ما قاله من الشعر أبو حاتم محمد حماسة عبد اللطيف -رحمه الله، وطيب ثراه!- لتكون علما على ديوانه- ذكرت عبارة "وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ" من قول عمرو بن امرئ القيس الخزرجي:

"نحن بما عندنا وأنت بما عندكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ"،

الشاهد النحوي المعروف، الذي ذَيَّلَ به أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم -رحمه الله، وطيب ثراه!- إحدى قصائد كتابه الفذّ المتفرد "من مقام المنسرح"، التي رأيتها أصدق تعبير عنه، في مقال كتبته عندئذ، ثم أضللته، ولم أهتد بعد إليه!

ألا ما أشبه العبارة بالعبارة، وزنا ومعنى!

نعم؛ فإن استقلال أبي حاتم الشاعر الدرعمي، باختيار الحق -سبحانه، وتعالى!- على رغم اختيار غيره الباطل، لَمِثْلُ رضا ذلك الشاعر الخزرجي برأيه، على رغم رضا غيره بغيره- ومثل اختلاف رأي كل منهما فيما رضيه غيره حسنا وسوءا!

ولقد رأيت أن أثبت واو "وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ"، التي تفصح عما خفي من دخائل اختلاف المختلفين، وعلى ذلك أرى أن تثبت واو "وَاللهَ أَخْتَارُ" كذلك، لتظل تفصح عن منازع المبطلين التي تتخطف الناس، ولا ينجو منها إلا من خلصت نيته، فصلح اختياره، والحمد لله رب العالمين!

والمتنبي

- أبو الطيب:

مَلامُ النَّوى في ظُلْمِها غايَةُ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِها مِثْلَ الَّذي بي مِنَ السُّقْمِ

- أبو براء:

أتعتذر للمقتدر على الظلم عن ظلمه؛ قد رِبْتنا -والله- في قدامة رأيك الأصيل!

- أبو الطيب:

فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنّي لِقاءَكُمْ وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فيكُم خَصْمِي

- أبو براء:

ينبغي أن يكون صاحبُ النوى الذي استأثَرَتْ به هو ممدوحَك لا صاحبتَك؛ فما كان لعربي أبيٍّ أن ينحرف ذوقه إلى غير ذلك!

- أبو الطيب:

أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظَّبْيَةُ الَّتي بِغَيْرِ وَلِيٍّ كانَ نائِلُها الوَسْمِي

- أبو براء:

ينبغي إذن أن تكون النوى هي سُترة الموت المخشي على صاحبتك ذِكرُه؛ لا سبيل إلا ما سبّلتُ لك!

- أبو الطيب:

تَرَشَّفْتُ فاها سُحْرَةً فكَأَنَّني تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بارِدِ الظَّلْمِ

- أبو براء:

لعلك نظَرت! لعلك حلَمت! لعلك حُمِمت!

- أبو الطيب:

فَتاةٌ تَساوى عِقْدُها وَكَلامُها وَمَبسِمُها الدُرّيُّ في الُحسْنِ وَالنَّظْمِ

- أبو براء:

كأنها لما نبغتْ سحرَت البيان؛ فإذا كلماتها يُخيَّل إليك أنها لآلئ- وأنها أخذت منها ثلثين فصفّتهما على فكي فمها، وثلثا فصفته على لَبَّتها!

- أبو الطيب:

وَنَكْهَتُها وَالُمنْدَليُّ وَقَرْقَفٌ مُعَتَّقَةٌ صَهْباءُ في الرّيحِ وَالطَّعْمِ

- أبو براء:

وأين هذه من الدنيا -يا مسكين-! وأيان، وأنى، وهيهات، وأيهات! لو كانت لكافحتُك عنها، ولو أن أُعِين عليك!

- أبو الطيب:

جَفَتْني كَأَنّي لَسْتُ أَنْطقَ قَوْمِها وَأَطْعَنَهُمْ وَالشُّهْبُ في صورَةِ الدُّهْمِ

- أبو براء:

وما حاجتك إلى طعن سنانك، وهذا طعن لسانك قد أقام الدنيا وأقعدها! ولكن قدر الله ألا يرضى أحد بما في يده، حتى يطلب ما في يد غيره!

- أبو الطيب:

يُحاذِرُني حَتْفي كَأَنِّيَ حَتْفُه وَتَنْكُزُني الْأَفْعى فَيَقْتُلُها سَمِّي

- أبو براء:

ومثل مَن وصفتَ لا يعيش طويلا؛ فلا بد لمن يحاذرك مِن أن يغافلك، لا مفر من سُنّة هذه الدنيا إلا إليها!

- أبو الطيب:

طِوالُ الرُدَيْنِيّاتِ يَقْصِفُها دَمي وَبيضُ السُّرَيْجِيّاتِ يَقْطَعُها لَحْمِي

- أبو براء:

نعم التخلي قبل التحلي، أن تَستخدم لِقلبك!

- أبو الطيب:

بَراني السُّرى بَرْيَ الْمُدى فَرَدَدْنَني أَخَفَّ عَلى الْمَرْكوبِ مِنْ نَفَسي جِرْمي

- أبو براء:

وملام السرى في بريه مثل ملام النوى؛ فلعل بهما كليهما ما يجول كل مجال، ويتمثل بكل مثال!

- أبو الطيب:

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقاءِ جَوٍّ لِأَنَّني إِذا نَظَرَت عَيْنايَ شاءَهُما عِلْمِي

- أبو براء:

ثم أُخِذَتْ واقتلعت عيناها؛ فإذا في أصول عروقهما سَحيق الإثمد!

- أبو الطيب:

كَأَنّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِبْرَتي بِها كَأَنّي بَنى الْإِسْكَنْدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي

- أبو براء:

تهاويتَ -يا مسكين!- بعدما تساميتَ! اللهم، إني أعوذ بك من الحَور بعد الكَور!

يا فضيحتي

على رغم حسنات الإنترنت تشغب علينا منها سيئات تتبع تلك الحسنات تكاد تمحوها، مثل أن تمسك بذيل مادة حسنة أحيانا مادة سيئة؛ فأما إذا كنت خاليا فلن تعبأ بها والشهيد الرقيب الحسيب الحق –سبحانه، وتعالى!– وأما إذا كنت في ملأ فلن تستطيع ألا تعبأ؛ فإن السيئة عندئذ تتجاوزك، ولا تدري ما يفعل بها من تَلَقَّاها!

ومنذ أسبوع نفذت إليَّ في أثناء عملي الإنترنتيّ نافذةُ إعلاناتٍ متعددةٍ مختلفةٍ: إعلانات سيارات، فإعلانات عطور، فإعلانات حُليّ، ثم فجأة ظهرت إعلانات صَواحب الحُليّ والعطور والسيارات! نحيتها، ومضيت إلى عملي، ولكنني خطر لي أنْ ربما يحدث ذلك في إحدى محاضراتي الموصولة غالبا بالإنترنت؛ فسُقط في يدي، وعجلت أحتال لمنع نفوذ تلك النافذة أصلا، ثم اطمأننت.

وصباح اليوم الأربعاء (٩/ ١/ ١٤٤٠= ١٩/ ٩/ ٢٠١٨)، فتحت جهازي لطلاب المستوى الأخير من علمي الصرف والنحو، أعرض عليهم مسائله، وأُفيءُ عليهم في أثنائها طَرَفًا مما أنعم الله به علي من كنوزٍ رقمية هائلة؛ فبرزَتْ لي ولهم فجأة تلك النافذةُ، تُغرينا بصورة سَاخِنَةٍ أَنْ نبحث من خلالها

عن صور أَسْخَنَ؛ فأسرعت إلى سلك العارض، ففصلته من جهازي، وتحولت بإحدى خزائني المستقلة إلى جهاز المكان، صابرا على امتناع تلك الكنوز إلى حين!

وبعقب المحاضرة أسرعتُ إلى الفني المتخصص، أشكو إليه ذلك، فقال : هذا الذي يحدث إذا حملت بعض البرامج؛ إذ تتعلق بها مثل مُفَجِّرات النوافذ الإعلانية هذه!

قلت: فَلْنَمْنَعْها!

قال: هذا هو أصل نظام الجامعة، ألَّا يُتاح لكم تحميل البرامج تحميلا حرا، حتى تراجعونا، ولكنكم كرهتم ذلك، واضْطَرَرْتُمونا إلى فتح باب التحميل؛ ثم ها أنت ذا تشكو؛ فماذا نفعل!

قلت: نعم، صدقت؛ فنحن لا نستغني عن تحميل ما ينفعنا تعلما وتعليما، ولكننا نريد من مُكافح الأضرار أن يمنعها.

قال: إنه يحذرك أنه لا يعرف البرنامج، وأنه ربما ضرك، ولكنك تأبى إلا تحميله!

قلت: نعم، ولكن تحذيره عام غير كاف! إننا نريد أن يعتني بنا أكثر من ذلك، فيقول للواحد منا إذا خاف أحد مفجرات النوافذ الإعلانية الخبيثة هذه: "ما بلاش! عشان خاطري بلاش! قلت لك بلاااااش"!



فابتسم الفني المتخصص الشاب العماني المؤدب، قائلا: أما هذه فَلْتُكَلِّمْ فيها الإدارة الفنية!

يوم السعادة العالمي

http://www.un.org/ar/events/happinessday/

يوم السعادة العالمي،

يوم مولدي!

إي والله!

ولم أعرف ذلك إلا أمس!

كنت سعيدا ولا أدري!

فاللهم اجز هيئة الأمم المتحدة عنا نحن مواليد ٢٠/ ٣،

جزاء المنبهين الكبار والمنبهات،

الأحياء منهم والأموات!